

حياته وشعره



عبدالله زكريا الأنصاري

عبدالله زكريا الأنصاري

فهد العسكر

حياته وشعره



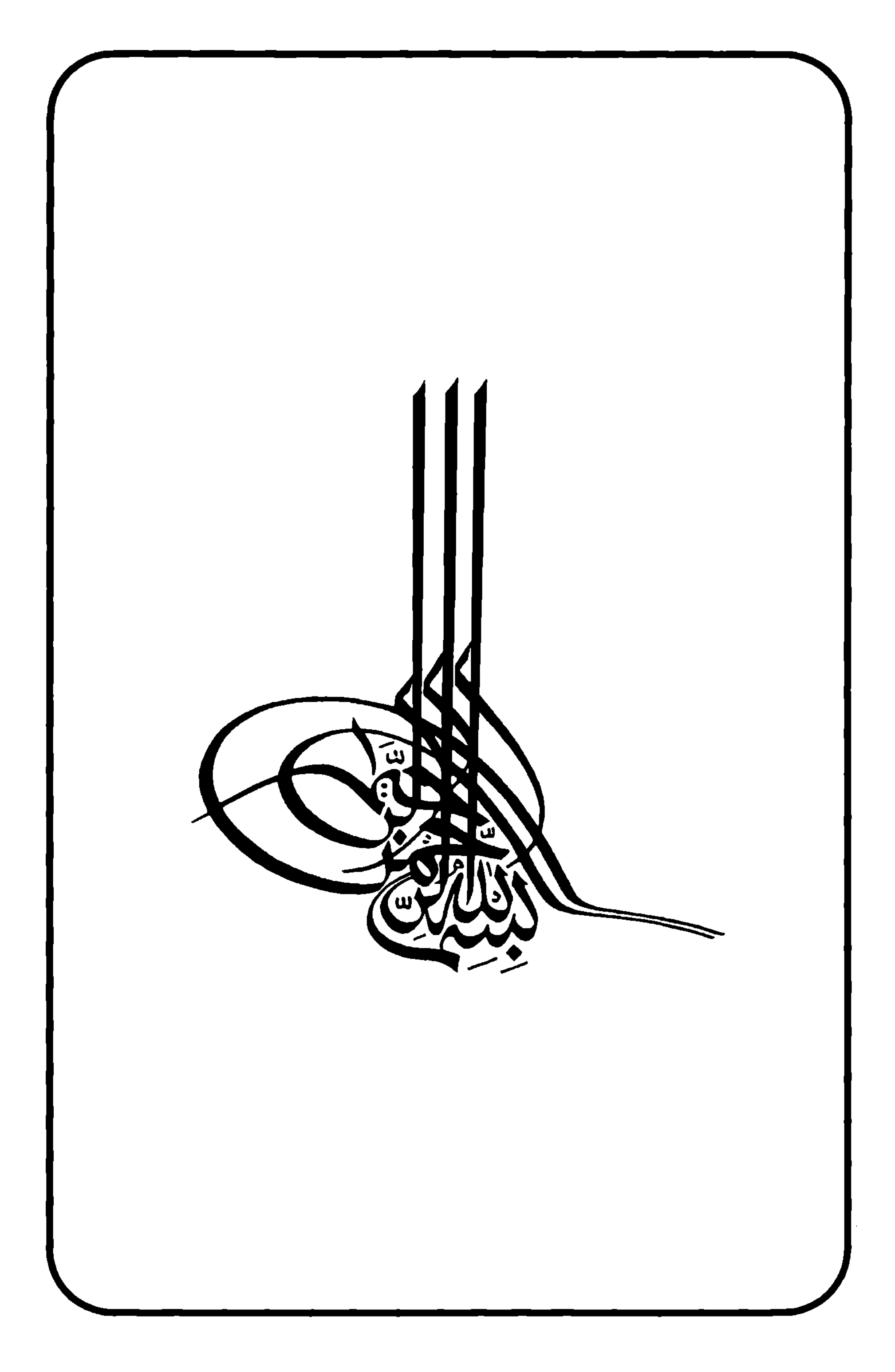


بيليوجرافية الكتاب

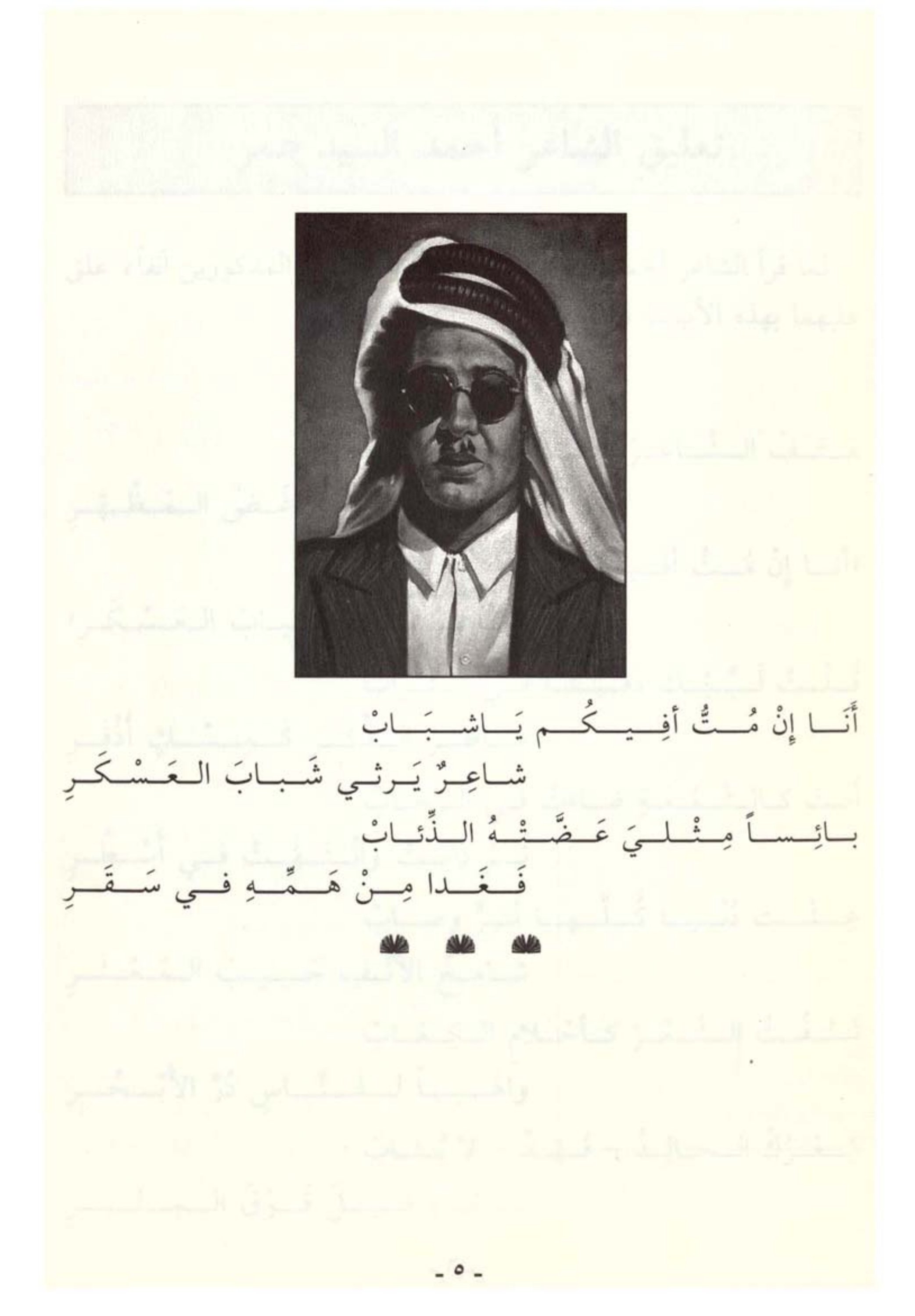
- اسم الكتاب: فهد العسكر حياته وشعره.
- المؤلف: عبدالله زكريا الأنصاري.
- موضوع الكتاب: تراجم.
- الناشر: شركة الربيعان للنشر والتوزيع.
- مكان الطبعة: الكويت - الطبعة الخامسة ١٩٩٧م.
- حقوق الطبعة الخامسة: محفوظة للمؤلف والناشر.
- عنوان الناشر: الكويت ص.ب ٢٥٤٠١ صفاة 13115

هاتف ٢٦٤٩٤٧٩ - ٢٦٢١٤٥٠

فاكس ٢٦٦٨٢٦١ ٢٦٦٨٢٦٢


بسم الله الرحمن الرحيم





أَنَــا إنْ مُــتُّ أفِــيــكُــم يَــاشــبَــابْ
شــاعِــرٌ يَــرثــي شَــبــابَ الــعَــسْــكَــرِ
بــائِــســاً مِــثْــلــيَ عَــضَّــتْــهُ الــذِّئــابْ
فَــغَــدا مِــنْ هَــمِّــهِ فــي سَــقَــرِ

تعليق الشاعر أحمد السيد عمر

لما قرأ الشاعر أحمد السيد عمر بيتي فهد العسكر المذكورين آنفاً، علق عليهما بهذه الأبيات اللَّطيفة:

❁ ❁ ❁

هَـتَـفَ الـشَّـاعِـرُ فـهـدٌ فـي عِـتـابْ
قَـبْـلَ أَنْ يَـرْحَـلَ غَـضَّ الـمَـظْـهَـرِ
«أَنـا إِنْ مُـتُّ أفـيـكـم يـا شـبـابْ»
«شـاعـرٌ يَـرْثـي شـبـابَ الـعَـسْـكَـرِ»
قُـلْـتُ لَـبَّـيْـكَ دَفـيـنـاً فـي الـتـرابْ
عـاطِـرَ الـذِّكـرِ كَـمِـسْـكٍ أَذْفَـرِ
أَنـتَ كـالـشَّـمْـعَـةِ ضـاءَتْ فـي الـرِّحـابْ
ثُـمَّ ذَابَـتْ وانْـتَـهَـتْ فـي أَسْـطُـرِ
عِـشْـتَ دُنْـيـا كُـلُّـهـا مُـرٌّ وصـابْ
شـامِـخَ الأَنْـفِ حَـبـيـبَ الـمَـعْـشَـرِ
تَـنْـفُـثُ الـشِّـعْـرَ كـأَحْـلامِ الـكِـعَـابْ
واهِـبـاً لـلـنَّـاسِ دُرَّ الأَبْـحُـرِ
شِـعْـرُكَ الـخـالِـدُ - فَـهْـدٌ - لا يُـثـابْ
بِـرِثـاءٍ قِـيـلَ فَـوْقَ الـمِـنْـبَـرِ

إِنَّـــمـــا أَنْـــتَ بِـــأَشْـــعـــارِ عِـــذابْ
بـــيـــنَـــنـــا حَـــيٌّ طَـــوَالَ الأَعْـــصُـــرِ
لَـــمْ يَـــمُـــتْ مَـــنْ خَـــلَّـــفَ الـــفَـــنَّ وغـــابْ
إِنَّـــمـــا مَـــنْ مـــاتَ مَـــنْ لَـــمْ يُـــذْكَـــرِ

أحمد السيد عمر(*)

(*) كنت قد تسلمت رسالة شكر من الصديق العزيز، عبدالرحمن سالم العتيقي، على إهدائي كتابي له عن (فهد العسكر)، قال فيها: إنني لست شاعرا، لكني استعنت بالشاعر أحمد السيد عمر ليقول شيئا في هذا المقام، فنطق لسانه بتلك الأبيات المذكورة آنفاً.

"فهد العسكر" في طبعته الخامسة

■ مر على الطبعة الرابعة من هذا الكتاب ما يقارب الثمانية عشر عاما. والآن نأتي إلى الطبعة الخامسة. وفي كل طبعة نضيف ما يتوفر لدينا من شعر «فهد»، وقد آلينا على نفسنا أن نتتبعه أينما وُجد، لنقدمه لقرائه، ومحبِّيه.

وفي هذه الطبعة الخامسة سوف يلاحظ القارىء أن فيها جديداً من شعر «فهد»، لم يكن موجوداً في الطبعات السابقة.

أولًا: قصيدة بخط يده، كتبها وهو شاب صغير طالب في المدرسة المباركية، يرثي فيها الشيخ محمد نوري - رحمه الله - الذي توفي في ١٥ رمضان سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٨ مارس ١٩٢٧م. والشيخ محمد نوري، هو والد الشيخ عبدالله النوري أستاذ فهد العسكر في المدرسة المباركية. وقد حصلت على هذه القصيدة من الشيخ عبدالله النوري نفسه، عندما زرته في مكتبته بمنزله في القادسية، وكان قد دعاني ليطلعني على كتاب يُعِدّه للطبع عن شخصيات بارزة في الكويت، منهم محمود شوقي الأيوبي، وقد طُبع هذا الكتاب باسم (خالدون في تاريخ الكويت) عام ١٩٨٨م. وقصيدة «فهد» هذه ضعيفة، لأنها كانت في بداياته الشعرية، وهو شاب صغير لا يتجاوز الرابعة عشرة أو ما يقاربها.

ثانيا: قصيدة نشرها الشاعر الأستاذ أحمد السيد عمر ضمن ذكرياته التي كان ينشرها بجريدة الوطن عن صديقه «فهد العسكر». وكان يحتفظ بها منذ

فترة طويلة. وكان الشاعر فهد، قد أوصاه أن يحتفظ بها لنفسه، ولا يذيعها في الناس، والآن هي بين أيديهم، يقرؤونها، ويترنمون بها.

ثالثا: ثلاثة الأشطر الأولى من تخميسة لقصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي «علَّموه كيف يجفو فجفا». وهذه الأشطر الثلاثة لم تُنشر في طبعات الكتاب السابقة، لأننا لم نهتد إليها، وننشرها الآن في هذه الطبعة الخامسة، حيث تفضل بها علينا الأخ الفاضل اللواء يوسف بدر الخرافي، وكيل وزارة الداخلية، أثناء زيارته لي في ديوانيتي مساء يوم الأحد الموافق ٢/٣/ ١٩٩٦م.

رابعاً: أبيات لطيفة يعلق بها الشاعر أحمد السيد عمر على بيت الشاعر «فهد العسكر» بقصيدته: «أذكريني» حيث يقول:

أنا إنْ مُتُّ أفيكم يا شبابْ شاعرٌ يرثي شبابَ العسكرِ؟

وقد زودني بها الصديق الأخ عبدالرحمن سالم العتيقي برسالته إليَّ المؤرخة في ١١/ ١١/ ١٩٧٠م، التي يشكرني فيها على إهدائي له الطبعة الثانية من كتاب (فهد العسكر). ويقول: إنني استعنتُ بالشاعر أحمد السيد عمر ليكتبها على لسانك، لأنني لا أجيد نظم الشعر، وقد عثرت على رسالة (أبي أنور) بين أوراقي المبعثرة أخيرا.

خامسا: صورة للشاعر فهد، رسمها باليد زميله وصديقه الأديب الفنان الأستاذ الأخ أحمد العامر بتاريخ ٨/ ١٢/ ١٩٤٩م، رسمها للشاعر وهو في بيته متحرراً من الغترة والعقال. ونشرت بجريدة الوطن في ٢/ ١٢/ ١٩٧٠م.

أما بعد، فهذه هي الطبعة الخامسة من شعر «فهد العسكر»، الذي حُرم من لذة العيش، فنعم بلذة الشعر، وفقد صفو الحياة، ولم يفقد صفو الحس

والضمير. لقد خسر النعيم، لكنه نَعِمَ في الشقاء مع الشعر والشكوى والمعاناة. حسد الناس الذين عبوا كؤوس الحياة حتى الثمالة، وحسده الناس على كؤوس الشعر المترعة بحلو الكلام، وجميل اللفظ، ونفاسة المعنى في شعر راقص، ونغم مُرَدَّد، وبيوتٍ متبخترة. وفشل في التعامل مع الحياة، لكنه نجح في التعامل مع الشعر، ولوِ خُيِّرَ بين نجاحه وفشله، لاختار نجاحه الذي يشبه الفشل، ولما اختار فشله الذي يشبه النجاح. ومضى إلى الموت لا يلوي على شيء، فهل وِجدت إنساناً يلوي على شيء من أشياء الحياة وهو يمضي إلى الموت؟

إن الشعر المبدع الجميل لا يُمَلُّ مدى الحياة، ولا يَفْقُدُ روحه ما دامت الشمس تنير، والقمر يُضيء، والنَّفَسُ يتردد.

عبدالله زكريا الأنصاري

الكويت في ١/١/١٩٧٧م



مقدمة الطبعة الرابعة

■ نظراً لنفاد جميع الطبعات الثلاث من هذا الكتاب «فهد العسكر، حياته وشعره».

وللإقبال الشديد على قراءة قصّة هذا الشاعر البائس «فهد صالح العسكر»، وقراءة شعره المعبّر عن معاناة صادقة.

ومحبةً منّا في تلبية رغبة القارىء. سواء في الكويت والخليج، أم في الوطن العربي.

فقد رأينا إعادة طبعه، طبعة رابعة، وقد تلافينا في هذه الطبعة، بقدر الإمكان، بعض الأخطاء المطبعية وغير المطبعية التي حدثت في الطبعة الثالثة.

نرجو أن نكون بذلك قد أسهمنا في خدمة أدبنا العربي بهذا المجهود المتواضع، وحققنا رغبة القارىء الكريم، وحافظنا على إحياء ذكرى هذا الشاعر الذي طالما غنّى فأطرب، وناح فأبكى، وأنشد فأعجب.

والله وحده ولي التوفيق،

عبدالله زكريا الأنصاري

الكويت في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٩٨هـ

الموافق ١٧ من شهر مارس سنة ١٩٧٨م



مقدّمة الطبعة الثالثة

■ وهذه هي الطبعة الثالثة، نقدّمها إلى القراء الكرام في هذا الثوب الجديد، وكانت الطبعة الثانية قد صدرت عام ١٩٧٠م، لكنّها نفدت من الأسواق بسرعة عجيبة، وتلقّفها الناس بشوق زائد، ولا شك أنّ سبب الإقبال على قراءة شعر هذا الشاعر الوجداني، هو الصورة الحية التي يمثلها، فهد العسكر، الذي عاش حياة حافلة بالآلام. لقد مثّل الشاعر فهد في شعره حياته وحياة مجتمعه، حياته البائسة المتغيرة المضطربة، وحياة مجتمعه الآمن المحافظ على تقاليده وعاداته الموروثة، وشتّان بين الركود والتغيّر، وهكذا جاء شعره ثورة عاصفة، ثورة على الركود، وثورة على التقاليد الموروثة والعادات المتبعة، ولمّا لمْ يجد تجاوبا مع ثورته، وصدىً لصيحاته التي تدعو إلى فكِّ الحصار وتحطيم القيود، راح يشكو ويتألم، ويبثّ شعره شكواه وألمه، ويفرغ فيه كل أحاسيسه، ويلوّنه بكلّ الألوان التي جرت بها ريشته الشعرية، وعكست ما كان يعانيه في قرارة نفسه من شتّى هذه الألوان. هذا هو السبب الذي دفع الناس إلى تلقّف هذا الكتاب، وجعلهم يتجاوبون معه. بل إن ثورته على الشعر نفسه، في شكله التقليدي الذي كان سائدا في الكويت، هي التي دفعت الناس إلى قراءته، حيث وجدوا فيه نوعاً جديداً من الشعر العربي المتحرر، المنطلق من كل قيود التّزمت والتقليد والتكلّف، إذ جاء شعره سلساً عذباً لا يعيبه تكلف، ولا يشوّهه تقليد، ولا يشوبه أي تزمّت، كما نقرأ ونرى في أشعار كثير من شعرائنا، زد على ذلك المآسي والمصائب التي ألمّت بالشاعر من جراء تمرده على مجتمعه المتزمّت المحافظ، وهذا ما جعل شعره يعبّر تعبيراً صادقاً عن حياة مجتمعه الصغير، وحياته هو نفسه المتمردة الثائرة.

وكما كانت الطبعة الثانية تضمّ كثيراً من القصائد التي لم تكن موجودة في الطبعة الأولى، فإن في هذه الطبعة كثيراً من القصائد التي لم توجد في الطبعة الثانية، ولهذا فإن هذه الطبعة الثالثة تجيء أشمل وأوفى من الطبعتين السابقتين، مما يعطي القارىء صورة أوضح عن الشاعر وشعره، ونضيف مجموعة شعرية لم يكن يعرف عنها القارىء من قبل. ولا شكّ أن الباحث الذي تهمّه دراسة تاريخ الشعر بصفة خاصة والأدب بصفة عامة في هذا الجزء من وطننا العربي (الكويت)، سوف يجد في هذه الطبعة ما يساعده على المضيّ قدماً في دراسته وفي بحثه، وسوف يجد فرقاً كبيراً، وَبَوْناً شاسعاً، بين الحياة التي كانت تحياها الكويت في عهد الشاعر فهد، وبين الحياة التي تحياها في الوقت الحاضر، وسوف يرى كيف كان يعيش المجتمع الكويتي في ذلك الوقت، وكيف يعيش اليوم، وكيف كانت التقاليد والعادات، والحياة المتحفّظة، وكيف هي اليوم، إن بقي لها وجود. وسوف يرى كيف كان الشاعر يعبر عن معاناته في ذلك الوقت، ويقارن بينه وبين شاعرنا فهد، ليجد الفرق الكبير بينه وبين غيره من الشعراء، ولا شكّ أنه سيرى أن كل أسباب الشعر، وكل ظروف الشاعر قد توفّرت بصورة تكاد تكون تامة لشاعرنا فهد، الذي طالما غنّى وأنشد، وناح وغرّد، وترنّم وعربد. غنّى مجتمعه، وأنشده شعره، وناح بكاءً مُرّاً، وغرَّد في دوحه الذي كان يراه ذابلاً صوّحت أعواده، وترنم فترة بقصائده الراقصة وأشعاره الشجية، ثم راح يعربد نشوة بعد ما أسكرته الحياة، ولم يكد يفيق حتى يصدمه الواقع المرّ، فينثني هروباً من الصَّحو الممضّ، ليغيب في نشوته وسكره الذي ينسيه آلامه وأوصابه، بعدما يقول:

ثُمَّ قالَتْ وَرَذاذُ المَطَرِ
حَبَسَ الطَّيْرَ ولَمّا يَطِرِ

هاتِ بِنْتَ النَّخْلِ يا ابْنَ العَسْكَرِ
لا يُطاقُ الصَّحْوُ في ذا البَلَدِ

أجلْ كان لا يطيق الصحو، في ذلك المجتمع الذي يختلف كل الاختلاف عن المجتمع الذي يحلم به ويريده.

هذا هو فهد العسكر، وهذه هي حياته، وهذه هي الطبعة الثالثة من تاريخ حياته وشعره تحتوي المزيد من قصائده ومن أشعاره الضالة التائهة، والضائعة بين مختلف الصحف والأوراق، والهائمة بين رفوف المكتبات وبطون الكتب، ولعل الأيام تظهر الكثير مما خفي منها، ولعلنا نتمكن من الكشف عن المزيد منها، والله وليّ التوفيق.

عبدالله زكريا الأنصاري

٧/ ٤/ ١٩٧٢م



مقدّمة الطبعة الثانيَة

أمّا بعد، فهذه هي الطبعة الثانية من كتاب «فهد العسكر حياته وشعره»، تصدر بعد مرور أربعة عشر عاما على صدور الطبعة الأولى منه، والطبعة الأولى صدرت عام ١٩٥٦م في القاهرة، ومنذ صدورها ونحن نتتبَّع آثار المرحوم «فهد»، ونتلقّف أيّ خبر من أخبار حياته، من ذويه، ومن أقاربه، ومن محبّيه، حتى استطعنا أن نجمع شيئاً من أخبار حياته، وأن نحصل على بعض قصائده التي لم تنشر في الطبعة الأولى.

وسيلاحظ القارىء في هذه الطبعة فصولاً جديدة أضيفت إلى الكتاب، عن نسبه، وعن مولده، وعن قصة سفره إلى الرياض، وعن حياته ونشأته، وعن وفاته، وهي فصول كان يجب أن تتوفر في الطبعة الأولى، إلا أنَّ ظروفاً اقتضت أن تتأخر حتى هذه الطبعة الثانية.

كما أن هذه الطبعة تضمّ قصائد جميلة للشاعر، بعضها حصلنا عليه منشوراً في بعض المجلات، والبعض الآخر وجدته بين أوراقي وكتبي، وهذا البعض الذي وجدته بين أوراقي وكتبي، لم يسبق أن نشر في مجلة أو كتاب.

إنَّ «لفهد العسكر» شعراً كثيراً غير هذا الشعر، لعلَّ الكثير منه قد ضاع، أو عبثت به يد الأيام، ولعلَّ بعضه ما زال يرقد بين بعض الأوراق والكتب لدى بعض الناس، بل ربَّما يوجد بعضه منشوراً في بعض «الجرائد» والمجلات التي كانت تصدر في العراق، أو في بعض البلاد العربية

الأخرى، التي كان يراسلها، ويبعث إليها ببعض نتاجه الشعري، والتي لا نعرفها، ولا نعرف عنها شيئا.

إني لآمل أن يعطي هذا الكتاب صورة واضحة عن شاعرنا «فهد»، وعن حياته في طفولته وفي شبابه، وعن بيئته البيتية التي تربّى في أحضانها، وعن بيئة الكويت التي كان يعيش فيها. ولعلَّه أيضاً يسدّ فراغاً في مكتبتنا العربية في الكويت. ومكتبتنا العربية في الكويت تفتقر إلى الكثير من الدراسات الأدبية للشعراء والأدباء الذين عاشوا في الكويت، وسجَّلوا بشعرهم وبأدبهم فترة من تاريخ الكويت الأدبي وغير الأدبي، وصوَّروا بهما ملامح المجتمع العربي في الكويت، ونأمل أن يأتي من يسدّ هذه الثغرة، ويكمل هذا النقص في مكتبتنا العربية في الكويت، ويؤدي بذلك أجلّ خدمة، ويسهل الطريق للدّارسين والباحثين في تاريخ الكويت الأدبي وغير الأدبي.

وأخيراً أرجو أن يلاقي كتابي هذا، «فهد العسكر»، ما يستحقه من عناية واهتمام من القارىء، ولا أزعم أني أوفيت هذا الشاعر ما يستحقّه من الدّراسة والبحث، وإنما أعتقد أني وضعت بعض العلامات المميزة للذين يبغون دراسة شعر هذا الشاعر، ودراسة الفترة التي عاش فيها، كما أعتقد، أنني حفظت ما استطعت الحصول عليه من أشعاره التي لو لم تحفظ وتطبع في هذا الكتاب لضاعت كما ضاع الكثير من أشعاره، ولخسرنا بضياعها تاريخ فترة مهمّة من فترات حياتنا الأدبية في الكويت.

١٤/ ٢/ ١٩٧٠م

القاهرة

مقدّمة الطبعة الأولى

■ ما الذي حفزني إلى كتابة هذا الكتاب، ونشره عن «فهد العسكر»؟

وَلِمَ سايرتُ حياته العجيبة، وعشت معه بعد وفاته خمس سنوات، كما كنت أحيا معه في حياته، مستمتعا بمجالسه الأدبية الطريفة، وندواته الشعرية الخالصة، وبقصائده الجميلة العذاب، وبأحاديثه وفلسفته الغريبة في الحياة، حياة الناس عامة، وحياة الناس في الكويت على الخصوص؟

إنَّ فهداً شخصية لا تنسى في تاريخنا الأدبي المعاصر، وهو من أعلام شعراء الكويت المجدّدين، الذين آمنوا بضرورة مسايرة الشعر لتطور الزمن، وحاجيات المجتمع الجديدة، وهو في حياته ونشأته عربي صميم، حيث نشأ في الكويت بين عائلة عربية محافظة، ومجتمع متمسك بالتقاليد والعادات، وقد تعلَّم في مدارس الكويت، التي كانت تنهج في تعليمها نهجاً عربياً خالصاً، تجمع بين حفظ القرآن الكريم وعلوم الدين، واللغة العربية، وشيء يسير من مبادىء العلوم الحديثة، وفق أسلوب التعليم القديم، وكان شديد الشغف بتعلّم اللغة العربية وقواعدها، وقراءة دواوين الشعر، وكتب الأدب، قديمها وحديثها على السواء. ثم رغب في قراءة الكتب الحديثة ذات النزعة التحررية، وبدأ ينظم الشعر الذي صوّر فيه، بادىء الأمر، تدينه ونسكه الموروث، ثم صوَّر تحرره الفكري، وانطلاق ذهنه. وبعد ذلك أخذ شعره يتطور بتطوره الفكري، فتضمن بعض آرائه في الدين والحياة بحرية وانطلاق فكري عجيب.

وقد كان حظه من المجتمع سيّئاً، فقد رماه الناس بالكفر والجحود، وملّه أهله واعتزلوه، وأصبح يعيش في وحدة تامة، مع خياله حيناً ومع كتبه حيناً آخر، وأصبحت حياته سلسلة من الآلام والأحزان، انعكست على شعره، وهرب من ضيق الحياة إلى الرّاح، فصار يحتسيها، وينفّس بها عن أحزانه وآلامه وهمومه:

صَهَرتُ في قَدَحِ الصَّهْبَاءِ أَحْزاني
وصُغْتُ من ذَوْبها شِعري وَأَلْحاني...
وَبِتُّ في غَلَسِ الظَّلْماءِ أُرْسِلُها
مِنْ غَوْرِ رُوحي ومِنْ أَعْماقِ وِجْداني...

(وقدأثبتنا هذه القصيدة كاملة في هذا الكتاب).

وظلَّ يجتمع في مجلسه الخاص أدباء وشعراء ممتازون، يعقد معهم المجالس الأدبية الطريفة، وينشد لهم الجديد من شعره.

وفي السنوات الأخيرة من حياته كُفَّ بصره، فزاد ذلك من شدّة حساسيته، وانطوائه على نفسه، وهروبه من الناس وإيثاره العزلة. وظل كذلك رهين المحبسين، العمى والعزلة، حتى استأثرت به رحمة الله عام ١٩٥١م. وظل سوء الحظ يلازمه بعد وفاته، كما لازمه في حياته، فقد أحرق أهله ديوانه، وجميع الأوراق الخاصة به، وهي عصارة فكره وروحه، ولم يَبْقَ من آثاره إلا ما كان مفرقاً بين أصدقائه..

وهذه الحياة المشجية الغريبة، وهذا الحظّ التعس الملازم لفهد بعد مماته، كانا من العوامل التي بعثت في نفسي الرغبة القوية، وحفزتني لإخراج هذه الدراسة عنه في هذا الكتيب الذي ضمَّنته بعض قصائده، التي كنا نحتفظ بها، والتي أمكن الحصول عليها من محبيه وعارفيه.

ثم إنَّ فهداً العسكر يُعَدُّ مدرسة أدبية ذات فكر متحرر، مدرسة تعمل على تحرُّر الشعر من قيوده الضيقة المصطنعة، ولا تؤمن بالأوضاع الموروثة، وتتجه نحو التجديد في الشعر. فقد كان فهد شاعراً مطبوعاً، لا يتكلف الشعر، ولا يحاكي القدامى، ولئن كنا نجد في قصائده الأولى أثرًا للتكلف، واحتذاء القديم، فإن شعره الأخير بعد نضوجه الفكري أخذ يتطور وينطلق انطلاقات واسعة، تمدّه في شعره ملكة أصيلة وخيال خصب، وعاطفة ثائرة، واطلاع واسع، وثروة في اللغة والأساليب، وكان للأحداث التي مرَّت على الشاعر أثرها في عقله وفنه. حتى ليمكننا أن نقول إن فهداً شاعر مطبوع، شبَّ على حبِّ الشعر، والتغني به، يضمّنه سخطه على الحياة وعلى المجتمع، وإنْ كنّا لم نعرف لفهد من الفنون الأدبية غير الشعر، الذي كان صورة صادقة واضحة لنفسه بهمومها، وحنقها على المجتمع، ونشدانها التجديد.

ولم يستسلم فهد استسلاماً كلياً للنزعة التشاؤمية، ويدعها تسود شعره، فقد كان كثير التغني بالجمال ومفاتنه، وبمشاهد الطبيعة، كما كان يصف ألوانَ الحياة، وينظم في وصف الراح ومجالسها وندماها، بالإضافة إلى مدحه وهجائه، وفخره ورثائه.

وكثيراً ما كان يُدْعى في مناسبة طارئة ليقول فيها الشعر، فيستجيب، فيأتي شعره فيها ضعيفا، يظهر فيه التكلف، لأنه لم يصدر عن شعور صادق، أو إحساس فيّاض. ومن هنا أخذ عليه بعض الأدباء ضعف بعض قصائده، وتكرار بعض الألفاظ والصور الشعرية فيها.

لكن شعره على العموم صادق جزل، في ألفاظه وأسلوبه ومعانيه. وقد كان فهد من الشعراء الذين يختارون ألفاظهم اختياراً دقيقاً، ويتأنقون في الأسلوب تأنقاً متقنا، وكان بعض الأدباء عندنا يأخذون عليه عنايته بالصياغة. وخلو شعره من المعاني الرفيعة في بعض الأحايين. والحقيقة

أنه كان - رحمه الله - يساير حركة التجديد في الشعر، وقد استطاع أن يُكوِّنَ لشعره طابعاً خاصاً مميزاً له، فشعره يختلف كثيرًا عن شعر غيره من الشعراء المعاصرين.

وفي شعره صور كثيرة للقومية، وحثُّ الأمة العربية على النهوض، وتحطيم القيود، والسير قدمًا نحوَ العزّ والمجد والسؤدد، وما زال صدى قصائده الحماسيّة يرنّ في أذني، وإن كنت لمْ أحفظها تماماً، فقد كانت تقام في الكويت حفلات قومية بمناسبة عيد رأس السنة الهجرية مثلاً، أو عيد مولد بطل العرب والإسلام محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فكانت هذه الذكريات العربية الخالدة، تدفع الشاعر إلى التغني بذلك المجد السالف العظيم، لاستنهاض الهمم والعزائم، لنبذ الجمود والخمود اللذين يسيطران على أمَّة العرب من جرّاء تكالب المستعمرين وأذناب المستعمرين على تقطيع أوصال هذه الأمة العظيمة المجيدة، ذات التاريخ الحافل بالبطولات والأمجاد، بغية الوصول إلى مآربهم الخبيثة، وأغراضهم اللعينة، لاستنزاف الخيرات التي تفيض بها الأرض العربية. ومن المؤلم حقًا ضياع أكثر هذه القصائد القومية فيما ضاع من شعره.

وشاعرية فهد هذه، بخصائصها وسماتها، عامل جديد من العوامل التي حبَّبت فهداً إلى نفوسنا... ومن أهم الألحان التي نغمها فهد، وتغنّى بها في شعره، الشكوى، الشكوى المريرة من الحياة والمجتمع والناس، وهذه الشكوى كثيرة في شعره، وهو الذي يقول فيما يقول فيها:

كُفّي المَلامَ وعَلِّليني	فالشَّكُّ أَوْدَى باليَقين
وتَناهَبَتْ كَبدي الشُّجُو	نُ فَمَنْ مُجيري مِنْ شُجوني
وأَمَضَّني الدّاءُ العَيَا	ءُ فَمَنْ مُغِيثي، مَنْ مُعِيني،
أينَ التي خُلِقَتْ لِتَهْـ	وَانِي وَبَاتَتْ تَجْتَويني
أُمّاهُ قَدْ غَلَبَ الأَسَى	كُفّي المَلامَ وَعَلِّليني

اللـــه يَـــا أُمّـــاهُ فِـــيَّ تَـرَفَّـقـي لا تَـعْـذُلِـيـنـي
أَرْهَـقْـتِ رُوحـي بـالـعِـتَـا بِ، فَـأَمْـسِـكِـيـهِ أَوْ ذَرِيـنـي
أَنـا شـاعِـرٌ، أَنَـا بـائِـسٌ أَنـا مُـسْـتَـهَـامٌ فـاعْـذُرِيـنـي

وشكوى الشاعر وأشجانه مما أثار في النفس عاطفة الحب لهذا الشاعر الحزين الشجيّ الشاكي، الذي يذيب شعره القلوب، ويثير فيها الألم واللوعة. وهذه العوامل وسواها مما لم أعد أذكره، هي التي دفعتني إلى القيام بواجب الكتابة عن فهد، وإلى نشر المطويّ من ذكرياته، وبعث ما نُسِيَ أو كاد يُنْسى من ألوان حياته، وتسجيل ما كاد يفقد من قصائده وأشعاره.

رحمك الله يا فهد وغفر لك. فقد كنتَ شاعراً في كلِّ ما تنظمه من آيات وروائع. وإخوانك وزملاؤك بالأمس لم ينسوك، ولا يمكن أن ينسوك، إنَّك خالد في قلوبهم وأرواحهم وذكرياتهم، لأنك مبعث كثير من هذه الذكريات الحالمة الخالدة.

إنَّ الأدب العربي الحديث في الكويت، وإنْ فَقَدَ، بدوافع الإهمال والنسيان، كثيراً من روائعه، فإنَّنا نرجو ونلحّ في الرجاء أن لا يسمح الأدباء الصادقون في الكويت، الذين يعتزون بتراثهم الذي هو امتداد للتراث العربي الخالد، نرجو أن لا يسمح هؤلاء الأدباء لأيدي الإهمال والنسيان أن تنسج خيوطها مرة أخرى على حاضرنا الأدبي عامَّة، وعلى فهد الشاعر على الخصوص.

- ١٩٥٦ -



من غير عنوان

فهد العسكر(*)

■ في عام ١٩٥٦م، أصدرتُ كتيباً عن المرحوم فهد صالح العسكر، يحتوي على بعض أشعاره التي كانت موجودة لديّ، وقد حاولت الحصول على المزيد من قصائده، وكتبت إلى الكثير من الذين كنتُ أعتقد أنهم يهتمّون بأشعاره، ويعتنون بجمعها، ويحاولون حفظها، إلَّا أنَّني مع الأسف الشديد لم أُوفَّق، ويحتوي هذا الكتيب أيضًا على بعض جوانب من حياته، وما علق بالذاكرة من ذكريات عنه، أثناء ترددي عليه، وخلال زياراتي المتقطعة له، وما كنت أعلمه عنه، ولا أدَّعي أنني أوفيت الشاعر حقَّه. ولا أقول إنَّني كتبت كل شيء عنه، فهناك الكثير من حياته لا أعرفه، والكثير من أموره لا أدريه، لكنّي على كل حال، حاولت بقدر استطاعتي، وحسب إمكانيتي، وبموجب معلوماتي عنه، أن أحفظ ذكره بما لديّ من قصائد وأشعار أنشرها في كتيب، حتى لا تضيع كما ضاع الكثير من شعره، وحتى لا يجرّ النسيان عليه أذياله، ولكي لا يمحو الزمن تاريخ حياته، ولو شيئًا من تاريخ حياته، وأظن أنَّني لو لم أحفظ له هذه البقية المتبقية من قصائده، ولو لم أطبعها مع نبذة عن حياته، لعفاها الزمن، ولضاع ذكره، كما ضاع ذكر الكثيرين، من الذين لمعوا في سماء الكويت، وأضاءوا فيها فترة من الزمن، ثم انطفأ لمعانهم بانطفاء حياتهم، وضاع ذكرهم هباء بضياع ما أنتجته عقولهم، وجرَّر النسيان عليهم ذيوله، فدخلوا عالمه، ولم تعدْ لهم ذكرى،

(*) هذه المقالة نشرت في مجلة «البيان» العدد رقم ٣١ - أكتوبر ١٩٦٨م.

ولم يبقَ لهم أثر، ولم يعدْ يهتمّ بهم أحد، ولا يعرفهم دارس، ولا يدري عنهم مؤرخ.

لقد كنت من أصدقاء الشاعر المرحوم، وأصدقاؤه في أواخر أيامه قليل، وكنت أختلف إليه بين فترة وفترة، أسمع منه الجديد من شعره، وأسجّله أحياناً، وفي كثير من الأحيان لا يوافق على تسجيل القطعة الشعرية، أو القصيدة الجديدة التي لديه، لأنه يريد إعادة النظر في بعض كلماتها، وكان رحمه الله كثير العناية في شعره، يجري الكثير من التعديلات على بعض الكلمات، يغيّر بعضها، ويقدم بعض الأبيات، ويؤخر البعض، ويحذف ويزيد، لأنه كان يعتني كثيراً بالأسلوب، ويهتمّ بموسيقى الشعر، وبجمال المعنى.

كنت أختلف إليه، أسمع منه، وأسمعه ما لديّ من جديد أيضًا، أناقشه، ويناقشني، يبدي رأيه، وأبدي رأيي وهكذا.

وكان المرحوم قد أهداني قصيدة من قصائده الجميلة الرائعة على أثر سماعه قصيدة طويلة، كنتُ قد نظمتها قبيل سفري إلى القاهرة، وقد قدّمها إليّ بعنوان «تحية واعتراف» ومطلعها:

ذَري الـقـلْـبَ يَـطْـوي حُـبَّـهُ ويُـواريـه
ذَريـه فـقـدْ أَقْـصـى هَـواكِ أَمَـانـيـهِ

وكان المرحوم قد قدَّمها إليّ في أواخر عام ١٩٥٠م، وفي غمرة تفكيري في الإعداد للرد على هذه القصيدة الجميلة الرائعة، بقصيدة من نفس الوزن والقافية، لجمالهما معاً، ولإعجابي بهما، إذ كنت أنوي أن أضمّن ردّي هذا شكري وتقديري لشاعرنا على ثقته وتقديره بإهدائي هذه القصيدة، ولم يكن من طبعه المديح والإطراء، ولا يحبّ الخوض كثيراً في هذا الباب الذي كثيراً ما طرقه الشعراء، في غمرة تفكيري في الإعداد للرد، فوجئت باختيار مجلس المعارف لي يومئذ، لأكون محاسباً لبيت الكويت في القاهرة، الأمر الذي أشغلني، وصرف تفكيري عن الرد على القصيدة في

ذلك الوقت على الأقل، فانشغلت بإعداد حقائب السفر عن الإعداد للقصيدة، وانصرف تفكيري بمشاغل العمل الجديد والتحضير له عن مشاغل الرد والتحضير لقصيدتي، وكنت أعدّ العدة للتوجه إلى القاهرة لأول مرَّة في حياتي. وبتاريخ ١٠ أكتوبر سنة ١٩٥٠م، حملت حقائبي وسافرت إلى القاهرة، وتسلمت عملي ببيت الكويت، وانهمكت في العمل الجديد، ونسيت كل شيء يتعلق بالقصيدة، وفي صيف عام ١٩٥١م، فوجئت بنبأ وفاة المرحوم فهد العسكر، فتألمت كثيراً لهذا النبأ، وتأثرت لهذه المفاجأة التي لم أكن أتوقّعها، فتذكرت القصيدة التي اعتبرتها دَيْناً عليّ لم أقم بوفائه، وعزمت على الوفاء به، ووجدت أن كثيراً غيره من أدباء وشعراء الكويت، ماتوا، وماتت معهم آثارهم، ولم يذكرهم أحد، ولم يُعْتَنَ بآثارهم، ولمْ يكلّف أحد نفسه بحفظ ما بقيَ من تراثهم وآثارهم، فأصبحوا في خبر كان، فضاع ما أنتجته عقولهم وأفكارهم، وأصبح على الباحث أن يبذل الكثير من الجهد والوقت للحصول على بعض نتاجهم، ليقدم بحثًا أو دراسة عنهم وعن تاريخهم، فقررت أن أحفظ لهذا الشاعر شيئاً من تاريخ حياته، وأن أكتب شيئاً عن شعره الجميل، وعن جلساته الأدبية، وعن طريقة حياته، فرحت أكتب إلى الكثيرين من أصدقائه ومحبيه، وإلى الذين يختلفون إليه ويزورونه، وإلى الذين يتتبعون قصائده، ويحفظون أشعاره، لجمع ما يمكن جمعه من شعره وقصائده، ومختلف آثاره الأدبية، وكنت أعلم أنه كان يعيش في أواخر أيام حياته في غرفة صغيرة مظلمة قرب (سوق واقف)، يتخذها سكناً له، وقد زرته فيها آخر مرة قبيل سفري إلى القاهرة للسلام عليه وتوديعه.

لقد كنت أخشى أن تضيع آثاره الأدبية التي تتمثل في مجموعة قصائده وأشعاره، في هذه الغرفة المظلمة، وكثيراً ما كان يحدثني عنها. ومن هذه الآثار، التي كان يحدثني عنها، مجموعة اختارها بنفسه، بناءً على رغبة أحد الفضلاء من المعجبين بشعره، اختارها من مختلف قصائده، ليطبعها هذا الرجل الفاضل في ديوان خاص، على حسابه الخاص، وقد اختار هذه

المجموعة من قصائده الخاصة بالغزل، وكانت لديه كثير من القصائد لا يريد نشرها، ولايحبّ أن تتناقلها الأيدي، وترددها الأفواه، لأنها ستثير ضجّة، وتحدث بلبلة، وتسبب له المزيد من الإحراج، وتخلق له الكثير من المتاعب، وهو في وضع أحوج ما يكون فيه إلى الهدوء، هدوء النفس، وراحة البال، وصفاء الذهن، لذلك اتفق مع هذا الرجل الفاضل واختار من مجموعة قصائده، ومن بين أشعاره الكثيرة، بعض القصائد التي رآها لا تعرِّض بأحد، ولا تمسّ شخصاً، ولا تنقد وضعاً، ولا تتعرض لمذهب من المذاهب، سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم دينية، قصائد اختارها بنفسه، ورضي بنشرها، وإخراجها في ديوان خاص، أمّا ما بقيَ من شعره وقصائده فلسوف يحكم عليها التاريخ، ويقرر مصيرها المستقبل، ويحلّ نشرها الزمن، والزمن حلّال المشكلات، كما يقولون.

وقد وقع ما كنت أخشاه، فضاعت آثار الشاعر الكثيرة، ولم أستفد إلَّا القليل من الأصدقاء والأصحاب الذين كتبت إليهم، والذين كنت أعرف أنهم من أصدقاء الشاعر ومحبّيه، يختلفون إليه ويهتمون بنتاجه، ويحفظون شعره، بل إن معظم هؤلاء الأصدقاء والأصحاب، لم يتجشَّم عناء الرد، ولم يتحمَّل تعب الكتابة، وبعضهم اعتذر من عدم وجود شيء لديه من آثاره، والبعض القليل من الأصدقاء المخلصين الذين يقدرون قيمة الأدب، ويدركون مدى الخسارة التي تلحق بتاريخ الأدب في الكويت، ويعرفون حكم التاريخ على مثل هذه الآثار الأدبية النفيسة، ويعلمون أن إنتاج فهد العسكر الأدبي، ستكون له قيمته الأدبية في المستقبل، وأنه لايقل عن إنتاج معظم شعراء الأمة العربية الكبار، وأنه سيحفظ جانبًا من تاريخ منطقتنا الأدبي، هؤلاء الأصحاب القلائل أمدّوني بالقليل الذي كان لديهم من آثار المرحوم، وهذا القليل لا يفي بالغرض المطلوب، ولا يكفي لإعطاء صورة واضحة عن حياة المرحوم، إذاً لم أجدْ بدّاً من الرجوع إلى أوراقي الخاصة، أفتش فيها، وأجمع ما لديّ من قصائد، كنت أحتفظ بها بين أوراقي، وكنت أنقلها من الشاعر أثناء زياراتي

له، وكذلك ظللت أجمع هذه القصائد المتناثرة بين أوراقي، وفي كتبي، وكنت حريصًا عليها، فجمعتها ووجدت أنها مجموعة لابأس بها، ومع هذا حاولت بكل جهدي الحصول على المزيد من أشعاره التي لا أعرف عنها شيئًا، ولم يسبق لي الاطلاع عليها، لكن دون جدوى، فأخذت أعود بالذاكرة إلى الوراء، وأسجّل ما علق بها من ذكريات عن حياته العجيبة المضطربة، وعن المآسي التي مرت به، وعن المفارقات المختلفة في حياته، مع أهله ومع الناس، إلى أن أخرجت هذا الكتيب الذي سمّيته (فهد العسكر، حياته وشعره) لعلي أكون بهذا الكتيب قد وفيت بالدَّيْن، وقمت ببعض الواجب عليَّ نحوه، وحفظت شيئاً من تراثنا الأدبي، واستجبت لندائه حينما قال في قصيدته «اذكريني»:

أنــا إنْ مُــتُّ أَقــيــكُــمْ يَــا شَــبَــابْ

شَــاعِــرٌ يَــرْثــي شَــبَــابَ الــعَــسْــكَــرِ

ولعلّي أيضًا أكون قد رددت بهذا الكتيب على قصيدته الجميلة التي قدَّمها إليّ.

ومنذ صدور هذا الكتيب، والبحث متواصل عن أشعاره وعن آثاره الأدبية، إن كانت هناك آثار غير آثاره الشعرية، وقد تمكنت خلال هذه المدة من العثور على بعض قصائده، بعضها وجدته بين أوراقي وداخل كتبي، وبعضها حصلت عليه من بعض الذين يحتفظون بآثاره، وبعضها وجدته منشوراً في بعض الصحف والمجلات الأدبية، فتجمع لديّ عدد لا بأس به من أشعاره، وآمل أن أتمكن من إضافة هذه الأشعار إلى الطبعة الثانية من هذا الكتيب، إن شاء الله تعالى.

وقد سبق أن نشرت في مجلة «الطليعة» الكويتية قصيدة من هذه القصائد التي عثرت عليها. وهي قصيدة رمزية جميلة، مطلعها:

يا ميُّ نابَ السَّمعُ عنْ بَصَري　　في اللَّيلةِ الظَّلْماءِ مِنْ صَفَرِ
ذَهَبَتْ فَلا رَجَعَتْ مُخَلَّفَةً　　في غَورِ رُوحي أَعْمَقَ الأَثَرِ

وهي قصيدة رائعة، استعمل فيها روح التهكم والسخرية، على الأوضاع المقلوبة التي كان يشاهدها أمامه في ذلك الوقت، وعلى المفارقات العجيبة بين الناس، وعلى الأمور الغريبة التي تدعو الإنسان إلى الإمعان فيها، والتأمل في الحياة التي تسود البشر:

ماذا أقُولُ وإنْ شَكَوْتُ فَمِنْ　　جَوْرِ القَضَاءِ وَقَسْوَةِ القَدَرِ
الصَّدْرُ مُنْقَبِضٌ، ولا عَجَبٌ　　والنَّفْسُ نَهْبَ الْهَمِّ والضَّجَرِ

ثم يقول هازئاً متهكماً:

مَالِي أُحَيّي الشَّمْسَ مُغْتَبِطاً　　عِنْدَ الغُروبِ بِأَرْوَعِ السُّوَرِ
مَالِي أُوَدِّعُها إذَا طَلَعَتْ　　بِمَدامِعي وَأَعُودُ بالكَدَرِ

إنها سخرية، وأية سخرية أنْ يُحيّي الشمس عند الغروب، وكان المفروض أن يودعها، وأن يودعها إذا طلعت، وكان المفروض أن يحيّيها!

ثم يمعن في السخرية، ويطلق العنان لبنات أفكاره، تصور الأوضاع التي يراها مقلوبة، ويهزأ من هذه الأوضاع التي يرى عاليها سافلها، ويشاهد سافلها عاليها فيقول:

مَالِي أَرَى الغربَانَ طَائِرَةً　　والصَّقْرَ دامي القَلْبِ لَمْ يَطِرِ
مَالِي أرَى جَاري يُكَفِّرُني　　ويُقَدِّمُ القُرْبَانَ للحَجَرِ
مَالِي أَرَى العُرْيانَ يَسْأَلُهُ　　عَنْ بَيْتِ لَيْلَى كُلُّ مُؤْتَزِرِ

ويستمر هكذا في إمعانه بالسخرية من الغربان الطائرة، والصقور المجروحة، ومن ذلك الدّعيّ المنافق الذي يدجّل على الناس ويكفرهم في دينهم، وهو الأَوْلى بالتكفير، يحرم الصهباء بين الناس صبحاً، ويشربها تعمداً وخفية عن الناس في المساء، ثم تصل به السخرية إلى قمتها، فيروح

يرسل بعض النكات، وكأنه يخفف بها عن الغليان الذي يعانيه، وينفس عن الألم الذي يشعر به، والأسى الذي يحسّه، فيغني أسًى وألمًا ويقول:

سَرَقَ ابْنُ آوى ديكَنا سَحَراً ... وَدَجاجُنا مِنْهُ عَلى خَطَرِ
والفَأْرُ يَشْرَبُ بَيْضَها طَرَباً ... أَبداً، فيا لَتَبَلْبُلِ الفِكَرِ
إِنْ جُعْتَ يَا صَيّادُ وَيْحَكَ لا ... تَتْعَبْ وَخَلِّ الطيْرَ في الشَّجَرِ
وتَعالَ حَدِّثْنَا وَصَلِّ بنا ... وَأْكُلْ كَغَيْرِكَ أطْيَبَ الثَّمَرِ

وهكذا يسير في هذه القصيدة الرائعة، ويصور فيها أحاسيسه ويعبر عن مشاعره وآلامه، ثم يترك النكات، ويعود إلى الواقع المر فيقول:

لا تَحْسبي يَاميُّ أَنَّ يَدي ... مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ يَدُ الأَشِرِ
فَالحُرُّ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ هُنا ... وهُناكَ بَيْنَ النَّابِ والظّفرِ
حَسْناءُ هَاكِ وَحَطِّمي قَدَحي ... فالكَأْسُ قَدْ دَارَتْ عَلى البَقَر
لا تَعْجَبي مِمّا صَدَعْتُ بِهِ ... فالنّارُ لا تَخْلو مِنَ الشَّرَرِ
حَسْنَاءُ والأَجْفانُ قَدْ ثَقُلَتْ ... هَاتي الدَّواءَ وَكَحِّلي بَصَري

ولعلنا في أعداد قادمة من هذه المجلة «البيان»، نلقي بعض الأضواء على حياة شاعرنا فهد، وننشر بعض القصائد التي تم العثور عليها، والتي لم تنشر، ولم يطّلع عليها الكثير، ولعل في نشر بعض هذه القصائد الجميلة، وإعادة الحديث عن ذكراه، حافزاً لمقدّري شعره، والمعجبين به، على السّعي والمزيد من البحث للحصول على ما يمكن الحصول عليه من آثاره، عند محبيه، وفي المجلات التي لم نطلع عليها، ولعل المرحوم كان ينشر بعض قصائده في بعض الصحف والمجلات الأدبية في العراق، أو في بعض البلاد العربية الأخرى.

٦/٨/١٩٦٨م



نسبه

■ إن أسرة «العسكر» من الأسر العربية الكثيرة التي هاجرت إلى الكويت من قلب الجزيرة العربية، ومعظم سكان الكويت أصلهم من الجزيرة العربية، ولا غرابة في ذلك، إذ أن الكويت جزء من الجزيزة العربية التي كثيراً ما دفعت بموجات وموجات إلى خارج الجزيرة، حيث انتشرت هذه الموجات العربية المتتابعة في مختلف أنحاء الوطن العربي على امتداده واتساعه، والكويت ليست خارج الجزيرة العربية، وإنما هي امتداد طبيعي لها.

أما أسرة شاعرنا «فهد»، فأول من هاجر منها إلى الكويت هو جده «محمد بن عبدالله بن علي بن عسكر» من أهل مدينة الرياض في قلب جزيرة العرب، وكان محمد هذا تاجرَ غنم وإبل، وبحكم تجارته هذه، فقد كان كثير التنقل بين الكويت والرياض، إذ أن عمله التجاري هذا، يتطلّب منه التنقل بين مختلف أنحاء الجزيرة العربية، لكن الكويت كانت من أهم المدن التي تتعامل في تجارة الغنم والإبل. ولكثرة تردّده على الكويت، تعرَّف على كثير من أهلها، لا سيما أولئك الذين يعملون في تجارة الغنم والإبل. كما توطدت بينه وبين الشيخ دعيج بن جابر الصباح أيضًا أواصر الصداقة والمحبة، الأمر الذي شجعه على الانتقال إلى الكويت، والعيش فيها مغ أصحابه الكثيرين، فهاجر إليها، واتخذها مقراً له ولأعماله. وكان كثير الزيارة والتردد على الشيخ دعيج، وكان مجلس الشيخ دعيج هذا عادة في «مقهى بوناشي» في السوق الداخلي، حيث ينظر في هذا المقهى إلى

كثير من شئون أهل الكويت وقضاياهم، والعمل على حلّ هذه القضايا والمشكلات بالطرق المعروفة في ذلك الحين، إذ كثيراً ما كانت المشكلات والقضايا والخلافات تحل بطرق التفاهم، إذ أن الكويت كانت صغيرة في ذلك الحين، وكان عدد سكانها قليلاً، وكان أهل الكويت أشبه بالأسرة الواحدة المترابطة. أما (مقهى بوناشي) أو (قهوة بوناشي) - كما يسميها الكويتيون - فظلت معروفة مشهورة إلى عهد قريب جداً، وكانت تعتبر المجمع الرئيسي لكبار الكويتيين وتجارهم، وأكثر أهل الكويت يعملون في التجارة، على اختلاف أنواعها.

إن الشيخ دعيج بن جابر الصباح هو ابن جابر الأول ابن عبدالله الصباح الحاكم الثالث، الذي كان يلقب «بجابر العيش» لكرمه وتصدقه على الفقراء والمساكين، والعيش كما يعرفه الكويتيون، هو «الأرز»، إذ أن هذا الحاكم الكريم كان يطبخ الكثير من «الأرز»، ويوزعه على الفقراء والمساكين ليتعيشوا منه، وظلت عادة طبخ «الأرز» وتوزيعه على الفقراء مستمرة مدة من الزمن بعد وفاته. ودعيج بن جابر العيش حكم في الكويت مع كل من محمد وجراح، ومحمد هو الحاكم السادس، حيث تسلم الحكم في شهر ذي القعدة عام ١٣٠٩ هجرية، وتعاون مع أخيه جراح على إبعاد أخيهما مبارك، لطموحه الشديد، وحبه للحكم، ومغامراته في الغزو والقتال، الأمر الذي أدّى إلى مضايقته، وأثار حفيظته، ودفعه إلى قتلهما والقضاء عليهما والاستيلاء على الحكم. وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٣هجرية، على الصورة التي ترويها كتب تاريخ الكويت.

إذاً فمحمد بن عبدالله بن علي بن عسكر، جد شاعرنا فهد، هاجر إلى الكويت في عهد دعيج بن جابر الصباح الذي كان يحكم مع كل من محمد وجراح. ولما اشتدت أواصر الصداقة والمودة بين محمد العسكر ودعيج، خط له دعيج بيتًا في سكة «عنزة»، حيث بناه، وسكنه، وأقام فيه، وهو

قرب بيت ابن فرهود الذي استأجره ابنه صالح، والد شاعرنا فهد، ثم اشتراه فيما بعد. كما سنوضح ذلك في الصفحات التالية من هذا الكتاب.

أما صالح العسكر والد شاعرنا «فهد». فقد نشأ متديناً محافظاً على الصلوات الخمس، يؤديها في أوقاتها مع الجماعة في المسجد. كما هي عادة الكويتيين، وأصبح إمامًا لمسجد الفهد بقرب «مسقّف الجوعان»، وهو صغير السن. وأنشأ مدرسة خاصة أيضاً يدرّس فيها القرآن الكريم على الطريقة البدائية القديمة، كما جرت عليه العادة في الكويت، ومن تلاميذه: محمد عبدالمحسن الدعيج، ومحمد البرقش، وغيرهما كثيرون. ولصالح العسكر قصة طريفة، قصها عليّ ابنه خالد شقيق شاعرنا فهد، وهي قصة يجب أن تروى عن حياة هذا الشاب في ذلك العهد. فقد حدث أن وقع خلاف وسوء تفاهم بينه وبين زوجته، وهي زوجته الأولى أم عبدالعزيز وعبدالرزاق، أدى هذا الخلاف إلى إقدامه على طلاقها، وقد أقدم على هذا الإجراء القاسي مع زوجته - وهي حامل منه - نظراً لحدّة مزاجه، وعصبيته، وكانت ساعة غضب سرعان ما زالت، فهدأت نفسه الشابة ورجع إلى حالته الطبيعية، فوجد أنه أقدم على أمر خطير، لا يجوز أن يبدر منه، وعلى هذه الصورة، التي أدت إلى إبعاد زوجته عنه، فندم على هذه الفرقة غير المقصودة، لكنه وجد أنه قد احتاط للأمر، لأنه طلق طلقة واحدة، فأراد أن يعيد زوجته إليه، وكان في هذه الأثناء يدرس الدين على يد الشيخ محمد الفارس، فاستشاره في الأمر، إلَّا أن الشيخ محمد الفارس اعترض على إعادتها إليه - تشدداً منه وحرصاً - وهنا أراد أن يتأكد من الأمر لدى القاضي، فذهب إلى الشيخ خالد العدساني، وكان قاضيًا للكويت، يستفتيه في إعادة زوجته إليه، فأفتى له بجواز إرجاعها وإعادتها إليه، نظراً لأن الطلاق الذي حدث بينهما كان في حالة غضب شديد، وعصبية بالغة، زد على ذلك أنه كان طلقة واحدة. إلا أن صالح العسكر، أخبر القاضي خالد العدساني بما حدث له مع الشيخ محمد الفارس، الذي

أفتى بعدم جواز إرجاع زوجته إليه، مع العلم بأنه أخبر الشيخ محمد الفارس بأن الطلاق الذي تم وقع في حالة غضب، كما أنه طلقة واحدة! فأجابه الشيخ خالد العدساني: أنه إذا كان هناك اعتراض لدى الشيخ محمد الفارس أو أية حجة يحتج بها، فليحضر إلينا ويبدي رأيه، ويوضح حجته، لا أن يحكم من الخارج، ونحن على أتم استعداد لمناقشته في رأيه، وبحث حجته. وكان صالح العسكر في ذلك الوقت شاباً في العشرينات من عمره، فاقتنع بإيضاح القاضي العدساني، ووافق على رأيه، ونفذ فتواه، واتبع كلامه الذي أجاز له عودة زوجته إليه، وكانت فتوى القاضي الشيخ العدساني مشروطة بشرط أن يسألها أولاً، فيما إذا كانت توافق العودة إليه، أم لا؟ فنفذ هذا الشرط، وعادت إليه زوجته، وشريكة حياته، طائعة مختارة، ولما علم الشيخ محمد الفارس بعودتها إليه غضب عليه، واعترض على عودتها، لعدم جواز ذلك حسب رأيه، فهدده قائلًا: إما أن تطلقها، وإلا فسوف نترك الصلاة وراءك، وهنا ثارت ثائرة صالح العسكر الشاب، وكان كما ذكرنا، حادّ المزاج، عصبياً، فغضب غضبًا شديداً من هذا التناقض الذي يراه بين المحلل والمحرم، فأقدم على ترك إمامة المسجد، ولم يكتف بذلك، وإنما ترك مدرسته التي كان يدرس فيها أيضًا، وكان يعيش من دخلها المتواضع البسيط، ترك إمامة المسجد وترك التدريس قائلًا: «إن العيشة التي تأتينا من وراء هؤلاء المتناقضين، لا نريدها، والرزق على الله وحده». وما أن علم والده محمد بتصرفه هذا حتى طرده من البيت، فبقي في حيرة من أمره، واستأجر بيت ابن فرهود الواقع في سكة «عنزة»، كما ذكرنا سابقًا، وكان إيجار هذا البيت ريالًا واحداً في الشهر، فأصبح في ضيق شديد، وضنك من العيش، وأخذ يفكر في مستقبله.

لقد كان لصالح أحد الأصحاب الأوفياء، الذين يقدرونه، ويكنون له كل مودة واحترام، وهذا الصديق هو عبدالله بن حمد العبدالمحسن العتيقي، والد سالم العتيقي، وجَدُّ الصديق عبدالرحمن العتيقي وزير مالية الكويت

في الوقت الحاضر. وكان عبدالله العتيقي هذا وكيلاً على أملاك الشيخ مبارك الصباح، ويعطف كثيرًا على صالح العسكر، ولما علم بما حدث له مع المسجد والمدرسة، ثم مع والده، حدث بشأنه الشيخ مبارك الصباح، وشرح له الملابسات، التي أدت إلى تركه الصلاة إماماً في المسجد، وكذلك تركه المدرسة التي كان يعيش على إيرادها، وذكر كلمته التي قالها غاضباً بعد ترك المسجد والمدرسة: «إن العيشة التي تأتينا من هؤلاء المتدينين المتناقضين لا نريدها، والرزق على الله وحده».

عندما سمع الشيخ مبارك الصباح هذه القصة من عبدالله العتيقي، طلب منه أن يحضر إليه في المرة القادمة، ومعه صالح العسكر بطل هذه القصة الطريفة. وعندما حضر صالح العسكر مع عبدالله العتيقي إلى مبارك الصباح. سأله مبارك: كيف أعدت إليك زوجتك التي طلقتها، وقد حرمها عليك الشيخ محمد الفارس؟

فأجابه صالح العسكر على الفور: ولماذا اعتمدت الحكومة الشيخ خالد العدساني قاضياً شرعياً للكويت؟

فسكت مبارك الصباح، بعد ملاحظة صالح العسكر هذه، وإجابته الفورية، وما يعنيه منها! وبعد ذلك أصدر حكمه بتعيينه موظفاً لديه في «الجمارك».

كانت الرسوم، التي تستوفى في ذلك الوقت، تسلم يومياً إلى الحاكم، وعندما باشر صالح العسكر عمله في «الجمارك» المكوس، واستوفى الرسوم المقررة في اليوم الأول من عمله، ذهب في اليوم الثاني إلى مبارك الصباح، حاملاً معه قيمة الرسوم لكي يسلمها إليه، وصادف أن رآه عبدالله العتيقي، ومعه صرة من الدراهم، فسأله: وما هذا الذي معك يا صالح؟ فأجابه: إن هذه الأموال التي استوفيتها أمس من الرسوم، أريد تسليمها إلى

مبارك!! فاستغرب عبدالله العتيقي قائلاً لصالح العسكر: إنك لو سلمت هذا المبلغ من المال كله دفعة واحدة إلى مبارك، فإنه سيطالبك بأن تسلم إليه يومياً مثل هذا المبلغ!! فسأله صالح وما العمل إذاً؟ فأجابه عبدالله العتيقي، إن الرأي أن تسلم إليه نصف هذا المبلغ فقط، وتحتفظ بالنصف الثاني، ففعل صالح العسكر وعمل بنصيحة زميله عبدالله العتيقي. وسلم إلى مبارك نصف قيمة الرسوم التي استوفاها في أول يوم من عمله، ومع ذلك فقد تعجب مبارك، وسرّ كثيراً، مستكثراً هذا المبلغ الذي لم يكن يتسلم مثله من قبل.

وعندما تسلم مبارك هذا المبلغ، وجَّه كلامه إلى كل من صالح العسكر وعبدالله العتيقي قائلاً: إن هناك أموالاً كثيرة كانت تضيع علينا كل هذه المدة الطويلة، وقبل أن يتسلم صالح عمله، وكان يعني بذلك أن الذين كانوا يشرفون على استيفاء الرسوم من «الجمارك»، لا يسددونها كاملة وإنما يتلاعبون في الكثير منها، ولا يسدّدون منها إلّا القليل.

وعلى هذا الأساس أجرى راتباً شهريًا لصالح العسكر مكافأة له على اجتهاده وإخلاصه في عمله، قدره عشرون ريالاً، وهو مبلغ محترم جدًا في ذلك الوقت، فقرر صالح أن يشتري البيت الذي استأجره من ابن فرهود، بمبلغ مائة ريال، يسددها على أقساط شهرية من راتبه، ولما علم مبارك بذلك، دفع المبلغ من حسابه الخاص، وسجل البيت باسم صالح العسكر. واستمر في عمله في «الجمارك»، وتحسنت حالته المادية تحسنًا ملموسًا، وارتفعت مكانته لدى مبارك، الأمر الذي أدَّى إلى أن أصبح وكيلاً عاماً على أملاكه، وعلى أملاك كل من جابر وسالم بعد مبارك. وفي عهد أحمد الجابر أصبح مشرفًا على الدكاكين الخاصة، وعلى «جمرك البادية»، بحيث أصبحت الرسوم تستوفى على البضائع التي تخرج من الكويت إلى البادية، مثل التمور، والأرز، والحنطة، والشعير، وغير ذلك من البضائع الأخرى،

وكان يتسلم الرسوم بموجب أوراق يصدرها، وتعرض عن طريق «الدروازة» للسماح بخروج البضاعة التي تكون رسومها قد سددت، و«الدروازة» هي الباب الذي تخرج منه البضائع من الكويت إلى البادية. وكان للكويت عدة أبواب خارجية، تسمى «دراويز» أو «دروازات» مفردها «دروازة»، وهذه الكلمة ليست عربية على كل حال.

وبجانب ذلك كان يشرف أيضًا على رسوم المواشي، ويقال إن الرسوم كانت في ذلك الوقت كالآتي:

١ - الرسم على رأس الغنم يبلغ ثلاث آنات.

٢ - الرسم على رأس الإبل يبلغ روبية وآنتين.

٣ - الرسم على رأس البقر يبلغ روبية وآنتين.

والروبية هي العملة الهندية التي جعلتها بريطانيا العملة الرسمية للكويت أيضًا، وتساوي «١٦ آنة»، والآنة تساوي أربع بيزات، أي أن الروبية الهندية تساوي «٦٤ بيزة»، كما أن البيزة الواحدة، تساوي ثلاثة «آرديات» أو ثلاثة «أواردي».

لقد كان صالح رحمه الله متديناً، محافظاً على أداء الصلاة في أوقاتها، يؤدي الفروض الخمسة في المسجد مع الجماعة، وكان يأخذ معه أولاده إلى المسجد في كل فرض من الفروض، حتى صلاة الفجر كان يأخذهم معه إلى المسجد، وكان يحبهم كثيرًا، ويعطف عليهم، وينفق عليهم بسخاء.

أما أولاده فعددهم تسعة بين ذكور وإناث. فأولاده من زوجته الأولى أربعة، هم «عبدالرزاق، وعبدالعزيز، وابنتان» وأولاده من زوجته الثانية (الأخيرة) عددهم خمسة، هم «محمد وعيسى، وفهد وخالد، وابنة واحدة».

وفي أواخر حكم الشيخ سالم ضعف بصره، فسافر إلى «بومباي» في الهند لعلاج عينيه، لأول مرة، وكان ذلك في آخر سنة من حكم الشيخ سالم أي سنة ١٩٢٠م تقريبًا. وسافر مرة ثانية بعد تولي الشيخ أحمد الجابر الصباح الحكم بسنة واحدة، أي سنة ١٩٢٢م تقريباً. وسافر مرة ثالثة بعد حكم الشيخ أحمد الجابر بأربع سنوات أي سنة ١٩٢٥م تقريبًا، أي أنه سافر إلى الهند لعلاج عينيه ثلاث مرات، وفي أواخر أيام حياته كف بصره، وتوفي عن عمر يناهز التسعين عامًا، وكانت وفاته في العشرين من شهر رمضان سنة ١٣٦٦هـ، وتوافق يوم ٧ أغسطس سنة ١٩٤٧م.

* * *

مَولــده

ﷺ من الصعب، بل من المتعذَّر علينا، أن نحدد تحديداً قاطعاً تاريخ اليوم الذي ولد فيه شاعرنا «فهد»، وأطل على هذه الحياة. لتعذّر وجود الوسائل الحقيقية التي نعتمد عليها في هذا التحديد. وإنما نستطيع أن نحدّد فترة من التاريخ ولد خلالها وأطلّ على هذا الوجود أثناءها، ذلك أننا لم نعثر على أية وثيقة، أو أية دالّة، سواء كانت رسمية أم غير رسمية تثبت تاريخ ميلاده. وقد كانت الكويت في ذلك الوقت، بل وإلى وقت متأخر قريب، لا تسجل مواليدها، ولا تسجل وفياتها، بل لا تسجل حتى الزواج الذي يتم بين الزوجين. حتى تاريخ وفاة شاعرنا «فهد»، لم نستدل عليه من وزارة الصحة في الكويت. فقد سألت الطبيب المختص الذي كان يشرف على علاجه في المستشفى الأميري عن وفاته، فلم يستطع تحديد اليوم والتاريخ الذي توفي فيه، أي حتى وقت وفاة شاعرنا لم يكن هناك تسجيل رسمي للوفيات في الكويت.

لقد كان المصدر الرئيسي لمعرفة تاريخ الولادة، وتاريخ الوفاة في الكويت، هو الأحداث المشهورة التي تحدث في الكويت، فبعض الكويتيين يعرفون تاريخ ولادتهم عن طريق مثل هذه الأحداث، وكذلك بعض الوفيات تعرف بواسطة هذه الأحداث المشهورة. وهذه الأحداث المشهورة مختلفة الأشكال، متعددة الجوانب، فمرّة تعرف الولادة أو الوفاة لوقوعها في حادثة حربية، ومرَّة أخرى تعرف لوقوعها في حادثة أخرى من حوادث الطبيعة مثلا، وحوادث الطبيعة كثيرة، كحوادث الغرق، أو

حوادث الأمطار الغزيرة الهدامة للبيوت، أو عواصف مخربة. والكويتيون كانت حياتهم قاسية، تقوم على البحر في معظمها، عن طريق الغوص في مواسمه المتعددة، وعن طريق الأسفار في السفن الشراعية التي تجوب الخليج العربي كله، والبحر العربي، وسواحل الهند وأفريقيا والبحر الأحمر، كما كانت بيوتهم مبنية من الطين، وكانت كثيرًا ما تتعرض للدمار من جرّاء هذه الأحداث.

وهناك تواريخ ميلاد، وتواريخ وفيات كثيرة، ظلّت مجهولة لعدم وقوعها خلال هذه الأحداث التي ذكرناها، وظلَّ أصحابها مجهولي المولد، مجهولي الوفاة.

فحوادث مثل حادثة وقعة «الرقعي» أو وقعة «الجهرة» أو غيرهما من الحوادث الحربية التي وقعت في الكويت، سجلت فيها تواريخ ميلاد وتواريخ وفيات كثيرة. وحوادث مثل حادثة الرجبية (هدامة) أو حادثة «الطبعة» أو حادثة «الجدري»، سجل فيها الكويتيون كثيرًا من تواريخ الولادة وتواريخ الوفيات.

وهناك أحداث كثيرة أخرى أيضًا اتخذها الكويتيون علامات مميزة، ودلائل ثابتة. لمعرفة تواريخ الولادة وتواريخ الوفاة، وهذه الأحداث مثل بناء «سور الكويت» ومثل قتل الشيخ مبارك الصباح لأخويه محمد وجراح، ومثل حادثة «المجلس التأسيسي»، وغيرها من الأحداث الشهيرة التي حدثت في تاريخ الكويت.

أما الذي يولد أو يموت بهدوء، أي بدون أحداث هامة مثيرة في الكويت، فإن تاريخ ميلاده يصبح مجهولاً، وكذلك تاريخ وفاته، وقليل من الكويتيين الذين يسجلون في مذكراتهم تواريخ ميلاد أبنائهم أو أعزائهم، أو تواريخ وفاتهم.

ويظهر أن شاعرنا «فهد» من الذين لم يولدوا أثناء أحداث مثيرة هامة كهذه الأحداث، ولهذا بقي تاريخ ميلاده غامضاً، وليس معروفاً معرفة أكيدة قاطعة. فلا اليوم الذي ولد فيه معروف، ولا الشهر معروف ولا السنة أيضًا، ولهذا أصبح من المتعذر علينا تحديد تاريخ ولادته، إلا أننا سنحاول أن نلقي أضواء على تاريخ ميلاده، ونحدد فترة لهذا التاريخ، من خلال ما جمعناه لدينا من مصادر. وهذه المصادر لا تساعدنا على تحديد اليوم أو الشهر أو السنة التي ولد خلالها، وإنما تساعدنا على تحديد الفترة التي ولد خلالها، وهذه الفترة قد نستطيع حصرها بين أربع أو ست سنوات.

فقد جاء في كلمة للأستاذ عبدالله النوري بعنوان «ذكريات عن فهد العسكر» نشرت في جريدة الوطن العدد رقم (١٠٨) بتاريخ ١٠/٨/ ١٩٦٤م وهو أحد الأساتذة الذين درَّسوه: «كان المرحوم الشاعر فهد العسكر تلميذاً عندي في المدرسة المباركية والمدرسة الأحمدية، وعلى ما أذكر أن دراسته بدأت عندي في عام ١٩٢٢م، في حين أن ولادته على ما أظن كانت في عام ١٩١٠م. . . وأنه ترك المدرسة في سنة ١٣٤٩هـ (توافق سنة ١٩٣٠م) ولم أره بعد ذلك، حتى كانت حفلة المولد النبوي سنة ١٣٥٢هـ (توافق ١٩٣٣م)، فألقى قصيدة في المدرسة المباركية هزت مشاعر الناس، وأخذت بألبابهم، وكان من نتيجة ذلك، أن ظهر فهد العسكر كشاعر له مكانته».

وجاء في كتابَيْ «المطالعة والنصوص الأدبية - للصف الأول الثانوي» و«المطالعة والنصوص الأدبية - للرابع المتوسط» أن الشاعر «فهد العسكر» ولد سنة ١٣٣٢هـ (توافق ١٩١٣-١٩١٤م)، ولم يُذكر المصدر الذي اعتمدا عليه في تحديد هذا التاريخ، وهذان الكتابان، صدرا عن وزارة التربية في الكويت.

وجاء في مقال للأستاذ عبدالرزاق البصير عن «فهد العسكر»، منشوراً في

العدد ٧١ من مجلة العربي، «إن ما ذكرناه عن فهد العسكر مأخوذ عن أصدقائه الذين عاصروه، وأحاديثهم عنه مضطربة بعض الاضطراب، فنحن لا نعرف السنة التي ولد فيها، وكل ما نعرفه عنه في هذا الصدد أن ولادته كانت سنة ١٩١٤م. ومنهم من يقول إنه ولد قبل ذلك بقليل، ومنهم من يقول بعد ذلك بقليل».

أما والدته فتقول - كما حدثني شقيقه خالد - بأن «فهدًا» ولد في أول سنة من حكم الشيخ سالم المبارك، فإذا ما علمنا بأن الشيخ سالم المبارك تولى الحكم سنة ١٩١٧م. فمعنى ذلك أن «فهدًا» حسب قول والدته مولود سنة ١٩١٧م.

وحدَّثني شقيقه خالد، بأن والده صالحاً عندما ضعف بصره، سافر إلى الهند لعلاج عينيه ثلاث مرات، سافر في المرة الأولى سنة ١٩٢٠م، وفي المرة الثانية سنة ١٩٢٢م، وسافر في المرة الثالثة سنة ١٩٢٥م، ولما كان يحب ولده «فهدًا» حباً كثيراً، فقد أخذه معه إلى الهند في المرة الثالثة، وكان عمر «فهد» ست سنوات، وإذا صحَّت هذه الرواية، فإن تاريخ مولده يكون سنة ١٩١٩م.

إن هناك اختلافاً بيّناً في تحديد تاريخ ميلاده، حسب هذه الروايات التي ذكرناها. أما الرواية الأخيرة التي حدثنا فيها شقيقه خالد، من أن والده أخذه معه إلى الهند وعمره ست سنوات في المرة الثالثة من سفره إلى الهند لعلاج عينيه، قد تكون في المرة الثانية، وليس في المرة الثالثة، فإذا ثبت أن والده أخذه معه إلى الهند في المرة الثانية سنة ١٩٢٢م، وعمره ست سنوات، فمعنى ذلك أن تاريخ ميلاده تحدد بسنة ١٩١٦م، ولعلَّ هذا التاريخ أقرب إلى الواقع.

إذاً فإننا نستطيع أن نحدِّد الفترة التي ولد فيها «فهد» بخمس سنوات، من سنة ١٩١٣ إلى سنة ١٩١٧م.

أما المكان الذي ولد فيه ففي بيت والده (صالح) الواقع في «سكة عنزة»، وهو البيت الذي استأجره والده أوَّلاً من ابن فرهود، ثم اشتراه منه، عندما تحسنت حالته المادية، «وسكة عنزة» هذه، كانت تمتد من شارع المدرسة المباركية، وتنتهي في الشارع الجديد، وقد طمست معالم هذه السكة أخيرًا، عندما امتد العمران إلى داخل الكويت، ومن الذين كانوا يسكنون في هذه السكة السيد محمد الخال، والسيد حمد المشاري، والسيد صالح العتيقي وغيرهم، وكانت «سكة عنزة» هذه، توازي «سوق الطراريح» الذي يسمى في الوقت الحاضر بسوق اللحم أو سوق الخضرة، وربما سميت هذه السكة باسم «عنزة» لتجمع الأغنام فيها صباحًا ومساءً، عندما يسرح بها راعي الغنم أو (الشّاوي)، كما يسمّيه الكويتيون، في الصباح ويعود بها في المساء.

ولا يضير «فهداً» أن يكون قد ولد سنة ١٩١٣م أو سنة ١٩١٧م، أو قبل سنة ١٩١٣م بقليل، أو بعد سنة ١٩١٧م بقليل أيضًا، كما لا يضيره أن يكون قد ولد في «سكة عنزة» أو في غيرها، إنما المهمّ أنه ولد خلال هذه الفترة المحددة، وفي الكويت، هذا الجزء من وطننا العربي الكبير الممتد من هذا الخليج العربي، إلى ذلك المحيط الأطلسي. والمهمّ أيضًا أن يكون قد ولد في هذا الوطن، وفي هذه الفترة من الزمن، شاعر طالما غنى فأطرب، وناح فأبكى، وأنشد فأعجب، غنى فترة من الزمن ألحاناً شجية عذبة، وغرد بأنواع شاكية باكية من الأغاريد التي تطرب السامع، وتهزّ القارىء، وتشجي المعذبين في هذه الأرض، الذين لا يستطيعون أن يعبّروا عن مشاعرهم الرقيقة، وأحاسيسهم المرهفة ونفوسهم المترعة بالآلام، والآمال أيضًا. غنى فترة من الزمن لم تكن فترة طويلة، وإنما كانت فترة

قصيرة خاطفة، مرت كالطيف، وانقضت كما ينقضي الحلم. إنها فترة قصيرة بالنسبة لهذه الحياة، وربما كانت فترة طويلة بالنسبة لحياته هو، لكنها فترة انقضت، وأصبحت حلماً من الأحلام، انقضت وطوت معها الشاعر إلى العالم العلوي، طوته وطوت معه أعذب أغانيه وأشجاها، وأجمل قصائده وأرقها، ولولا هذه البقية الباقية التي استطعنا الإمساك بها من القصائد والأغاني لطواها النسيان، ولجرَّر أذياله على ذكرى الشاعر أيضا. وذكر الإنسان إذا ما طواه النسيان، فإنه سيطوى مع ذكراه أيضًا، ويبتلعه عالم الفناء الأبدي، والذكر للإنسان عمر ثانٍ لا شك في ذلك ولا جدال.

* * *

قصة سفره إلى الرياض

■ بعد خروجه من المدرسة المباركية، وانهماكه بالمطالعة، وقراءة مختلف المجلات والكتب ودواوين الشعر العربي، أخذ أيضاً في كتابة الكثير من القصائد، والأناشيد القصيرة، وأخذت هذه الأناشيد وهذه القصائد تجد طريقها إلى الناس عن طريق المدارس والمغنين، فقد نظم بعض الأناشيد لبعض المدارس في الكويت، حيث لحنت، وأخذ التلاميذ ينشدونها في مدارسهم، كما أن بعض قصائده التي نظمها، لحنت وتغنى بها المغنون، وأخذ الناس يرددون بعض أبياتها، ويتغنون بها، ونظم في هذه الأثناء قصيدة مدح بها الملك عبدالعزيز آل سعود، وأخذها المطرب الكويتي المعروف «عبداللطيف الكويتي» ولحنها، أو لحنت له، وغناها، وشاعت بين الناس، وصادف أن سمعها الملك عبدالعزيز آل سعود، فاهتم بها، لأنها في مدحه، تشيد بشجاعته، وجرأته وتعدد محاسنه، وسيطرته المطلقة على مملكته، وبسطه الأمن واستتبابه بالقوة، فأعجب بها الملك أيّما إعجاب، فما كان منه إلَّا أن قرر دعوة هذا الشاعر الناشىء لزيارته في الرياض، وضمّه إلى رجاله الذين يعملون في خدمته، وكانت المملكة في ذلك الوقت في حاجة إلى المتعلمين، ليعملوا عند الملك في الكتابة، والمراسلات الرسمية وغير الرسمية، وكان وكيل الملك في الكويت هو الحاج عبدالله النفيسي، فكتب الملك إلى وكيله هذا، وطلب منه دعوة الشاعر «فهد العسكر» لزيارة الرياض على ضيافته، وكان «فهد العسكر» يتوق إلى زيارة هذه المملكة الفتية الجديدة، ومشاهدة هذا الملك الشجاع الذي سمع وقرأ عنه وعن شجاعته الكثير، وحاول فعلًا السفر إلى

الرياض، إلَّا أن والده كان يمنعه خوفاً عليه من مشقة السفر، حيث كان الطريق وعراً وشاقاً، وخشية عليه من أحداث الطريق، لا سيما وأنه كان شاباً صغير السن، لم يجرب الأسفار، ولم تصقله الأحداث، ولم يتعود على الحياة الخشنة القاسية، ووالده كان يعلم جيداً مشاق السفر إلى الرياض، ومصاعب الطريق، وخشونة الحياة، في الرياض، وقسوة العيش فيها.

ولهذا عندما تسلم عبدالله النفيسي أمر الملك عبدالعزيز بدعوة «فهد العسكر» إلى الرياض، سارع إلى زيارة والده «صالح العسكر»، وأخبره بأن الملك عبدالعزيز وجه دعوة رسمية إلى ابنه «فهد» لزيارة الرياض، ليحلّ ضيفاً عليه، فما كان من «صالح العسكر» أمام رغبة الملك إلَّا أن وافق على زيارة ابنه «فهد» إلى الملك في الرياض، لأنه اعتبر هذه الدعوة تكريماً وتقديراً لابنه الشاب، الذي أخذت قريحته تتفتح عن أشعار رقيقة جميلة، تأخذ طريقها إلى أسماع الناس وإعجابهم.

أخبر «صالح العسكر» ابنه «فهد» بهذه الرغبة السامية من الملك، ودعوته إلى زيارته ضيفاً عليه في الرياض، فأخذ «فهد» يعدّ العدة، ويحضر نفسه للسفر إلى الرياض، ولما تم ترتيب كل شيء من قبل وكيل الملك في الكويت «عبدالله النفيسي»، سافر «فهد» عن طريق البحرين أولاً، ثم الأحساء، ومن الأحساء إلى الرياض، وكان السفر في ذلك الوقت بواسطة الجمال، وفي البحرين حلّ ضيفاً على آل خليفة حكام البحرين، وفي الأحساء حل ضيفًا على حاكمها الأمير عبدالله بن جلوي، ومن الإحساء سافر إلى الرياض، وحلّ ضيفاً على الملك عبدالعزيز آل سعود. وقد استقبله في الرياض وكيل السلاح للملك عبدالعزيز «عبدالله بن علي العسكر»، حيث كانت الإقامة عنده بصفته ممثل الملك ووكيل السلاح عنده. وعبدالله بن علي العسكر هذا، هو ابن عم والده «صالح العسكر».

وبعد وصوله إلى الرياض زار الملك عبدالعزيز للسلام عليه والتحية، فعرض عليه الملك وظيفة كاتب لأحد أبنائه، ولعله كان الأمير محمدا، وكان الأمير محمد هذا مقيماً في الصحراء على الحدود بين المملكة السعودية واليمن، إلا أن «فهداً» ابن المدينة، الذي لم يتعود حياة الصحراء، ولم يجرب خشونة الحياة، وقسوة العيش، لم يستطع تحمل هذه المشاق، وهو الذي كان يعيش في الكويت مترفاً مرفهاً في رعاية والده الذي كان يحبه حبّاً جماً، وينفق عليه بسخاء، ولم يبخل عليه بشيء، فلم يوافق على استمراره في العمل في هذه الصحراء بين المملكة السعودية واليمن، كما أن الخوف قد دب في نفسه للحالة الصعبة المتوترة بين السعودية واليمن، حيث كانت الحالة حالة حرب والتوتر مستمر بينهما، لهذا صمم على عدم البقاء، وحدّث بهذا الشأن قريبه، وكيل السلاح لدى الملك، وشرح له عدم استطاعته الاستمرار في العمل، وعدم رغبته في البقاء في الصحراء، ثم وضح له بعد ذلك عن ملله وضجره من الإقامة في الرياض أيضًا، لما رآه فيها من حياة محدودة، مغلقة، خشنة، متزمتة، ولم يمض على وصوله شهر واحد.

ولما لم يجد «عبدالله العسكر» بدّاً من ذلك، ولما رأى ملله وضجره من البقاء، وتصميمه على ترك الرياض، ورغبته الملحة في العودة إلى الكويت، قال له «إني سوف أتصرف مع الملك، وأرتب لك الأمر حسب رغبتك»، فاتصل «عبدالله العسكر» بالملك وحدثه بطريقته الخاصة، وأبدى له أن «صالح العسكر» يريد عودة ابنه «فهد» إلى الكويت، لأن والدته تلحّ على عودة ابنها الذي تحبه ولا تكاد تصبر عنه، وكان في حديثه للملك لبقاً ذكياً، والملك عبدالعزيز كما هو معروف عنه، حادّ الذكاء، حاضر البديهة، متوقد الذهن، ما كاد يسمع حديث «عبدالله العسكر» حتى فهم القصد، وأدرك الغاية، وعرف أن «فهدًا» لا يريد البقاء في الرياض، وأنه يريد العودة إلى الكويت. فطلب من «عبدالله العسكر» دعوة «فهد» لزيارته على أن

يصحبه في هذه الزيارة. فأخذ «عبدالله العسكر» في اليوم التالي «فهداً» معه، وزارا معاً الملك، وفي هذه الزيارة قدم الملك هدية نفيسة إلى «فهد»، فشكره «فهد» على دعوته الكريمة، وعلى الهدية النفيسة، وخرج من عنده شاكراً له حسن الضيافة، وما لاقاه من حفاوة وتكريم، فأعدّ نفسه، وحزم حقائبه، وعاد إلى الكويت، وكانت عودته هذه المرة بالسيارة مع السيد سعود اليوسف المطوع، الذي أخذ يعمل بين الكويت والرياض بواسطة السيارات، وكان من أمهر السائقين وأقدمهم في الكويت. فعاد «فهد» إلى الكويت، بعد أن جرّب في رحلته هذه متاعب الحياة وشظف العيش في المملكة السعودية، التي كثيراً ما كان يتمنّى زيارتها من قبل.

حياته ونشأته

■ إن حياة شاعرنا «فهد» حياة عجيبة، متغيرة متطورة، والتطور من سنن الحياة، والحياة التي لا تتغير ولا تتطور إنما هي جامدة، بل إن الجمود نفسه ضد الحياة، ومنذ أن خلق الله تعالى هذه الحياة، وعلى هذا الكوكب الذي نعيش فيه، جعلها حياة أبداً متطورة، متغيرة، والتطور والتغير إمّا إلى الأحسن وإمّا إلى الأسوأ، المهم إن التطور والتغير يحدث في هذه الحياة، والبشر الذين عاشوا على هذه الكرة الأرضية تطوروا، وتغيّروا، والتاريخ يحدثنا عن أمم سادت وبادت، وعن حضارات قامت ثم زالت. فأمم نشأت ثم سادت ثم بادت، وحضارات قامت وازدهرت ثم انهارت واندثرت، وربما كانت هناك أمم وحضارات على هذه الأرض، بلغت من التقدم والتطور والعلم، ما لم تبلغه أرقى وأعظم الأمم في هذا العصر الذي نعيش فيه، وهو عصر الذرة والفضاء.

وما دام شاعرنا جزءاً من هؤلاء البشر الذين يعيشون على هذه الأرض، ويتطورون، ويتغيرون، فقد تطورت حياته منذ صغره وفي شبابه إلى يوم وفاته تطوراً عجيباً، يختلف عن تطور كثير من الناس، فمن تديّن شديد متزمّت في صغره، إلى تحول معتدل في شبابه، إلى تطرف عنيف في آخر شبابه وفي كهولته، وهو تطور يتمشى والغذاء الفكري والعقلي الذي كان يقتات منه.

فالبيت الذي ولد وشبّ فيه، كان بيتاً محافظاً شديد المحافظة على التقاليد والعادات، متديّناً شديد التدين، وكان والداه متدينين، يؤديان

الصلاة في أوقاتها، ويحافظان على الفروض محافظة شديدة، مما أثر عليه تأثيراً بالغاً. فشبّ متدينا، يؤدي الصلاة مع والده في المسجد، ويحافظ على أدائها مع والده في كل فرض من الفروض، حتى صلاة الفجر. فقد كان والده يأخذه معه إلى المسجد، وهو صغير السن، إلى أن تشرّب الدين في عروقه وفي دمه.

والمدرسة التي درس فيها، تساعد البيت أيضًا على مراعاة شعائر الدين مراعاة شديدة، مما ساعد البيت على المحافظة على الدين والتقاليد الدينية الموروثة، وكانت الكويت في ذلك الوقت، تعيش متديّنة محافظة متمسكة بأصول الدين، وبأصول التقاليد والعادات المرعية الموروثة.

لقد درس «فهد» في مدارس الكويت التقليدية، ثم في المدرسة المباركية ردحاً من الزمن. ومدارس الكويت التقليدية الأهلية في ذلك الوقت، تدرس أكثر ما تدرس القرآن الكريم أولًا وقبل كل شيء، ثم بعض أصول الدين، وبعض مبادىء القراءة والكتابة والحساب، ولم يكن فيها شيء أو بعض الشيء من العلوم العصرية الحديثة، وكلها مدارس أهلية، إلى أن فتحت المدرسة المباركية في عهد الشيخ مبارك الصباح، حيث سميت باسمه، ثم فتحت المدرسة الأحمدية في عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح، وسميت باسمه أيضًا، وأدخل على هاتين المدرستين شيء من العلوم العصرية.

وعندما درس «فهد» في المدرسة المباركية، كان من أساتذته، الأستاذ الشاعر محمود شوقي عبدالله الأيوبي، والشيخ عبدالله النوري، وسيد عمر عاصم وغيرهم من الأساتذة، ويذكر الشيخ عبدالله النوري أن دراسته بدأت في المدرسة المباركية عام ١٩٢٢م تقريبًا، وأنه بعد أن قطع المرحلة الابتدائية أولع باللغة العربية، وكان يحرص على تصريف الكلمات، وأنه كان يجيد الغريب من اللغة غير المعقد، ثم بدأ ينظم الشعر، يساعده على ذلك ولعه باللغة وبقواعدها، وكان المرحوم الشاعر محمود شوقي معجباً

به، ويشجعه على كل ما يكتب من شعر أو نظم، ويشجعه أيضاً على حفظ الشعر وترديده، واختيار القصائد الجميلة القوية، ويطلب منه حفظها. كما كان يساعده على تقويم الأبيات التي ينظمها، والقصائد التي يكتبها، ولهذا أصبح محمود شوقي معلمه الأول في الشعر، ومصدره الذي يرجع إليه في أي إشكال أو تقويم، ويشرح له ما يصعب عليه من كلمات صعبة، أو عبارات عويصة، أو معانٍ غامضة، في أشعار الشعراء، لا سيما الشعراء القدامى، شعراء الجاهلية وعصر الإسلام، ثم شعراء العصرين الأموي والعبّاسي، يشرح له ما يطلب شرحه، من المعاني والأغراض التي يرمي إليها الشاعر، وسبب نظم الشاعر لها، وتاريخ الشاعر، والحياة التي كان يحياها، إلى غير ذلك مما يتعلق بالشعر والشعراء، ولهذا فقد أثر عليه تأثيراً كبيراً في نظم الشعر، وظل «فهد» يتردد عليه، ويزوره كثيراً، ليعرض عليه ما كتب من شعر، فيبدي له المرحوم محمود شوقي رأيه، ويطلب منه المزيد، إلى أن اشتد عوده في الشعر، وقويت شاعريته.

وعندما ترك المدرسة أخذ يقرأ الكثير من دواوين الشعراء القدامى والمحدثين، ثم أخذ يقرأ كتب الأدب أيضاً على اختلاف ألوانها وأشكالها، وكذلك أخذ يقرأ المجلات الأدبية التي كانت تصل إلى الكويت، ومعظم هذه المجلات والكتب والدواوين كان يستعيرها من (مكتبة ابن رويح). وكانت (مكتبة ابن رويح) المكتبة الأولى في الكويت، التي تستورد كتب الدين والتاريخ والأدب والشعر والمجلات، وكتب الروايات والقصص على اختلاف أنواعها. وكانت تعير بعض هذه الكتب إلى محبّي القراءة مقابل مبلغ زهيد من المال، وكانت هذه المكتبة تستفيد مادياً وتفيد أدبياً. وكان شاعرنا «فهد» من أهم المتعاملين مع هذه المكتبة.

وكان عندما ترك المدرسة شديد التدين، حتى أنه من شدة تدينه، كما يقال، كان يؤذن للصلاة على سطح بيتهم، ليدعو الناس إلى أداء الصلاة في

أوقاتها، وكان يحترم والده احتراماً عظيماً، ويقدّره تقديراً كبيراً، ويحبه حبّاً جمّاً، ويطيعه في كل ما يأمره به، ولا يعصي له أي أمر من أوامره، وكان والده يحبه حبّاً جمّاً أيضًا، وينفق عليه بسخاء. وكان «فهد» مرحاً مع تدينه ومحافظته، يحب الطرفة الأدبية، والنكتة الجميلة، والدعابة الحلوة، ولهذا فقد كان يحب مداعبة ضعاف العقول، يتصل بهم، وببعض «المجانين» الموجودين في الكويت في ذلك الوقت، يتحدث إليهم، ويحنو عليهم، ويبادلهم بعض النكات، ويأنس لأحاديثهم المضحكة، ويضحك على ما يبدر منهم من كلمات أو عبارات تثير الضحك.

لكنه عندما أغرق في القراءة، واستمر في الاطلاع على مختلف الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية، بدأ تفكيره يتطور بتطور قراءته، وأخذت نظرته إلى الحياة تتغير بتغير تفكيره وتطوره، فبدأ تشدده في الدين يضعف شيئاً فشيئاً إلى أن تحوّل تحولاً كلياً في تفكيره، وفي نظرته إلى الحياة، وإلى بعض التقاليد والعادات الموروثة، ثم أخذ يتعاطى الخمرة التي تغزل بها كثيراً في شعره. وهكذا إلى أن أصبح منعزلاً في أفكاره وآرائه عن بيئته المتدينة وعن المجتمع المحافظ، وعن الناس المتعصبين والمتزمتين في الدين، وفي المحافظة على التقاليد والعادات التي شبّوا عليها، وورثوها عن آبائهم وأجدادهم. لأنه ليس من المعقول أن يبقى الإنسان على تزمته ومحافظته على التقاليد القديمة الموروثة، بعدما يطلع على مختلف الآراء العلمية، والأفكار الاجتماعية والتيارات السياسية، عن طريق القراءة في مختلف الكتب والمجلات، وليس من المعقول أيضاً أن تدوم الصلة بين هذا الإنسان المتطور، المتحرر، وبين أولئك الذين لم يطلعوا على مثل ما اطلع عليه، لأنهم ظلوا على ما هم عليه، ولم يحاولوا معرفة ما يحدث في هذا العالم من تقدم علمي، وتطور فكري، وليس معنى ذلك أن القراءة والاطلاع على مختلف الآراء العلمية، والأفكار الاجتماعية والتيارات السياسية، وما يحدث في هذا العالم، تؤدي إلى ضعف الإيمان

بالله، وتقود إلى إضعاف الدين، وتشجع على انتهاك المحرمات، إنما القراءة والاطلاع الواسع يؤديان إلى تفتيح الأذهان المغلقة، وتنوير العقول المظلمة، وتطوير الأفكار الجامدة، والذين يظلون بعيدين عن معرفة ما يجري في هذا العالم، يظلون متمسكين بالتقاليد الموروثة، وإن كانت تقاليد بالية، ويبقون متشبثين بالعادات القديمة، وإن كانت عادات ضارّة غير نافعة، ويستمرون متعصبين للتعاليم الدينية، وإن كانت تعاليم الدين لا تدعو إلى التعصب، ولم يكن شاعرنا «فهد» في تحرره الفكري، وفي تطوره العقلي، وفي تركه للعادات الضارة، والتقاليد البالية، والتعصب الأعمى، ملحداً ولا كافراً، وإنما كان متحرراً من القيود التي فرضتها البيئة، والأغلال التي اقتضتها الظروف لغياب الذهن الصافي المتفتح الحر.





نفسيّته

■ «فهد العسكر» يعدّ في طليعة شعراء الكويت، وهو من المجددين في الشعر، وحياة الشاعر «فهد» سلسلة من الآلام والأحزان، نبهت إحساسه، وأرهفت شعوره، وأقلقت نفسيته، وجعلته حادّ العاطفة. وكثيراً ما غيرت الأيام، وما تحمله من حوادث ومشكلات، حياة الإنسان، فمن الناس من شبّوا على وتيرة معينة من العيش، وساروا سيرة هادئة لينة راكدة، ثم انقلبوا رأسا على عقب، وتغيرت حياتهم تغيراً كاملاً، من هدوء إلى اضطراب، ومن لين إلى خشونة، ومن استقرار إلى قلق، وهكذا كان شاعرنا «فهد» رحمه الله، والذي يقرأ شعر الشاعر «فهد» يحس بمرارة الحياة، وقساوة الأيام التي كان يحس بها.

كان رحمه الله رقيق الإحساس. حادّ الشعور، شديد العاطفة، وقد مرّ بأطوار مختلفة في حياته. فمن تديّن قوي، إلى تحرر منطلق من جميع القيود التي تتطلبها العادات، وتقتضيها الظروف، وتوجبها البيئة التي كان يعيش فيها الشاعر في الكويت، حيث كانت الكويت في ذلك الحين بلداً لم تتفتح فيه بصيرة الناس على تطور الحياة، وتقدم المدنية وانطلاقها من الحدود التي كانت مرسومة أمامها، والتقاليد التي كانت محاطة بها. وتحرره المتطرف، ومجاهرته بآرائه المتطرفة في شعره، جعل كثيراً من الناس يوجه إليه تهم الإلحاد طوراً، وتهم الانحلال والخلاعة طوراً آخر، مما اضطره إلى العزلة آخر الأمر، بعيداً عن الناس، إلَّا من فئة قليلة تعد

على الأصابع، تختلف إليه بين الحين والحين، لتسمع الجديد من أشعاره، فتطرب لها، وتتغنى بها، وتتناقلها بين الناس.

ولهذا فقد عانى ما عانى من العزلة، العزلة عن أهله، والعزلة عن الناس، وظل هكذا في عزلته يعاني آلامه النفسية، ذلك لأن المجتمع الذي يعيش فيه يختلف اختلافًا واضحًا عن المجتمع الذي كان يجب أن يعيش فيه. فقد أصبح متحرراً من القيود التي يؤمن بها المجتمع، ومن التقاليد والعادات التي يتمسك بها الناس، ويتقيدون بها، فأصبحت هناك هوة كبيرة بين آرائه، وبين آراء وأفكار مجتمعه، إذ وجد نفسه منبوذاً من أهله، الذين لا يؤمنون بما يؤمن به من مبادىء، لا تتناسب وطبيعتهم، ومن الناس الذين ينفرون من هذه الآراء المتطرفة، التي يرددها على أسماعهم، بل ويتغنى بها في أشعاره، وكلما أمعن في التحرر والانطلاق، وجد نفسه بعيداً عن مجتمعه، الأمر الذي زاد من حساسيته، وضاعف من إرهاف شعوره، ولا شك أن أي إنسان يرى نفسه في مجتمع، يختلف عنه اختلافاً كبيراً في إيمانه بتقاليد وعادات ومبادىء موروثة، لا يؤمن هو بها، ولا يرى فيها أي شيء من الواقعية، بل يراها ضارة وغير صالحة، ولايقبلها العقل والمنطق، لا شك أن أي إنسان يرى نفسه في مجتمع كهذا المجتمع، لا يستطيع العيش معه، ولايقدر على تبديل تفكيره، ليناسب تفكير هذا المجتمع، تتعقد نفسيته، ويحتدّ مزاجه، ويبحث عن أمور يخفف بها آلامه، وما يعانيه من أزمات نفسية.

إن الآلام تتراكم أحيانًا على الإنسان، وتزداد، وتتضاعف وهذا دليل على سوء الطالع الذي يؤمن به المنجمون، وضاربو الرمل، ولعل طالع شاعرنا «فهد» طالع سيىء، إذ أخذت تتراكم عليه المصائب والمشكلات، فبعد عزلته عن أهله وعن الناس، الذين أخذوا يرمونه بالكفر والإلحاد والشذوذ، أصيب بعينيه، وأخذت الآلام تشتد عليه، وتتناوبه من كل

جانب، فأهله يبتعدون عنه، وينبذونه، والناس يقسون عليه، ويكفّرونه، ومرض عينيه يشغله بمختلف الآلام والأوجاع، وظلّ هكذا حتى كفَّ بصره، فانزوى في غرفته المظلمة، ينتظر يومه المحتوم، بل ينتظر يوم الراحة الأبدية في عالم الخلد.

هذه هي نفسيته التي تكالبت عليها المشكلات والآلام، مشكلات مع مجتمعه، وآلام من عينيه، وفقد البصر، ليس بالأمر الهيّن، بعدما كان يتمتع به ويرى الحياة على حقيقتها، بصفائها وبكدرها، ويبصر الناس بقبحهم وجمالهم، وينظر إلى الطبيعة بهدوئها وغضبها.

* * *



شعـــره

▲ كان رحمه الله في شعره يختار المعنى الرفيع، والوزن الغنائي، والقوافي الراقصة، والألفاظ العذبة الحية، فتأتي قصائده أنغامًا تطرب القارىء، وتشجي السامع، فيهيم بها الشاعر والأديب في دنيا من الأحلام. وفي عالم من الجمال الحقيقي البديع الذي يهفو له كلّ قلب حساس، وكلّ شعور فياض، وكلّ نفس تحبّ الانطلاق مما تعانيه من دنيا الواقع الأليم، المليء بالأحداث المادية الجامدة، التي لا تسمو بالإنسان إلى السماوات الشعرية الخالدة الرفيعة.

و«فهد العسكر» شاعر مطبوع، لا يتكلف الشعر، كما يفعل غيره من الشعراء، ولا يحاكي القديم، ولا يتقيد به في أشعاره، وإن كنا نجد في بعض قصائده القديمة شيئاً من المحاكاة والتقليد، إلا أنه بعد أن اشتد عوده، وقويت شاعريته، وتأصلت ملكة الشعر لديه، واجتمعت عنده ثروة طائلة من الكلمات الشعرية المؤثرة، طلع علينا بشعره المجدد، وطفق يقول الشعر في انطلاق، ونعتقد أن الشاعر لا يمكنه التحليق في سماء الشعر الصافية، إلَّا إذا توفرت له الأسباب الشعرية كاملة، وفي مقدمتها ملكة الشعر، وخصب الخيال، وقوة العاطفة، والاطلاع الواسع على كثير من روائع الشعر العربي في مختلف العصور، وثروة الألفاظ الشعرية. ولا شك أن ثروة الألفاظ الشعرية تَتأَتَّى من كثرة المطالعة الواعية، كما أن كثرة قول الشعر لها التأثير الكبير في الشاعر وتحسين شعره وسلاسته.

وللحوادث التي مرَّت بالشاعر، ومرارة الأيام التي قاساها، تأثير كبير في

صقل شاعريته، ودفعه دفعا إلى التنفيس عما تجيش به خواطره، وما تفيض به مشاعره، فهو شاعر مطبوع شبّ على حبّ الشعر، والتغني به، واختيار الجيد الغنائي منه، لهذا لم يجد أمامه ما ينفس به عن نفسه إلّا الشعر، الشعر وحده. فراح يبثه همومه، ويعبّر به عن مشاعره، ويضمّنه حنقه على هؤلاء الناس، أولئك الذين حملوا عليه حملات قاسية، ورموه بما هو بريء منه. ولم نعرف للشاعر «فهد»، شيئاً من الأدب غير الشعر، ولم نطلع على أدب له نثراً، بل كان - كما نعرف عنه - لا يقول إلّا شعراً لشدة ولعه به، ولتعلقه بحبّه منذ حداثة سنه.

والشعر موهبة سامية، لا ينالها إلا أفراد قلائل من الناس، يصطفيهم الله لحمل رسالة الشعر، ولا يعنينا هنا، أن نتعرض لأولئك الذين يتكلفون نظم الشعر تكلفاً ممقوتاً، تمجه الأذواق، فيأتي نظماً ميتاً لا روح فيه، وشتّان بين الشعر والنظم.

«وفهد العسكر» يعدُّ من شعراء الكويت الخالدين الذين رفعوا راية الشعر عالية. وطاولوا بها كبار الشعراء في الأمة العربية، وسَمَوْا بالشعر سموّاً، لا ينكره عليهم فطاحل شعراء العربية، وأخذوا لأنفسهم به طريقاً لا يعيبه عليهم أمراء الشعر العربي.

وفي الكويت شعراء ممتازون، لهم في الشعر رايات خفاقة، وألوية عالية، والشاعر «فهد العسكر» من بينهم، بل يعد، في طليعة هؤلاء الشعراء الذين بنوا لهم بيوتاً منيعة من القصيد العالي، وشيَّدوا لهم قصوراً شامخة من الشعر الرفيع. وإني كلما أردت هنا، أن آتي بشواهد من نفائس شاعرنا «فهد»، تزاحمت عليّ أشعاره، يزاحم بعضها بعضًا، وتحاول كلّ قصيدة أن تدفع الأخرى لتتقدمها، فأحار في أيها آخذ، وأيها أختار، وماذا أترك منها، ولو أخذت إحداها لظلمت الأخريات، وما أكثرها، وعلى هذا، فإني سآتي ببعض قصائد الشاعر كاملة دون أن أختار منها، غير أني سآخذ

منها ما يتيسر في بعض المشاهد، ومن المؤكد أنها ستعطي القارىء فكرة عن الشاعر ومدى شاعريته، وعن إحساسه، وعن الحياة التي كان يحياها، بل أعتقد بأنها ستصور تصويراً واضحاً حالة الكويت، ومدى تفكير الناس في الكويت في ذلك العهد، وسترسم لنا صورة جلية عن تدين الكويتيين، وتمسكهم بالمحافظة على التعاليم الدينية، كما ورثوها عن آبائهم، وتمسكهم بالإبقاء على التقاليد الموروثة تمسكاً قوياً، ونفورهم من كلّ رأي يتعارض وهذه التقاليد التي لا يرضون بها بديلا، وانعدام الرأي الحر الذي يستطيع أن يخالف آراءهم، وما اتفقوا عليه حسب هذه التقاليد، ولا شك أنَّ هناك أسباباً عديدة جعلتهم يشمئزون من الآراء الحرة أو المتطرفة، كما يسمّونها حينذاك.

ومن هذه الأسباب، بل أهمها، انعزال الكويت انعزالاً يكاد يكون تاماً عن بقية البلاد التي جرت شوطاً في الحضارة، وأخذت تتطور بآرائها وأفكارها تطوراً يتماشى والعصر الذي نعيش فيه.

ويتولد من هذا السبب المهم أسباب أخرى، منها صعوبة المواصلات بين الكويت وبقية البلاد العربية الأخرى المتقدمة في هذا المضمار، كالعراق وسورية ومصر مثلاً، مما أدى إلى عدم توفر صحف هذه البلاد ومجلاتها في الكويت، ومنها كثرة الأميين غير المتعلمين في الكويت في ذلك الحين، إلى غيرها من الأسباب الكثيرة الأخرى.

ولا يعني ذلك، أن الكويت كانت معدومة حينذاك من ذوي الأفكار النيرة، والثقافة الواسعة، والآراء الحرة، وإنما كان هؤلاء قليلين، وكانوا يراعون الوضع الراهن، ويدارون الخواطر، فكانت آراؤهم الحرة مكبوتة في نفوسهم، وأفكارهم النيرة مدفونة في عقولهم. بل لقد كان هناك نفر من الأدباء ذوي الاطلاع الواسع، وكانوا يمتازون بحبّهم وشغفهم بقراءة الكتب

الأدبية والاجتماعية، لا سيما الكتب القديمة، حتى ليمكننا أن نقول: إنهم كانوا علماء بالأدب.

وقد يتساءل متسائل، أين كان هؤلاء الأدباء، وأين أدبهم، وما قيمة هذا الأدب؟ وهذه أسئلة لا بدّ أن تمر ببال القارىء، وأن تتوارد على خاطره، وتتزاحم في فكره، وهو يسمع عنهم هذا القول، ولا عجب في هذا التساؤل، ما دام القارىء لم يسمع بهم قبل ذلك، ولم يقرأ شيئًا من نتاجهم الفكري، وأثرهم الأدبي، وقد قلنا إن هؤلاء الأدباء كانوا يعيشون في بيئة خاصة، وماداموا يعيشون في بيئتهم الخاصة هذه، ويعيشون لأنفسهم وحدها، ويقبعون في حياتهم المنزوية التي لا يجدون مناصاً منها، ولا يجدون منفذاً من تلك الوحدة، ولا خلاصاً من هذه الحياة، ولا متنفساً مما هم فيه، فكيف يمكن الأديب العربي أن يعرفهم، ويسمع عنهم وعن أدبهم، ويعرف قيمة أدبهم وما تنتجه قرائحهم؟

ولا يخفى أن للبيئة الخاصة أثراً وتحكماً في أهلها والسيطرة على عقولهم وأفكارهم، والسير بهم في حياة لها طابعها الخاص، وميزتها المحددة، ولو شاء ربك، وأنبت هؤلاء الأدباء في بيئة أخرى، وفي محيط غير محيطهم، لكان لهم شأن غير هذا الشأن، ولما ظلوا في مثل هذه العزلة، وهذه الوحدة التي سدت عليهم منافذ الحياة، وأغلقت أمامهم أبوابها، وحصرتهم حصراً في محيط ضيّق محدود، لا يجدون سبيلاً للخلاص منه.

فأدباء الأقطار الأخرى، مثلاً، تتوفر لهم كل الوسائل التي تدفعهم إلى الظهور، وتؤدي بهم إلى الشهرة، وتسير بهم إلى الذيوع، وتمكنهم من إظهار أدبهم ونشره على الناس دون حدود أو قيود، ودون مراعاة لتقاليد خاصة، أو ظروف طارئة كتلك التي كانت سائدة في الكويت، لهذا تراهم يقرأون فيكتبون، ويستوعبون فَيُمْلون، ويستظهرون فينتجون، ويظهر هذا الإنتاج الأدبي أو العلمي للناس، فيطلعون عليه وينقدونه، فيتميز الجيد من الرديء، والقوي من

الضعيف، فيرتفع صاحبه، أو يهبط حسب قوة أدبه أو علمه. أما أدباؤنا فقد اضطرتهم البيئة - لعدم وجود الوسائل اللازمة لديهم - إلى العزلة التامة، وإلى الانزواء فيي محيطهم الخاص، وإلى الانقطاع للقراءة والتحصيل، وإلى التفرّغ للبحث والتنقيب، دون أن يجدوا المجال الكافي لإظهار آرائهم وأفكارهم الأدبية والعلمية، ونشرها أبحاثًا ومقالات وقصائد على الناس، لكي ينتفعوا بها، ويطلعوا على إنتاج عربي جديد، وحتى عام ١٩٥٦م، لم نكن نجد في الكويت آلات الطباعة، ووسائل النشر التي تشجع الأدباء، على أننا نرجو أن يجيء اليوم الذي يكشف لنا عن مواهبهم، ومدى اطلاعهم، ومقدرتهم العلمية والأدبية، ويدفعهم إلى إظهار مواهبهم، وفنهم الأدبي، وإظهار شعر الشعراء منهم، ونشره بين الناس. وإنَّ تباشير النهضة الفكرية لقريبة جداً، ودولاب التطور مستمر، والزمن لا يرجع إلى الوراء، وإنما يسير إلى الأمام، والنهضة مسرعة في التقدم، لا سيما في الوطن العربي، ويجب أن نسجل هنا أيضاً، أن كثيراً من أدباء الكويت يمتازون بالبحث العميق، والاطلاع الواسع، والتنقيب في بطون أمهات الكتب العربية، قديمة وحديثة، وأن من بين أدباء الكويت، من يبحث في هذه الكتب بحث العالم المدقق، أي أنه لا يبحث لمجرد اللذة والاستمتاع، وإنما يبحث حبّاً للاستطلاع والتحري، وينقب رغبة في الاستزادة من العلم وتتبع الحركات الفكرية، للوصول إلى معرفة العقائد والمذاهب العلمية.

ولم أشأ أن أختار بعض الأبيات من كل قصيدة من قصائد «فهد»، كما يفعل كثير من الأدباء والنقاد، ونحن لا نجزم بخطأ هذه الطريقة التي استنها الأدباء والنقاد منذ القديم، إلَّا أننا لا نعتقد بأنها تنطبق على كل شاعر، وتفي بالغرض المطلوب، إذا طبقت على كل قصيدة، وهي إن جازت بشأن كل شاعر، فإنهالا تجوز لكل قصيدة من قصائده، لأن بعض الشعراء إذا ما انتزعوا من أفئدتهم بعض القصائد انتزاعا في نَفَس واحد، وفي شعور واحد، بل في آن واحد، فإنَّ من الصعب جداً أن يخير بيت على بيت في هذه القصيدة الشعرية المتشابكة المترابطة، ومن الإساءة إلى هؤلاء الشعراء

أن نأتي إلى قصائدهم هذه المتشابكة المترابطة، ذات الشعور الواحد والنَّفَس الواحد، فنقطع منها بيتاً أو أبياتا لنستدلّ بها على شاعريتهم، وعلى قوتها وضعفها، وبعض القصائد تأتي غنائية راقصة، أو حزينة باكية، كالقطعة الغنائية الموسيقية، لا يمكن الاستمتاع ببعضها دون البعض الآخر، ولا يمكن أخذ فكرة عنها، ما لم تسمع من أولها إلى آخرها.

ونحن نستطيع أن نؤكّد هنا، أنه ليس هناك شاعر واحد تأتي قصائده من هذا النوع الذي تكلمنا عنه، أي من نوع القصائد ذات النَّفَس الواحد، والشعور الواحد، القصائد المتشابكة المترابطة، ولكننا نؤكد، ونؤكد بقوة أن هناك كثيراً من القصائد القوية، ذات النَّفَس الواحد، إذا استل منها بيت اختلت وحدة القصيدة، وتشوهت المعاني، وتداعى بناء القصيدة، وحدث بها تشويه، لا يمكن تلافيه إلَّا بإرجاع ذلك البيت إلى محله من القصيدة، بألفاظه التي انطلقت مع ألفاظ جميع أبيات القصيدة في نَفَس واحد، وفي شعور واحد، حين خلوة الشاعر إلى نفسه، وحين تفتّح قريحته وتحليق خياله، وهبوط الوحي الشعري عليه، فما بالك باقتطاع بيت أو بيتين من أول هذه القصيدة، وحذف بيتين أو ثلاثة من وسطها، وأخذ ثلاثة أبيات أو أكثر أو أقل من آخرها؟

وهناك بعض الشعراء، لا نجد في شعرهم قصيدة واحدة من هذا النوع من القصائد التي نعنيها، وهناك منهم من تتوفر في شعره بعض القصائد. ويختلف الشعراء في كثرة اشتمال قصائدهم على هذا النوع من القصيد، حسب إحساسهم ومشاعرهم، وقوة خيالهم، وتأثرهم بالمحيط الذي يعيشون فيه، ولا يشذّ بطبيعة الحال شاعرنا عن هؤلاء، إلا أنَّنا نعتقد أن شاعرنا «فهدًا» قد توفر لديه الكثير من هذا النوع من القصيد، لهذا رأينا أن نثبت في كلامنا هذا بعض قصائده كاملة.

❀ ❀ ❀

الشعر الصَّادق

ولنا رأي خاصّ نحب أن نسجله هنا، وإن خالف هذا الرأي كثير من النقاد والكتاب، وهو أن الشعر يجب أن لايقيد بأية قيود تضرّ به، وتفقده ميزته الخاصة، فلا يجوز أن نُخْضعه لفكرة معينة، أو رأي بذاته، كأن نستعمله لسرد قصة، أو لرواية مسرحية أو غير مسرحية، فالشعر العربي له طابعه الخاص، فهو غناء أكثر منه أي شيء آخر، فالقصة مثلاً تقيد الشاعر بمواقف معينة، وتفرض عليه كلمات فرضاً، تفقد القصيدة قيمتها الشعرية إن لم تكن صادرة عن وحي شعري وإلهام عاطفي، والمسرحية تحتم على الشاعر استعمال ألفاظ، قد لا تأتي منسجمة تمام الانسجام مع القصيد، ولا يخفى أن المسرحية لا تكتفي بشخص واحد، بل تتطلب أشخاصاً متعددين، حسب وضع المسرحية، وإذا تعدد الأشخاص في الشعر فقد ميزته الشعرية الغنائية، حيث أن لكل شخص من هذه الشخوص طبيعته الخاصة، وكيانه الخاص، ونَفَسَه الخاص، وما دام الأمر كذلك فكيف يجوز لشاعر واحد، له كيانه الخاص، وطبيعته الخاصة، وشعوره الذي يختلف عن شعور الآخرين، كيف يجوز له أن يأتي بشعر على ألسنة هؤلاء الناس الكثيرين، الذين يختلفون في مشاعرهم وأحاسيسهم؟ إننا نعتقد، أنه من العبث بالشعر، أن نخضعه لمثل هذه القيود الفنية، التي تفرضها المسرحيات أو القصص والروايات. ولا نقول هذا القول تحدياً لبعض الشعراء والنقاد، وإنما نقوله لأننا نؤمن به، ونعتقد بصحته، ومهما كان الشاعر بليغاً في شعره، قوياً في عاطفته، خصباً في قريحته، فلا يمكنه أن يصوغ رواية مطولة، أو مسرحية مختلفة الأشخاص في نفس القوة والمتانة

والانسجام والشعور الذي يصوغ به القطعة الشعرية المحدودة، ولا نقول بعدم استطاعة مثل هذا الشاعر أن يخضع شاعريته لهذا الغرض، وإنما نقول: بأن هذا الشاعر، لا يمكنه أن يأتي بالرواية أو المسرحية المنظومة، التي تستطيع أن تحمل القوة والمتانة التي تحملها القصيدة المحدودة الواحدة، ذات الشعور الواحد، والنَّفَس الواحد.. فهو يستطيع أن ينظم الرواية، أو المسرحية نظماً، ويستطيع أن يصور الحوادث التي يريد، لكنه لا يستطيع أن يأتي بالشعر القوي، النابض بالحياة، الشعر المؤثر حقاً، كما يأتي به حين نزول الوحي الشعري عليه في الوقت المناسب.

والشعراء يختلفون في طبائعهم. فمنهم من يقول الشعر في أية مناسبة من المناسبات، وفي أي وقت من الأوقات، ومنهم من لا يستطيع قول الشعر إلَّا في أوقات معينة. وحالات خاصة، لا يقدر بغيرها أن يقول بيتاً واحداً، وهنا الاختلاف بين الشاعرين، شاعر المناسبات، وشاعر العاطفة والإحساس.

* * *

تــطوّر

ولنرجع إلى الحديث عن شاعرنا «فهد»، فنقول: إنه نشأ في الكويت من عائلة عربية متدينة متمسكة بتعاليم الدين الإسلامي، لا تحيد عنه قيد شعرة، ككثير من العائلات الكويتية حينذاك، لا سيما وأن الكويت - كانت حين نشأة شاعرنا - لم تختلط بعد ببقية البلاد العربية الأخرى التي سارت شوطًا في التعليم الحديث، كما ذكرنا، لهذا شبَّ شاعرنا متدينًا متمسكًا كل التمسك بتعاليم الدين، كما تلقاها عن عائلته، وتعلم في المدارس الكويتية التي كانت تنتهج نهج المدارس البدائية في كل بلد أول نشأته، لأن التعليم في الكويت - في ذلك العهد - لم يدخل عليه التعليم الفني المنتظم، وإنما كان يقتصر على تعليم القرآن الكريم والكتابة والحساب والنحو والفقه على الطريقة القديمة، مما جعل الشاعر «فهداً» يعيش عيشة دينية بحتة، وكان رحمه الله في مطلع شبابه متديناً متعصباً في تدينه، لا يكاد يفوته فرض من فروض الصلاة الخمسة، وكان حريصاً على أدائها في أوقاتها كل الحرص، وكان يترك اللعب، وأي مجتمع من مجتمعات الشباب حينما يحين وقت الصلاة، حيث يترك هذا اللعب، ويغادر المجتمع إلى المسجد لأداء الفريضة في وقتها مع الجماعة، وكان في هذا العهد شغوفاً بتعلم اللغة العربية، محباً لقواعدها، وكان ينظم الشعر منذ الصغر، فزاده حبه للغة العربية قوة في الشاعرية، وحبَّب إليه قراءة دواوين الشعراء في مختلف عصورهم، وقراءة كتب الأدب القديمة والحديثة، وتطورت قراءته إلى تناول الكتب الحديثة، والاطلاع على ما تنتجه المطابع في البلاد العربية من كتب أدبية واجتماعية، واشتدت مطالعته لمثل هذه الكتب، لا سيما الكتب التي تحمل طابع التحرر، وتأتي بآراء المفكرين من أدباء وفلاسفة في الشرق والغرب، فأخذت روح التدين تقل شيئاً فشيئاً عنده، من جرّاء كثرة

مطالعته لمثل هذه الكتب التجررية، وقد توجد بعض الأسباب التي تغيب عنا، والتي أحدثت في نفس الشاعر ردّ فعل، وجعلته يتخلى عن تدينه القديم وتعصبه الشديد، لكنا لا نستطيع حصرها لعدم معرفتنا إياها معرفة دقيقة كاملة، لهذا أخذت أشعاره تتغير وتتطور بتطور تفكيره، وأخذ يضمن شعره بعض آرائه في الدين والحياة، ويأتي بأفكار وآراء تحررية، لم يعهدها الناس عنده، إلى أن فقد التدين تمامًا، وطلق تلك الحياة المتدينة المتعصبة طلاقاً لا رجعة فيه، وعند ذلك رماه الناس بالكفر والجحود، ولم يكن كافراً ولا جاحداً، ورموه أيضًا بالإلحاد والفسق والفجور، ولم يكن ملحداً ولا فاسقاً ولا فاجراً، واستمر في هذا الوضع إلى أن نبذه أهله بسبب آرائه التي كانت لا تجاري أوضاعهم، ولا تحترم تقاليدهم وعاداتهم التي شبّوا، ونشأوا عليها، فاعتزل أهله بعد اعتزاله الناس، وأخذ يعيش في وحدته مع خياله طوراً، وتارة مع كتبه، واشتدّ الناس في الضغط عليه، واتهموه اتهامات فظيعة قاسية، فضاقت عليه الحياة وسئم العيش، فتعاطى الرّاح، كما كان يدعوها في أكثر قصائده، لينسى بها همومه، وليخفف من آلامه وأحزانه في هذا المجتمع الذي نبذه وأبعده عنه، وتبرأ منه. فأدمن شرب الخمر، وأخذ يروح عن نفسه الحزينة بأشعاره التي يضمّنها مشاعره الهائجة الشجية، ويصبّ فيها جام غضبه على بني قومه، الذين جهلوا حقيقته، والذين راحوا يكيلون له التهم القاسية التي تزعزع الجبال، من إلحاد وفسق وفجور وزندقة على حدّ تعبيرهم، وكلما اشتد الناس في اتهامه بهذه التهم، وقسوا عليه، اشتدَّ هياجه عليهم، وعلى التقاليد والعادات التي كانوا يتمسكون بها، فكان رحمه الله ثورة عنيفة شديدة على العرف في ذلك الحين.

تغنى بالجمال في شتى صوره، وتغزل في الخمر أو ابنة النخيل، كما كان يسميها، وملأ شعره غزلًا مكشوفاً، وشبَّب تشبيباً واضحاً صريحاً، ضارباً بالعرف والتقاليد والبيئة عرض الحائط، غير مبالٍ بأقوال الناس، والتُّهم التي يكيلونها من كل صوب وجانب.

* * *

مَجلسه

ﷺ وكان له بعض الأصحاب، منهم الشاعر ومنهم الأديب، ومنهم الإنسان الذي يحس بإنسانية الشاعر، ويعطف عليه، ويغفر له بعض الزلّات التي يقع فيها، ويتجاوز عن بعض الأخطاء التي يرتكبها. وكان مجلسه في وحدته كثيراً ما يضمّ نخبةً من بعض شعراء الكويت وأدبائها، يسمعون منه بعض قصائده الخالدة، فيطربون لها، ويتغنّون بها، ويتناقلونها فيما بينهم، ويُسمعونه أيضًا بعض إنتاجهم، وما تجود به قرائحهم من شعر، وكثيراً ما كانوايتناقشون في بعض الأبيات الشعرية والقصائد. فمن معجب بها ومن ناقد لها، فيشتدّ الجدل، وتقوى المناقشة، ويحتدم النقاش، وتهتاج العواطف، وكثيراً ما يرجعون إليه في خصوماتهم هذه، ويأخذ كثير منهم برأيه.

وظل مجلسه هذا منتدىً أدبياً، يضمُّ نخبة من شعراء الكويت وأدبائها، بل كان مدرسة أدبية، يذكِّرنا بتلك المدارس والمنتديات الأدبية في العصرين الأموي والعبّاسي، ويعيد إلى الذاكرة أيام العرب الزاهية، المليئة بالعلم والأدب والشعر.

وكان هذا المجلس، أي مجلس شاعرنا «فهد»، على صغره وعلى قلّة روّاده، المجلس الوحيد في الكويت، تقريباً، الذي لا يعرف غير الشِّعر، ولا تدور فيه غير الموضوعات الأدبية، وربّما أثيرت فيه بعض الأمور التي تتعلّق بالوضع، وتبحث في شئون العيش، لكنها أمور قلَّ أن تعرض على بساط البحث، لأن الذين يقصدون هذا المجلس، لم يكن ليدور بخلدهم،

أنهم ذاهبون إلى مكان للتجارة أو الشكوى من الوضع، لكنَّهم يقصدون هذا المجلس ليسمعوا عن شاعره الجديد من شعره، أو ليعرضوا فيه ما أنتجته قرائحهم من شعر، فهو مجلس شعري بحت، ربَّما خرَّج بعض الشعراء، وقوَّى ملكة الشعر لديهم، وصقل فيهم الروح الشعرية، وحبَّبهم إلى هذا الفن الخالد الجميل، وكان لفهد رحمه الله رُواة، يحفظون أشعاره، ويروونها على الناس، ويسجّلونها على الورق، ويعتزون بها، ويتناشدونها فيما بينهم وبين الذين يحبّون هذا الفن، ويهيمون به، ولولا رُواته والمعجبون بشعره، لما استطعنا أن نجد بعد موته شيئاً من شعره الجيّد المتين، فهم الذين يرجع إليهم الفضل في حفظ بعض أشعاره الكثيرة، التي ضاع منها الكثير، والتي لو جمعت كلّها لكوَّنت للشاعر ديواناً ضخماً من الشعر.



حَرق شعْره

■ يُقال إنَّ بعض أقارب الشاعر، أحرقوا بعد موته جميع أشعاره التي كان يحتفظ بها، ويسجّلها في أوراق خاصَّة، ولا نعرف الدوافع التي دفعتهم إلى الإقدام على مثل هذا العمل، الذي نعتبره جناية في حق الشعر والشاعر، فهذه القصائد الحيّة التي تجنَّى عليها ذووه، وحكموا عليها بالإعدام حرقاً بالنّار، هي عصارة فكره، وخلاصة عواطفه ومشاعره، وهي التي أحرق نفسه لكي يعبّر فيها عمّا تكنّه مشاعره، وعمّا تطويه نفسه الشاعرة من آلام وأحزان، ومن أفكار وآراء في هذه الحياة الدّنيا الفانية.

إننا لا نعرف هذه الدوافع التي جعلت هؤلاء الناس يتجرّأون على حرق أفكار لا تضرّهم، وإنما هي أفكار تصوِّر جانباً كبيراً من تاريخ الكويت الحديث، وتعطي فكرة تامة عن تطوّر الشعر الحديث في الكويت، لا نعرف هذه الدوافع التي دفعتهم دفعاً إلى مثل هذا الاعتداء على ثروة فكرية عاش لها الشاعر، وأنفق في سبيلها حياته، وضحّى براحته من أجلها، وتحمّل في سبيلها ما لم يتحمّله شاعر آخر، إننا لا نعرف هذه الدوافع، وما هي هذه الحقائق التي تدفع الناس إلى ارتكاب مثل هذه الأعمال في حق أناس لفَّهم الموت، وطوتهم الأكفان، واحتوتهم الأرض، بل إننا لا نستطيع مطلقاً أن نتصوّر المبرّرات التي دفعت هؤلاء الناس إلى الاعتداء على الشاعر، بل على الوطن والتاريخ والناس، لأن تلك الثروة الفكرية لم تكن في يوم من الأيام ملكاً لإنسان دون آخر، فهي ليست ملكاً للشاعر، وليست ملكاً حتى للكويتيين أنفسهم، بل إنها ملك لكلّ إنسان يفكّر في هذه

الحياة، ويؤمن بها. ولو فرضنا جدلًا، أن الشاعر كان على علاقة ليست مرضية مع هؤلاء الذين أحرقوا أشعاره، وحرموا منها الناس، فهل يدعو ذلك إلى حرق عصارة أفكاره وخلاصة آرائه؟

ولو فرضنا أيضاً أنَّ بعض تلك القصائد التي أحرقت وحُكم عليها بالموت، كانت مخالفة للوضع، أو منافية للدين في نظرهم، فإنه كان يجب الاحتفاظ بها وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً، والإبقاء عليها للتاريخ، وللأجيال القادمة التي لا يحقّ لنا أن نعتدي عليها.

إننا نفترض هذه الفروض على سبيل المثال، ونحن لا نعتقد أن هناك أسباباً تدعو إلى حرق شعر الشاعر والقضاء عليه، لأنها قصائد مثل هذه القصائد المتداولة لدى الناس، والتي شاء القدر أن تبقى محفوظة ومكتوبة لدى رُواته ومحبّي شعره، وقد كنت أعرف أن المرحوم كان يحرص أحياناً على عدم إظهار بعض قصائده ونشرها بين الناس، لئلا تُغضبهم، وليتلافى ما قد يحدث من قلق واضطراب، بسبب تناولها بعض أفعالهم، والتَّهجّم فيها على الوضع الحالي في ذلك الحين، لعدم رضاه عن بعض الأمور التي كانت لا تُرضي كل ذي ضمير حي، ووجدان يقظ. ولو حكّمنا العقل، وأنعمنا النظر، ودقَّقنا في التفكير، لوجدنا أن الحياة مليئة بالأخطاء، وأن الناس - مهما كانوا عقلاء - معرَّضون للكثير من هذه الأخطاء، وليس هناك عهد من عهود التاريخ، يخلو من الخطأ، لكنّ الميزان يختلف في عهد عن عهد، وتقلّ الأخطاء وتكثر حسب عقليّات الناس وأمزجتهم، وحسب بيئتهم وظروفهم، والأديب الحرّ، والشاعر الحسّاس، هما اللذان يسجّلان هذه الأمور على حقيقتها للناس وللتاريخ. إننا نكتب هذه الكلمات، والألم يحزّ في نفوسنا لضياع تلك الثروة الفكرية، التي اعْتُدِيَ عليها دون مبرّر أو عذر، سوى شهوة في بعض النفوس، لا نعرف حقيقتها ولا نتصوّرها.

ولو لم يكن للشاعر رُواة يحفظون شعره، ومحبّون يدوّنون من هذا الشعر الذي يعجبون به أشد الإعجاب، لما استطعنا أن نجمع له ديواناً يخلّد ذكراه، ويصوّر حياته، ويحفظ لنا شيئاً من تاريخ الكويت الأدبي في تلك الفترة التي عاش فيها الشاعر.





فقد بصره

■ وفي السنوات الأخيرة من حياته، فقد الشاعر بصره، فزاد ذلك من شدّة حساسيته، وانطوائه على نفسه، ونفوره من النّاس الذين لم يقدّروا أدبه، ولم يعرفوا قيمته في الحياة، فقد أُصيب بمرض في عينيه مدّة من الزّمن قبل مماته، ولم يكن ليجد المال الذي يمكّنه من معالجته، ولم يكن في الكويت أطبّاء مختصّون في علاج العيون، لهذا ظلّ مريض العينين مدة طويلة من الزمن، إلى أن فقد بصره تمامًا، فظلّ في عقر داره حزيناً وحيداً، إلّا من بعض أفراد قلائل من الأصحاب يزورونه بين حين وآخر، ويعطفون عليه، ويواسون آلامه، ويخففون من أحزانه، فكان يأنس بهم، ويحتفي بقدومهم، ويتجاذب معهم أطراف الأحاديث المختلفة، أدبيّة وغير أدبيّة، وهكذا ظلَّ على هذه الحال إلى أن وافاه القدر المحتوم.

أما أثر العمى على نفسيته فلم يكن سهلاً، وفقد النظر ليس بالأمر الهيّن حتى لا يؤثر في نفسيّة الشاعر الحساسة، فمما لا شكَّ فيه أنه تأثر كثيراً بهذه المصيبة التي حلَّت به، وقد كان يتمنّى، ويؤمل قبل فقده بصره، أن يتمكّن من الرحيل إلى بغداد لعرض نفسه على بعض الأطباء المختصّين بمرض العيون هناك، وكثيراً ما ردَّد على مسامعنا هذه الأمنية التي كان يحلم بها، إلَّا أننا لم نسمع بسفره، وكان - على ما أعتقد - قد عالج عينيه مرَّة ببغداد أو البصرة، لكنه بعد سنوات من علاجه الأول، اشتدَّ عليه ألم العينين، وأخذ بصره يقلّ شيئاً فشيئاً إلى أن فقده، ففقد بفقده حاسَّة هامَّة من الحواس التي كانت تعينه على القراءة وعلى قول الشعر، ولا شك أن البصر له شأن كبير لدى الشاعر، ولا سيما شاعر الغزل الذي كان يحبّ أن يتغنى بالجمال دائماً، ويشدو بمفاتن الطبيعة، وما خلقه الله تعالى من حسن رائع، وجمال فتّان.



وَفــاته

ﷺ بعد الأحداث النفسية التي مرَّت بشاعرنا «فهد»، أو مرَّ هو فيها، وبعد التطوّر الذي مرَّ به، من التديُّن إلى ترك هذا التديّن، ومن تفكيره المحافظ، إلى تفكيره المنطلق الحرّ، ومن تزمّته وتعصّبه في المحافظة على الدين والتقاليد والعادات الموروثة إلى تحلّله تحللاً تاماً منها، واندفاعه في القراءة والبحث، وتتبع المذاهب الاجتماعية والسياسية، ثم معاقرته الخمرة التي كثيراً ما تغنّى بها بعد ذلك في أشعاره الجميلة، وقصائده الرائعة، بدأ أهله يضجّون من هذا التحوّل العجيب، وهذه الانتكاسة التي أدَّت به إلى هذه الحال، التي يستنكرونها كلّ الاستنكار، والتي لا تتناسب وتقاليدهم وعاداتهم، بل لا تتناسب وتقاليد الكويت وعاداتها، وهي تقاليد وعادات محافظة، وحاولوا ردّه وردعه عن هذا التحلّل الذي بدأ يغيّره ويغيّر حياته، وعن هذه الأفكار التي أخذ يجاهر بها، وهذه الآراء التي أخذت تضايقهم، وينزعجون منها، لا سيما وأن الناس أخذوا يتحدّثون عن هذا التحوّل الخطير، الذي حدث «لفهد العسكر»، والذي لم يعهدوه فيه، وما كانوا يعتقدون يوماً أن مثل هذه الآراء والأفكار تصدر عن «فهد» المتديّن المحافظ.

حاولوا ردّه وردعه عن مثل هذه الأفكار. لكنهم لم يجدوا فائدة من نصائحهم له. فأخذوا يملّون منه، ويبتعدون عنه، كما أن أكثر أهل الحي المتديّنين رموه بالكفر والإلحاد، فأخذوا شيئًا فشيئاً يبتعدون عنه، وأخذ هو يبتعد عنهم، لأنه من الصعب التوفيق بين عقليّاتهم التي ظلت على حالها

دون تفتح، ودون خروج من دائرتها الضيّقة المحدودة، ودون اطلاع على مختلف الآراء والنظريات والمذاهب الاجتماعية، وبين عقليته التي أخذ يغذّيها دومًا بالاطلاع على مختلف الأفكار والنظريات والمذاهب الاجتماعية، التي يقرأها في الكتب وفي المجلات.

إذاً أصبح الفرق كبيراً، والبون شاسعاً بينه وبينهم، فبدأ يتخذ العزلة مأمناً له ولأفكاره، وفي هذه العزلة راحة له ومنطلق ينطلق فيه بأفكاره، ويعاقر فيها الراح أيضاً، ويقرأ، ويكتب أشعاره التي يبثّ فيها همومه وأشجانه.

وفي الرّاح راحته النفسية، حيث ينسى همومه وأحزانه، وهو الذي يقول في قصيدته الطويلة الجميلة «بأبي هائمة»:

ثُـمَّ قَـالـتْ وَرَذاذُ الـمـطَـرِ   حَـبَـسَ الـطَّـيْـرَ ولـمّـا يَـطِـرِ

هاتِ بِنْتَ النَّخْلِ ياابْنَ العَسْكَرِ   لا يُطاقُ الصَّحْوُ في ذَا البَلَدِ

وكأنه يتمثل قول الأخرس الشاعر الذي يقضي على همومه وأحزانه بالراح، حيث يقول:

كَـأنَّ حَـبَـابَـهَـا نُـظِـمَـتْ نُـجُـومـاً

رَجَـمْـتُ بِـهـا شَـيَـاطِـيـنَ الـهُـمُـومِ

وبعد هذا التحوُّل وهذه العزلة، والابتعاد عن أهله، وعن الناس، أخذ بصره يضعف شيئاً فشيئاً، وحاول علاج عينيه دون فائدة، وربَّما ورث ضعف البصر من والده صالح، الذي كُفَّ بصره في أواخر أيام حياته. ظل بصره يضعف إلى أن فقد النظر، مما زاد الطين بلَّة، كما يقول المثل العربي، ففقد أهله، وفقد الناس، وفقد بصره، وأخذت صحته تسوء، وحالته تتردى، فأقام في غرفة مظلمة في الدور الأول في إحدى البنايات الواقعة قرب «سوق واجف» وحيداً منعزلاً عن الحياة وضجيجها، وأذكر أني زرته في هذه الغرفة قبيل تعييني محاسباً لبيت الكويت في القاهرة في

أواخر عام ١٩٥٠م، زرته لأودعه، وما كنت أعلم أن المنية تقترب منه، وكان رحمه الله في حالة صعبة قاسية، وفي أشدّ اليأس من الحياة. وأذكر أنه أكّد لي في هذه الزيارة القصيرة الخاطفة، أنه ترك شرب الخمر التي أضرَّت بصحته كثيراً.

وقد حدَّثني شقيقه خالد بأنه عندما ساءت صحة «فهد»، ورآه في حالة أليمة وقاسية، وأصبح من المتعذَّر بقاؤه في هذه الغرفة الضيقة المظلمة، أخذه عنده في بيته، حيث أقام مدة ثلاثة شهور تقريبًا، وعندما اشتدَّ به الألم، اتصل أخوه «خالد» بالمرحوم نصف يوسف النصف، وكان مديراً لإدارة الصحة العامة في ذلك الوقت، وأخبره عن سوء صحة أخيه «فهد» وخطورة حالته، وأن الطبيب ينصح بضرورة بقائه في المستشفى، فأمر المرحوم نصف حالاً بحجز غرفة خاصة له بالمستشفى الأميري، وتمّ إدخاله في هذا المستشفى، وكان يزوره بعض أقاربه وبعض أصحابه القلائل أثناء النهار، أما أثناء الليل فيبقى وحيداً، وكان الذي يشرف على علاجه هو الدكتور أحمد سلامة، وقد سألته عن مرضه، فأفاد بأنه كان مصاباً بتدرُّن رئوي متقدم جداً، ممّا أدَّى إلى القضاء عليه، وكان سلوكه - رحمه الله - وتصرفاته أثناء وجوده في المستشفى - حسب إفادة الدكتور أحمد سلامة - سلوكاً حسناً وتصرفات لا غبار عليها، وكان طوال المدة التي قضاها في المستشفى ملازماً الفراش نظراً لتقدّم الداء المصاب به، أما المدّة التي قضاها في المستشفى الأميري، فتتراوح بين الشهرين والشهرين والنصف، وبعدها فاضت روحه، وكان ذلك يوم الأربعاء الموافق ١٣ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٠هجرية، الموافق ١٥ أغسطس سنة ١٩٥١م، ودفن لساعته.

وقد أفاد السيد عثمان عيسى العصفور بأنه هو الذي صلّى عليه في مسجد «المديرس»، وهو أول واحد يصلّي عليه بعد تعيينه إماماً لمسجد المديرس.

أما الذين صلّوا عليه، فلم يزد عددهم على خمسة، هم الإمام عثمان العصفور، وثلاثة من أبناء المهرة، ورابع لم يعرفه، وحملوه بعد الصلاة عليه إلى المقبرة العامة بقرب «نايف»، ودفنوه فيها، ويبعد قبره عن قبر المرحوم أحمد الجابر بخمسة عشر متراً تقريباً، ولم يكن معهم أحد من ذويه، ولا من أقاربه، حتى ولا من أصحابه.

هكذا فارق الحياة، وترك الدنيا، بعد أن قاسى ما قاسى من آلامها ومصائبها، ولم يترك أي ثروة مادية، وإنما ترك ثروة أدبية رائعة، هي بلا شك أبقى وأخلد من أية ثروة مادية، وكثير من الذين خلّفوا وراءهم الثروات المادية، أساؤوا إلى من تركوا له هذه الثروات، وأساؤوا لأنفسهم أيضًا، ولم يذكرهم الناس بالخير، إلّا القليل الذين تركوا ثرواتهم للأعمال الخيرية، وللمنافع العامة، حيث يستفيد منها الكثير من المستحقّين، كما أنهم تركوا هذه الثروات، وذهبوا إلى المصير المحتوم، وسرعان ما جرَّر عليها النسيان ذيوله، وأناخ عليهم الصمت بكلكله، فأصبحوا نسياً منسيا.

أما الذين تركوا آثاراً فكرية وأدبية، فقد خُلّدوا بخلودها، واستفاد منها النّاس الذين يهتمّون بالفكر وبالأدب، وظلّت بين الناس يتناقلونها، ويفيدون منها. والآثار الفكرية التي تركها شاعرنا سوف تبقى على الزمن، وسيتردّد ذكره بين الناس ما بقيت هذه الأثار الفكرية، التي تتمثَّل في ما خلفه من أشعار رائعة، وقصائد جميلة، يتغنَّى بها عشاق هذا الفن الرفيع، ويردّدونها في مختلف المناسبات والأوقات. وستبقى سجلّاً أدبياً لفترة من الفترات التي مرَّت فيها الكويت. ولولا هذه الثروات الأدبية والشعرية والعلمية التي يخلّفها الموهوبون من الناس، ويصوّرون فيها فترات حياتهم، وفترات حياة أمتهم، لما كان هناك تاريخ يسجّل الأحداث على اختلاف أشكالها وألوانها.

إذاً فقد مات «فهد»، ولم يمش في جنازته أحد من أقاربه، ولا أحد من أصحابه، ولا أحد من الذين يهرولون وراء نعوش الوجهاء والأغنياء، وأصحاب الجاه، ولم يكن «فهد» وجيهاً ولا غنيّاً، ولا صاحب جاه، وإلّا لرأيت النّاس وراء نعشه وفوداً، تذرف دموع التماسيح، وإنّما كان شاعراً بائساً فحسب.

أجل، هكذا يموت المعذّبون في هذه الأرض، ولن يضير هؤلاء المعذبين أن يموتوا بهدوء، وبدون ضجيج ولا عويل، ولا دموع تذرف باردة، ولا طوابير تتزاحم على العزاء.

* * *



شاعر فنان

■ وشاعرنا «فهد» من الشعراء الذين تغنوا بالجمال، وهاموا بالحسن، ووصفوا مفاتن الطبيعة، وصاغوا الأشعار السلسة العذبة. في وصف جمال الكون على اختلاف أنواعه، وأكثروا في هذا الوصف، حتى أنَّ بعض الأدباء الكويتيين عابوا على الشاعر تكرار بعض الأبيات، أو تكرار بعض المعاني في شعره الغزلي، وشعره في وصف جمال الطبيعة، ولئن كان هناك بعض الأبيات التي نعيبها على الشاعر في هذا المعنى، إلَّا أن ذلك، لا يمنعنا من القول بأن الشاعر لا يلام على ذلك، إذ نجد كثيراً من الشعراء تغنّوا بكثير من أشعارهم، وأسهبوا في وصف محبوبة واحدة، ونظموا فيها الكثير من شعرهم، وشعر الشاعر «فهد» لم يقتصر على وصف الجمال ومفاتن الطبيعة، بل إنه تغنَّى وأكثر من التغنّي بشعره في الخمر، وأو ابنة النخيل، كما كان يسميها، بل إن معظم أشعاره كانت في التغنّي بالخمر، ووصفها والتلذّذ في الإنشاد بها، كما كان يفعل كثير من شعراء العرب السالفين.

ونحن لا نعيب على الشاعر أن يقصر شعره على التغنّي بشيء معيّن في هذه الحياة، كجمال المرأة مثلاً، أو جمال الطبيعة، أو حبّ الخمر، أو غير ذلك من الأشياء التي قد يتعلّق بها الشاعر، ويتغني بحبّها، فقد رأينا في العصر الحديث شعراء نظموا الكثير من أشعارهم في رثاء زوجة واحدة، وجاءت هذه الأشعار في دواوين خاصة، كلها رثاء في زوجة واحدة. وهل يعيب الأدباء على هؤلاء الشعراء هذه العلاقة الصادقة، وهذا الإخلاص

النزيه، وهذا الحبّ الجارف؟ وما هو محلّ العيب على شاعر عاش طيلة حياته، أو قضى قسماً كبيراً من حياته، مع زوجة كريمة مخلصة شاركته آلامه وأحزانه، وواسته في مصائبه، وخفَّفت عنه ويلات هذه الحياة؟ إننا لا نعيب على هذا الشاعر شعره في رثاء زوجته التي كان يحبها، والتي فقد في فقدها معاني الحياة الهادئة والعيش الكريم، بل نقدّر في هذا الشاعر روح الإخلاص الطاهر، والضمير الحيّ، والوجدان النابض بالحياة، وهذا هو الشعر الصادق، الذي يعبّر تعبيراً كاملاً عمّا يجيش في نفس الشاعر، ويصوّر تصويراً دقيقاً معاني الكرامة والإنسانية والخلق الرفيع. والشعر عاطفة صادقة وإحساس خالص وشعور عميق، ولهذا قلنا في ما تقدم، إن القطعة الشعرية إذا جاءت في نَفَس واحد، وعاطفة قوية، ووقت واحد، وشعور واحد، كانت هي القصيدة الشعرية الخالدة، لأنَّها أتت متماسكة، متسلسلة في أبياتها، وفي كلماتها، وفي معانيها.

والشاعر الذي يقصر شعره على نوع معيّن من الحياة، لا يجوز أن نعيب عليه ذلك، لأن الشاعر الصادق، هو الذي لا يقول الشعر، إلَّا إذا وجد الدوافع إليه، أما من عداه من النظّامين الذين يتكلّفون الشعر تكلّفاً، ويزجّون بالألفاظ زجّاً، ويحاولون ربطها قسراً، ليكوِّنوا منها منظومة، ويسمّونها شعراً أو قصيداً، فلا. إذ نجد في هذه المنظومات التنافر في الكلمات، والسطحية في التفكير، والاضطراب في المعنى، والقلق في الألفاظ، لأنها لم تصدر عن عاطفة، ولم تأتِ عن دافع صادق، وشعور خالص.

إذاً فأولئك الشعراء الذين سكبوا عبراتهم شعراً على الورق، ونفَّسوا عن أشجانهم قصيداً، هم الذين يمثّلون الشعراء خير تمثيل، ولا يعيبهم أن تأتي أشعارهم خاصة في الرثاء أو غير الرثاء، فالغرض من الشعر هو التعبير عن

شعور الشاعر، والراثون لزوجاتهم، لا شك، أنهم عبّروا عن شعورهم الصادق برثائهم لزوجاتهم.

و«فهد العسكر» مع ذلك لم يقتصر شعره على نوع معيّن من الحياة، بل إنه مدح وهجا، وتغزّل ورثى، ووصف وبكى. أي أنه طرق جميع أبواب الشعر، لكنه زاد في باب دون باب من هذه الأبواب، وهو لم يَهْجُ أحداً إلّا إذا ألحَّ عليه الهجاء إلحاحاً، للشعور بالكراهية مثلاً نحو الشخص الذي يهجوه، ولم يمدح أحداً إلّا للدافع الذي يدفعه لمدح ذلك الشخص، الذي يراه يستحقّ هذا المدح، إلى غير ذلك من بقيّة الأبواب التي ذكرناها هنا.

ولا نبرىء الشاعر من التكلف، والإسفاف أحياناً، في قصائده، فكلنا نعرف أن كثيراً من الشعراء، عندنا في الكويت، يُدعون في مناسبات خاصة للاشتراك فيها، وإلقاء بعض القصائد التي تجود بها قرائحهم في هذه المناسبة، فيحاولون نظم القصائد وإعدادها لهذه المناسبة، حتى لا يتّهمهم المدعون بالعجز أو بالتقصير عن أداء واجب المشاركة في هذه المناسبة بقصائدهم وأشعارهم. لهذا يتكلّفون النَّظم تكلُّفاً مشيناً، فتأتي قصائدهم ضعيفة ركيكة. ومن هؤلاء الشعراء شاعرنا «فهد»، فكثيراً ما كان يطلب منه إعداد القصائد لمثل هذه المناسبات، فيلبّي الطلب ويؤلف بعض القصائد لها، ومن هنا تأتي هذه القصائد ضعيفة ركيكة، لأنها لم تصدر عن شعور صادق، ولا إحساس فيّاض، ومن هنا أخذ بعض الأدباء على الشاعر ضعف بعض القصائد التي تنسب إليه، والتي قالها في بعض المناسبات الخاصة، ومن هؤلاء الأدباء أيضاً من يعيب عليه بعض الألفاظ، ونسوا أن لكلّ جواد كبوة. لكن شعره على العموم شعر صادق، متين، في ألفاظه ومعانيه..



مدرسته الشعرية

■ وقد كان «لفهد» مدرسة شعرية، وقد ذكرنا كيف كانت مجالسه مع الشعراء والأدباء في الكويت. ونذكر هنا للتاريخ أنَّ مدرسة «فهد العسكر» خرَّجت كثيراً من الشعراء الشباب عندنا، فهو الذي صقل روح الشعر فيهم، وحبَّبه إليهم، وشجَّعهم على إنشاده، بل إنني أعرف أن هناك من شعرائنا من كانوا يستعينون بالشاعر «فهد» في تقويم بعض أشعارهم، حيث يعرضون عليه كلّ قصيدة ينظمونها، فينقدها نقداً سليماً، يُظهر ما يراه فيها من أخطاء شعرية، ويسلّط عليها أضواءه الشعرية، ويدلّ على المآخذ التي يأخذها عليها، ويوجِّه الشاعر إلى تصويبها، ويدلّه على الهفوات لتلافيها في شعره في المستقبل. ومنهم من تخرّج على يد «فهد العسكر» في شعره حقًّا، فكان «لفهد العسكر» الفضل الأكبر في قوّته الشعرية.

ومدرسة «فهد العسكر» تمتاز بالتحرّر الفكري، والثورة على التقاليد والعادات. والسير بالشعر إلى الحرية المطلقة، التي لا تعترف بالقيود التي تحدّ من حريّة القول، ولا تؤمن بالمحافظة على الأوضاع الموروثة. بل إنها أحياناً تشذّ شذوذاً ظاهراً في تطرّفها واندفاعها إلى هدم الحدود التي أوجدتها البيئة، وأبقت عليها المحافظة على التقاليد القديمة، وكان لهذه المدرسة أنصار وخصوم، لكنَّ أنصارها محدودون، أما الخصوم فأكثرية ساحقة. ولا شكَّ أن مدرسة شأنها الثورة على القديم، والتهجُّم على التعصُّب، والتطرُّف في طلب تغيير الوضع، في بيئة محافظة متمسكة بتقاليدها وعاداتها، متعصبة للموروث من هذه التقاليد والعادات، لا شك

أن هذه المدرسة ستحدث خصوماً كثيرين، وأعداء يتحينون لها الفرص للقضاء على البدع التي تنادي بها، فليس من اليسير على المرء، أن تأتيه، لتردَّه عن أمر من الأمور التي ألفها بالقوّة والبأس، وليس من الهيّن على الإنسان، أن تثنيه عن آراء، شبَّ عليها وتشرَّبتها روحه، بجرة قلم، لا سيَّما إذا كان أكثر هؤلاء الخصوم من الذين لم يتثقفوا ثقافة تتيح لهم الاطلاع على تطوّر الحياة ومعرفة معنى الحرية الفكرية.

ولهذا لقيَ «فهد العسكر» مقاومة شديدة، وموجة جارفة من الكراهية والحقد، من المجتمع الذي يعيش فيه، بل ومن أهله، وذويه، الذين ألفوه خارجاً على العرف، متحدّياً عاداتهم، مجاهراً بآراء لم يكونوا يعرفونها من قبل، ولم يسمعوا أحداً يجهر بها هذا الجهر الذي يقلق راحتهم، ويقضّ مضاجعهم، فكيف بأحد أفراد عائلتهم يطلع عليهم بهذه الأفكار المتطرفة، وهذه الآراء التي يرونها كفراً وإلحاداً؟

لهذا أبعدوه عنهم، وتبرّأوا منه، فقد كان ذووه في حيرة من أمرهم أول الأمر، إذ كيف يصبرون على هذه الموجات الصاخبة من اللوم الذي يُوَجَّه إليهم على هذا المتطرِّف الثائر، الذي يتحدّى آراءهم وأفكارهم المألوفة، وكيف يرضون عن هذا الشاعر العاقّ، الذي انحرفت بعقله الكتب الحديثة، والشعر الماجن، والآراء المتطرفة، هذا الشاعر الذي أصبح سبَّة لهم أمام الناس، والذي أصبح حديث المجالس والأندية، فظلّوا في هذه الحيرة من أمرهم، أيتنكرون لأحد أبنائهم لأجل خواطر الناس، أم يرضون عنه، فيتحدّون الناس الذين أخذوا يوجّهون إليهم اللَّوم الشديد، والانتقاد المرّ، على سكوتهم عن تصرف ابنهم الشاذّ، وعدم الحدّ من نشاطه الذي يبديه أمام الناس، والذي يخشون أن ينحرف بأبنائهم إلى الطريق الذي انحرف إليه هذا الشاعر الماجن؟

وقد حاول ذووه ردّه عن هذا الانحراف، والعدول به عن هذه الخطة التي اتَّخذها لنفسه، وإصلاحه من الاعوجاج الذي أصابه في فكره وعقله، كما يدّعون، لكنهم لم يستطيعوا أن يعملوا شيئاً، فلم يستطيعوا أن يردّوه عما هو فيه، ولم يقدروا أن يردّوه إلى الطريق الذي يبغونه له، وعندما وجدوا أن جميع محاولاتهم باءت بالفشل، ويئسوا من إصلاحه وجذبه إليهم، أبعدوه عنهم، وتبرَّأوا منه إرضاء لضمائرهم، ولكي يغلقوا أبواب الانتقادات التي انفتحت أمامهم، ويسدّوا الثغرات التي أخذت تقذف إليهم التّهم بالعجز عن ردع ابنهم المتمرّد الضالّ.

لكن الشاعر «فهداً» وقد تغيَّر رأيه في الحياة، وتبدَّلت أفكاره في طبيعة الكون، وتشبَّعت روحه بالحرية التي رأى من حقّه التمتّع بها، وامتلأ عقله بالصور المختلفة التي قرأها في الكتب والمجلات، وفي الشعر على الخصوص، تلك الصور الفكرية المنطلقة المختلفة في أشكالها، وفي ألوانها، شرقية وغربية، كيف به بعد أن اطلع على هذه الآراء والأفكار، وتشبَّع بها، وآمن بحقّ الإنسان في أخذها أو رفضها، حسب طبيعته وتفكيره، ومستوى عقليته، كيف به يرضخ بعد كل هذا لذويه، فيرضيهم بالعدول عنها بعدما أصبحت جزءاً من كيانه، وقطعة من روحه، وأخذت تجري في عقله وقلبه جريان الدَّم في شرايين الجسم، كيف يضحّي بالحرية التي اكتسبها لنفسه، وآمن بها، في سبيل لقمة من عيش، أو جرعة من ماء؟

إنه أصرَّ على هذه الحرية كلّ الإصرار، ودافع عنها كل الدفاع، وضحّى في سبيلها بكلِّ ما يملك من أغراض مادية، لم يجدها تساوي شيئاً في سبيل الكرامة والحرية، واحترام العقل. لهذا ظلَّ بعيداً عن أهله، وهجره الكثيرمن الناس، ورموه بما ليس فيه من تهم، شديدة على النفس، أليمة على الضمير، قاسية على القلب، فظلَّ يعاني الوحدة إلَّا من صلته ببعض جماعة رأته على حقّ في ذلك، وكره الناس كرهاً شديداً، ونفر منهم ومن

تقاليدهم، وما كانوا يتبعونه من شذوذ وجمود في حياتهم المملَّة الراكدة، التي لا تحرك العقل، ولا تبعث في النفس الحياة، فهي حياة راكدة، لا يهمّها إلَّا العيش، ولا يعنيها إلَّا الكسب المادي. حياة تحجَّرت فيها العقول، وماتت الضمائر، وضاعت المواهب. حياة تسير على نسق واحد، وعلى وتيرة واحدة، لا تجديد فيها ولا تغيير، بل ملل وسأم وركود.

هكذا اعتزل «فهد» أهله، وهجر الناس، وأنشأ مدرسته الحديثة في الشعر، حيث الحرية المطلقة، والمجادلات الأدبية الطريفة، التي تشحذ الفكر، وتدفع الإنسان إلى الاطلاع والاستزادة، للتسلح بالحجج للاعتراضات التي يلقاها أمامه.

وكان مجلسه هذا أو كانت مدرسته كما نسميها، تضم نخبة من شعراء وأدباء الكويت، الذين يأتون إليها لتنسّم الحرية، وللتغنّي بالشعر، والتلذّذ بالأدب، وللاطلاع على الآراء والمذاهب الأدبية الحديثة.



بين اللفظ والمعنى

■ عندما كانت النفس البشرية فطرية، والشعور صادقاً، والخلق قويماً، والإخلاص في القول منهجاً يتبعه الأدباء والشعراء في كتاباتهم وأشعارهم، كان الفن في الأدب، شعراً ونثراً، فنّاً يتميَّز بجمال الأسلوب، وقوّة العبارة، وبلاغة المعنى، وبيان المنطق. وكان الشعر والنثر يعتمدان اعتماداً كبيراً على الأداء، ويهتمّان اهتماماً بالغاً بتركيز المعاني، في ألفاظ صادقة تعبّر عن الشعور، وتؤثر في نفس السّامع، وتنقل المعنى بعبارات أو جمل مختصرة محبوكة رصينة. وكان الأدباء والشعراء يؤثرون اختيار اللفظ اختياراً فنيّاً، ليضمّنوه المعاني التي تدور في خواطرهم، والأفكار التي تجول في أذهانهم، والصور المرتسمة في مخيّلاتهم. لهذا فقد كان أدبهم وشعرهم بليغاً قوياً رائعاً. وقعه في النفوس مؤثر غاية التأثير. وكانت الأذواق قد تعوَّدت المعرفة الصحيحة، والنقد الأدبي السليم. فكانت كلماتهم كالصّور المتحرّكة التي نشاهدها على شاشة «السينما» في العصر الحديث. ولما دار الزمن دورته، وتغلَّبت المادية على الروحانية، وطغت السطحيّة على العمق، وكثرت الآلات اليدوية المادية، وتسابقت الأمم إلى استغلال هذه الماديات، واستنزاف خيرات الأرض، واهتمَّت الدول بنشر صناعاتها، وسدّ الأبواب في وجوه غيرها من الأمم، ركزت إمكانياتها البشرية في سرعة الإنتاج، والسيطرة على أسواق العالم. فنشأت الصحف، وابتُدعت «السينما»، واختُرع الراديو، والتليفزيون، وأخذت هذه الوسائل الثلاث تسيطر على العقول والقلوب، وتستغلّ الآراء والأفكار، ففسدت الأذواق، ومات الإخلاص، وانعدم الصدق، وبفساد الذوق فسد الفن،

وبموت الإخلاص مات الإنتاج المفيد، وبانعدام الصدق انعدم البحث الأدبي الواعي، والشعر المجنّح الصادق. وأخذ أصحاب عصر السرعة يعيبون على الشعراء والأدباء اختيار اللفظ القويم، والأسلوب البليغ، والصياغة العالية، التي يعبّرون بها عن المعاني التي تراود أذهانهم، والصّور الخيالية التي ترتسم في عقولهم. عابوا عليهم ذلك، لأنهم عجزوا عن اللحاق بهم، إذ طغى عليهم عصر السرعة بآفاته المختلفة الثلاث، ولم يمهلهم للتأنّي في التفكير، والتروّي في التعبير، والتعمّق في البحث والاطلاع، فهم يريدون السرعة في الكتابة، والسرعة في القراءة، والسرعة في السّماع والمشاهدة، والسرعة في سدّ الفراغ الذي يريدون أن يملأوه صباح كلّ يوم، لا يهمّهم أَسَدّوا هذا الفراغ بالمجدي المفيد النافع، أم ملأوه بالتافه الذي لا قيمة له. فأصحاب الصحف يحتّم عليهم العصر: أن يسوِّدوا يوميّاً صفحات كثيرة لتطلع على سواد الناس، وأصحاب «السينما» يريدون صوراً ومشاهد مختلفة، في أي نوع كانت، لعرضها على الجمهور للكسب المادي من ورائها، وأهل «الراديو» يريدون أن لا يتركوا الزمن يجري، دون أن يملأوه ضجيجاً وعويلاً للدعاية الجوفاء، ولو بالخبر الكاذب، وهكذا تكالبت هذه الآفات الثلاث على العقل، فشلّت القرائح... وضعَّفت السَّلائق، وتعطَّلت العقول عن الإنتاج الصادق البليغ.

وعندما تحكَّمت هذه الأدواء في النفوس، وأخذت تسابق الزمن، جرفت بتيارها الأدب الرَّفيع، والشعر العالي، وسدَّت أمام الموهوبين، وأهل الذوق والفن، أبواب الإجادة في نتاجهم، والتأنق في أدائهم، والصدق فيما يخلفونه من ثروات عقلية مجدية.

هذه كلمة، رأينا أن نسوقها هنا على سبيل المثال، لنستدلَّ بها على تقصير بعض أدبائنا الذين تأثَّروا بهذه الآفات، أو أثَّرت فيهم، فعابوا على

المتأنين في أدبهم وشعرهم هذا التأني، وعدّوا عليهم ذلك خطأ يرتكبونه، ورموهم بالتأثر بالقديم في تفكيرهم وفي فهمهم للأدب والشعر القديم، الذي عُنِيَ بالاهتمام بالبلاغة في الأداء، والقوة في التصوير.

وماذا يفيد المعنى الذي تحمله إلى الناس، إن لم تأتِ به في صدق وقوَّة وتأثير؟ والاهتمام باللفظ واختيار الجيد البليغ منه، لا ينقص من قيمة المعنى، بل إن اللفظ البليغ الجيد يزيد المعنى إيضاحًا، ويجعله قوياً متماسكاً، يؤثر في نفس السامع أو القارىء. وما فائدة المعنى، إنْ لم تدعمه القوة في اللفظ والتعبير، وإنْ لم يُصَغ في أسلوب متماسك جذّاب؟

وقد كان شاعرنا، رحمه الله، من الشعراء الذين يختارون الألفاظ اختياراً، ويتأنَّقون في الأسلوب تأنقاً كبيراً، ويهتمّون بالعبارة اهتماماً شديداً. فهو حينما يدور معنى من المعاني في ذهنه، يروح مفكراً في هذا المعنى، متأملاً في اختيار الألفاظ التي يمكنه أن يؤدّي بها هذا المعنى خير أداء، ليأتي مؤثراً قوياً، وكان بعض أدبائنا يعيبون على «فهد» اهتمامه بالصياغة. ونحن إذ نقرّر هذا هنا، لا ننزّه شاعرنا عن بعض القصائد الخالية من المعنى الرفيع، فله بعض القصائد التي نعدّها قصائد مألوفة عامية المعاني، وقد يكون الإنشاء فيها أظهر من أي شيء آخر. كما أن له بعض القصائد أو الأبيات الركيكة الخالية من المعنى البليغ.

وفي الواقع، فإن المعنى لا غنىً له عن اللفظ المختار الجيّد، إذ أن اللفظ أداة للتعبير عن المعنى الدائر في نفس الشاعر أو الكاتب. فكلاهما متلازمان تلازم الروح للجسد، ولا غنًى لأحدهما عن الآخر.

وقد ثارت ضجَّة في بعض المجلات العربية، التي تصدر في الكويت منذ زمن ليس بالبعيد حول القديم والجديد، وكان بعض أدبائنا يعتقد أن القديم في الشعر والأدب، هو الاهتمام البالغ بالألفاظ والتعابير

والأساليب، والجديد عندهم هو الاهتمام بالمعنى دون اختيار اللفظ، أو التأنّق في الأسلوب أو الاهتمام بالعبارة.

ونود أن نثبت هنا، بهذه المناسبة، بعض ما كان يعنيه المجدّدون من أدبائنا في ضجّتهم تلك. لقد كانوا يعنون الانقطاع كلية عن الأخذ من الأدب القديم أو الرجوع إليه!. والأدب القديم هو حجر الزاوية، وهو الأساس للأدب الحديث. والأدب الحديث هو امتداد للأدب القديم، لكن الأدب الحديث عند بعض الأدعياء على الأدب، قريب التناول، سهل الأخذ، لا يتطلّب كدّاً للقريحة، أو إجهاداً في البحث والتعمُّق في الاطلاع، لهذا جاء أدبهم سطحيّاً لا نضوج فيه، وهم يدّعون أن هذا هو التجديد في الأدب، ومسايرة تطوّر الزمن. والتجديد في الأدب ليس هذا الذي يدّعيه هؤلاء الأدعياء، من كلّ ما تتمثل فيه السطحية والإسفاف، والحشو الفارغ، في الكلام العابر التافه، الذي تمجّه الأذواق، وتشمئزّ منه النفوس، وتنفر منه الأسماع، والذي يتعب القارىء أو السامع دون الوصول إلى النتيجة التي ينتظرها منه، لهذا تجدهم يسوِّدون الصحائف، ويملأون الكثير من الورق، لوصف رحلة أو زيارة عابرة، لا تحتاج إلى هذا اللغو الفارغ، ولا إلى هذا الحشو الكثير في الألفاظ المكرَّرة المعادة في كلّ صفحة، بل تكاد تتكرر في كل سطر من السطور، فهم في كتاباتهم كأصحاب الصحف اليومية تماماً، وأصحاب الصحف لا يهمّهم المعنى بقدر ما يهمّهم تسويد الصفحات في الجرائد المطلوب منهم تسويدها قبل شروق الفجر، لئلا يخسروا المكافأة المقررة لهم، أو يعدموا الوظيفة التي يتقاضون من ورائها بضعة جنيهات في مطلع كل شهر، والعجيب في الأمر أننا نرى هؤلاء، يكتبون أكثر مما يقرأون، بل إن كتاباتهم تفوق كثيراً جداً قراءتهم، لهذا جاءت كتاباتهم مكررة معادة مملّة، لا تخرج منها بنتيجة. والكاتب الحق هو الذي لا يكتب، إلَّا بعد أن تتأصَّل فيه ملكة الكتابة. وملكة الكتابة لا تتأصَّل في الكاتب إلَّا بعد الاطلاع الواسع، والبحث

الشامل، والمعرفة الغزيرة، ولا يكون الاطلاع الواسع، والبحث الشامل، والمعرفة الغزيرة، إلّا بالجدّ والجهد والسهر. والاطلاع الشامل يشتمل على القديم والجديد، فكيف نقتصر على الجديد من الأدب، ما دام الأدب القديم هو الأصل لهذا الأدب الحديث؟ لكن بعض القرّاء في هذا العصر، يريدون أن يصيروا كتاباً في أقرب وقت، ويبغون أن يصبحوا أدباء بأقرب وسيلة من الوسائل التي يرون فيها الراحة والاطمئنان، دون تعب أو جهد، والأدب يعتمد عليهما اعتمادًا قويّاً، ثم على الفن والذوق والأصالة.





التجديد في شعره

■ التجديد في الشعر ليس حديث العهد، كما يتراءى لكثير من الناس، إنما التجديد في الشعر مثل التجديد في الأدب قديم، لا نستطيع تحديد تاريخه، وقد عرف العرب التجديد، وآمنوا به، وأخذوا منه ما يروق لهم، وما يناسب أدبهم، وما يتمشّى وطباعهم، وأكبر دليل على ذلك، هذا الاختلاف والتطوّر المستمر الذي نجده في الأدب، وفي الشعر العربي على وجه الخصوص، منذ العهد الجاهلي، أو على الأصح منذ عهد ما قبل الإسلام. فالشعر في صدر الإسلام فيه شيء من الاختلاف عن الشعر الجاهلي، والشعر في العصر الأموي يختلف في رقّته وصياغته عن الشعر في صدر الإسلام، والشعر في العصر العبّاسي كذلك، يتميّز باختلافه الكبير، في تعابيره وصياغته وأسلوبه، بل وفي معانيه عن الشعر في العصر الأموي، وهكذا.

فالتجديد يطرأ على الأدب بصفة عامَّة، والشعر بصفة خاصَّة، في كل عهد من العهود التي مرَّ بها العرب، وتلك سنّة الحياة وتطوّر الطبيعة، واختلاف العيش، فالأدب العربي أبداً في تجدّد، والطبيعة أبداً في تطوّر، والعيش أبداً في اختلاف، لهذا استحال جمود الأدب العربي، ونظرة واحدة نلقيها على تاريخ الأدب في مختلف عصوره، ترينا التجديد المستمر، والتطور الكبير في هذا الأدب العربي الخالد، فيجب أن يجري حكمنا هذا على الأدب بصفة عامة، ولا نجريه على أفراد وجدوا في عصر من هذه العصور، وحاولوا التقليد، فهؤلاء المقلدون القليلون الذين يصعب

علينا معرفتهم وتحديد أدبهم، لا قيمة لهم ولا لأدبهم في تاريخ الأدب العربي على وجه العموم، على أن هناك من يقول في هذا العصر من أدبائنا: إن الأدب العربي، والشعر بصفة خاصة، ما هو إلَّا اجترار للأدب القديم، وتقليدله، ولا شكّ أن مثل هذا القول مردود على قائليه، لأن التاريخ يحدّثنا عن التجديد في الأدب، وتطوّره في كل عصر من العصور، ولو أنعم النظر هؤلاء الذين يرمون الأدب العربي بالجمود أحياناً، وبالتقليد أحياناً أخرى، لو أنعموا النظر في دراسة الأدب العربي منذ معرفتنا به، وبحثوه بحثاً دقيقاً، واطّلعوا عليه اطّلاعاً واسعاً في جميع عصوره، وقارنوا التطوّر البالغ، والاختلاف الكبير في كلّ عصر، بالعصر الذي سبقه، لما قالوا هذا القول، ولما أصدروا الأحكام التي يردّها التاريخ ردّاً، وينكرها الواقع إنكاراً، وإنَّما هم يصدرون أحكامهم دون الرجوع إلى هذا الأدب الخالد، ودون العناية به، ودون دراسته دراسة وافية شاملة، وهم حينما يصدرون هذه الأحكام، لا يريدون تكليف أنفسهم دراسة الأدب العربي، والشعر العربي على الخصوص، أو إنهم يصدرون هذه الأحكام، المردودة عليهم، لأنهم عجزوا عن دراسة هذا الأدب دراسة العالم المدقق، والباحث الأمين، أو لأنهم وجدوا في الأدب العربي الصحيح أدباً عميقاً، لا يُنال إلَّا بالبحث الصادق، والصَّبر في التنقيب، لأن هذا الأدب السَّطحي الذي يفرضونه على الناس، ويشيعونه بين العامَّة منهم، سهل المأخذ، يناله أي راغب فيه دون عناء، ودون دراسة طويلة، ودون بحث أو تنقيب، لهذا هم مضطرون اضطراراً إلى إصدار مثل هذه الأحكام، التي تتّهم الأدب العربي بالجمود طوراً وبالتقليد طوراً آخر.

ولو أن هؤلاء الذين يرمون الأدب العربي بالجمود والتقليد، قالوا إن الأدب العربي في العصر الحاضر، هو امتداد للأدب العربي القديم، لأوجدوا لأنفسهم منفذاً ينفذون منه للتخلص من أحكامهم وادعائهم جمود الأدب، لأن كلمة امتداد الشعر والأدب، قد تتيح لهم التأويل والتخلص

من الحرج الذي قد يصيبهم، وإن كنّا نؤمن بأن الامتداد بالأدب والشعر، لا يعني الجمود والتقليد على الإطلاق، إذ أن الأدب العربي الحديث ما هو إلَّا امتداد للأدب العربي القديم، لأن الأدب العربي القديم هو أصل هذا الأدب الذي نقرأه في الوقت الحاضر. فلولا الأدب العربي القديم لما كان أدب حديث، بل لما كان تجديد في الأدب، أو تجديد في الشعر، لأن تاريخ الأدب العربي، يدلنا دلالة قاطعة على التطوّر الكبير، والتجديد الذي طرأ عليه، منذ كان، كما يدلنا على ذلك ما حفظه لنا التاريخ.

ونعود إلى شاعرنا «فهد»، فنقول: إنه كان يساير التجديد في الشعر، بل نستطيع أن نقول: إنه استطاع أن يدرس الشعر العربي القديم والحديث في مختلف العصور، وأن يهضمه لقوة موهبته الشعرية، وأن يأتي بشعر خاص، له طابعه الخاص، ودلالته الخاصة، وميزته التي يتميّز بها عن شعر غيره من الشعراء، فشعر «فهد» يختلف كثيراً عن شعر غيره من الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين، ولا نستطيع أن نؤكد، أن الشاعر «فهداً» جدد في الشعر العربي الحديث، إلَّا أننا نقول: إن «فهداً» استطاع أن يجاري التجديد في الشعر، وأن يزيد من قوة هذا التجديد حسب طاقته الشعرية.

والشعر العربي شعر عام في مختلف أجزاء الوطن العربي، الذي مزَّقته أسلحة المستعمرين، وفرَّقته دسائسهم، وبطبيعة الواقع الذي تعيش فيه الأمة العربية، في هذا العصر، هناك شيء بسيط من الاختلاف في النَّفَس والأسلوب في الشعر، ولما كانت الكويت معزولة تقريباً عن بقيّة أجزاء الوطن العربي، وكان الكويتيون يعيشون في شبه انفراد عن بقيّة الأمة العربية، فقد كان بعض شعرائها يهتمون اهتمامًا بالغاً بالشعر العربي القديم، ويحاولون أن ينهجوا نهجه، ويقتفوا أثره، ويحذوا حذوه، إلا أن «فهداً»، رحمه الله، استطاع أن يخرج من هذه الدائرة الضيقة، وأن يلحق بشعراء

العرب في مختلف مضاربهم، وأن يكوِّن له طابعاً خاصاً، ونغماً شعرياً يميزه عن غيره من الشعراء، وإذا ما قسنا «فهدًا» بشعراء الكويت، خاصة، وجدناه مجدّداً بينهم، داعيًا إلى ترك التقليد لمنهج القدامى من الشعراء، وإلى ترك أثرهم، وإلى إطلاق النفس على سجيتها في الشعر، وهذه طبيعة المجددين من الشعراء، فهم لا يعيرون أيّ اهتمام للشعر القديم الذي درسوه، ووعته قلوبهم وعقولهم، حين خلوّهم إلى أنفسهم، وحين هبوط الوحي الشعري عليهم في هذه الخلوة الشعرية المحض.

وإذا كان هناك مأخذ نأخذه على «فهد»، فهو عدم عنايته بنشر شعره جميعه، بين جميع الناس. ممّا فوّت علينا فرصة دراسته، واستنتاج نواحٍ متعدّدة كثيرة من حياته، وقد يكون هناك كثير من شعره الذي لم تنله النار، محفوظاً في بعض الورق عند بعض الناس، أو مهملاً على رفوف بعض المكتبات في الكويت، لم نطلع عليه بعد، لأنه كان كثير الإنتاج في الشعر، ولأنه وهب حياته وعاش للشعر وحده، وقد يأتي اليوم الذي نستطيع أن نعثر فيه على بعض قصائده وأشعاره الكثيرة المنثورة هنا وهناك في بعض الرفوف والمكتبات، التي يملكها أصحابه من الأحياء والأموات، وربَّما وجدنا نواحي متعددة، نستنتجها من شعره هذا الذي لم نوفّق إلى الاطلاع عليه حتى الآن.

* * *

ديـوانـه

● كان «لفهد» مجموعة كبيرة من الشعر، لأنه كان منقطعاً له، يعيش في جوّه الخاص بعيداً عن جوّ الحياة العام، يبثّه آلامه وأحزانه، كما ذكرنا في أوّل هذا الكتاب، وقد تغنّى بشعره عن آلامه وأحزانه كثيراً، وكثر شعره في الشكوى من العيش، ومن الوضع الذي كان يحيط به، والواقع الذي عاش فيه، إلّا أننا مع الأسف لم نتمكّن من الاطلاع على جميع هذا الشعر الطريف، ولولا جماعة من أدبائنا، رأوا أن ينصفوا هذا الشاعر بعد موته، وأن يجمعوا شعره من بعض أقاربه والمتصلين به، لما استطعنا الحصول إلّا على القليل النادر من شعره، ولو لم يقم هؤلاء بمحاولتهم هذه لجمع أشعاره لحدث لهذا الشعر، ما حدث لكثير من شعر الشعراء الذين طوتهم يد الموت، فضاعت أو ماتت أشعارهم بموتهم، لأنهم لم يجدوا من يقوم بجمع ما خلفوه من ثروة شعرية بعد موتهم، وقد ذكرنا سابقاً أن كثيراً من أشعار «فهد»، أُعدمت حرقاً بالنّار بيد بعض أقاربه، وهذا ما دفع بعض أدبائنا إلى أن يحاولوا جمع القصائد المتبقية والموجودة لدى معارفه وأصحابه، حيث استطاعوا جمع قليل من هذه القصائد، التي لو طبعت لكوّنت ديواناً صغيراً، يخلّد اسم الشاعر مدى الحياة. على أننا نعتقد بأن البحث عن شعر «فهد»، يحتاج إلى مزيد من العناية والجهد، إذ يجب تتبّع جميع أصحابه من الأدباء الذين كانوا على صلة به، والذين يهتمّون بشعره اهتماماً كبيراً، كما نعتقد بأن هناك بعض قصائد له، نشرت في بعض الجرائد والمجلات العراقية، ويمكن البحث في هذه الجرائد والمجلات لأخذ ما فيها من شعره وإضافته إلى القصائد التي جُمعت من أصحابه.

والغريب في الأمر أن الشاعر «فهداً»، كان غير ميّال إلى نشر قصائده في الصحف العربية، وكان يتردَّد كثيراً، إذا ما طلب إليه نشر قصيدة من قصائده في إحدى المجلات العربية، ولا نعرف الأسباب التي دفعته إلى التردّد والامتناع أحياناً عن نشر قصائده، وربَّما رجع ذلك إلى اعتقاده بأن هذه القصيدة أو تلك لا تستحق النشر، والذي يؤلمنا أننا كنا نعرف أن لديه مجموعة كبيرة من أشعاره يحتفظ بها، وأنه أعدّ قسماً كبيراً منها للطبع، وقد أخبرني بذلك شخصيّاً، عندما كنت في زيارته في أحد الأيام، كما أخبرني بأنه لا يستطيع طبع جميع قصائده، لأن فيها ما يسوء بعض الناس، وهو لا يحبّ إثارة خواطرهم، وسيتركها للزمن يفعل بها ما يشاء، وكانت نيته تتجه إلى نشر بعض قصائده في الغزل والخمريات والوصف، وغيرها من القصائد التي لا تتعرّض لأحد من الناس، ولا تحتوي ما يمسّ أحداً منهم، في ديوان خاص، إلَّا أنه مع الأسف مات، ولم تتحقق أمنيته.

وكانت هذه الفكرة مختمرة لديه، وقد علمنا حينذاك أن بعض الفضلاء من الكويتيين وعده بالقيام بدفع جميع نفقات طبع هذا الديوان، لأن الشاعر كما هو معروف، كان غير قادر على تحمّل نفقات الطبع الباهظة، لكن هذه الفكرة لم تتحقَّق في حياته، ولا بعد مماته، حيث أصاب أشعاره ما أصابها من حرق وإعدام كما ذكرنا ذلك آنفا. ونحن اليوم نتطلّع إلى إخراج البقية الباقية من شعره في ديوان خاص، يقرأه العربي في كلّ مكان، ويكون صورة خالدة للوضع الذي عاش فيه، والحياة التي قضاها.

وكنا قد اقترحنا على «معارف الكويت» أن تشكّل لجنة خاصة من الأدباء. وتكل إليهم مهمة البحث عن نتاج الكويت الفكري والأدبي، شعراً ونثراً لطبعه في كتب خاصَّة يقرأها الناس، ويستفيدون منها، كما أنها تحفظ لهؤلاء الأدباء والشعراء أدبهم من الضّياع. فضلاً عن أن هذه الكتب ستسدّ فراغاً كبيراً في مكتبة الكويت، التي نعرف أنها لا تحتوي على كتب ذات أهمية، يعوّل عليها في الرجوع إلى تاريخ الكويت الأدبي، ولأن هذه

الكتب ستساعد الراغبين في دراسة تاريخ الكويت دراسة عميقة صحيحة بعيدة عن الشوائب والأكاذيب.

ونعرف كثيراً من الشعراء والأدباء، الذين قضوا نحبهم، وخلّفوا آثاراً أدبية، لكننا لم نجد من هذه الآثار شيئاً لضياعها، وعدم الاهتمام بها، ولا شك أنها خسارة أدبية تصيب الكويت، وتخسر بفقدها خسارة لا يعوّضها بعض المرتزقين من تجّار الصحافة، الذين لا يهمّهم إلا أن يسوّدوا الصفحات الكثيرة عن تاريخ الكويت، وأدباء الكويت، ونهضة الكويت، وهم لا يعرفون شيئاً عن هذه النهضة، وذلك الأدب والتاريخ، وقد أصيبت الكويت بكثير من هؤلاء المرتزقة، فشوهوا تاريخها الأدبي وغير الأدبي، ووضعوا كتباً، وزيّفوا كلاماً باطلاً أصبح سبّة في جبين الكويت، هذا الجزء الصغير من الوطن العربي، الذي يهمّنا ويهمّ كل مخلص غيور، أن يُكْتَبَ تاريخه الأدبي وغير الأدبي كتابة صحيحة سليمة من الأخطاء، خالية من الادّعاءات الباطلة والتشويهات المزيفة، والأكاذيب المضللة، لأن تاريخ الكويت يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الوطن العربي، ولأننا نريد أن يكون هذا التاريخ صادقاً صحيحاً، خالياً من التقوّلات التي لا يقرّها المنطق السليم. نريده تاريخاً يصوّر حياتنا تصويراً صادقاً، يصوّر عيوبنا ومحاسننا، يصوّر تأخرنا والتقاليد التي أدَّت إلى تأخّرنا، ويصوّر نهضتنا الحديثة على حقيقتها، وإن عدمنا وجود مثل هؤلاء الكتاب الصادقين، الذين تهمّهم الحقائق دون غيرها، فلنعمل على تخليد أدبائنا وشعرائنا بطبع ما تركوه لنا من آثار أدبية وغير أدبية، فإنها ولا شك ستكون نبراساً صادقاً ينير لنا الطريق، ويدلّنا على الحقائق التي ننشدها، فالكتب أو الدواوين الشعرية التي سنقوم بطبعها، ستصوّر بلا شك تصويراً كاملاً صحيحاً، تاريخ الكويت الأدبي وغير الأدبي خير تصوير، وتفسح المجال أمامنا للاستنتاجات.

* * *



القوميَّة في شعره

■ ينحدر الشاعر «فهد» من أصل عربي، فلا عجب أن نراه يدعو في شعره إلى توحيد كلمة العرب، ولمِّ صفوفهم، والعمل على بناء مجد عربي ثابت شامخ! ومن المؤسف حقاً أن لا نجد بين أشعاره القومية الكثيرة إلَّا قصيدة واحدة ناقصة أيضاً في كثير من أبياتها، قد نظمها بمناسبة عيدالمولد النبوي الكريم في أولَّ قيام الحرب العالمية الثانية، وكان متأثراً بما تعانيه الأمة العربية من تفكك وتخاذل وجمود، وكانت هذه المناسبات، عيد المولد النبوي، وعيد رأس السنة الهجرية، ونحوهما، كثيراً ما تهيج عواطفه، وتثير فيه الحمية العربية، والغيرة على المجد الضائع التليد الذي بناه العرب، وأقاموه على أسس قويمة من العدل. كما أن هذه المناسبات الخالدة، كثيراً ما كانت تدفع شعراء الكويت وأدباءها إلى التسابق إلى منبر الخطابة لإلقاء ما تجود به قرائحهم من شعر ونثر، حيث يستفزّون بها الهمم، ويشجون النفوس، ويذكِّرون عرب الكويت بمجدهم الخالد التليد، وبالثروة الفكرية العظيمة التي خلّفها لهم أجدادهم. والكويتيون عرب أقحاح، أكثرهم ينتسب إلى قبائل عربية صميمة، تعتزّ بعروبتها، ويؤرقها الوضع الذي صار إليه العرب في شتّى مضاربهم من جرّاء الاستعمار وأذناب الاستعمار، ومن جرّاء تخلّف العرب عن ركب الحضارة والعلم، اللذين هم بناتهما. ومن المؤلم جداً أن نرى الفكرة العربية في هذا العصر، تطوّرت تطوّراً خطيراً، وأخذت على غير حقيقتها، وراح المستعمرون يصوّرونها تصويراً مليئاً بالمغالطات والأوهام، فبعدما كانت الفكرة العربية فكرة كيان، أصبحت مبدأ كهذه المبادىء الهدّامة الوضعية،

التي أتتنا من الخارج، كالشيوعية وغيرها من المبادىء التي لا تعترف بالقومية، ولا تؤمن بالكيان، وأخذ فريق من أبناء العرب يزيّفون هذه الفكرة، ويدعون لها، كأنها فكرة طارئة حديثة، مثل هذه الأفكار التي تفد إلينا بين حين وآخر. وما الفكرة العربية إلّا كيان ثابت راسخ، تدعو إلى صهر العرب في بوتقة واحدة، لأنهم من وطن واحد، وينتمون إلى أمة واحدة، ويتكلّمون لغة واحدة، ويحسّون إحساساً واحداً، ويجري في عروقهم دم واحد، ولهم تاريخ مجيد واحد حافل بالبطولات والأمجاد.

تلك هي الأمة العربية التي تربطها وشائج الدم واللغة والتاريخ والآلام والآمال، على أن هناك من يقول: إن العرب ليسوا أمة واحدة بذاتها، ويبررون قولهم أو ادعاءهم بزعمهم أن الأرض التي يعيشون عليها متفاوتة متباينة مختلفة، والمناخ الذي يظلُّهم، يختلف باختلاف الخط الجغرافي في هذه الكرة الأرضية.

ولو أننا أخذنا بهذا القول، وسلَّمنا به، واعتبرناه حقيقة واقعة، لحقّ علينا القول بمخالفة التاريخ، وتقطيع أواصر القربى وتجاهل التقاليد والعادات، والتفريق بين لغة الضاد التي تجمع الأمة العربية في القلادة الواحدة.

ولا شك أن الأمة هي الأساس المتين، الذي يمكن وضعه حجراً لإنشاء عالم واحد، تموت فيه العصبيات المقيتة، وتفنى به النعرات الإقليمية، وتدفن الفروق التي من شأنها بثّ الشقاق، وخلق التحزّبات الهدّامة.. عالم يسوده الأمن والسلام، وتسيطر عليه الحرية المطلقة.

ولغة الضاد إنما هي لغة واحدة، تضم أمة واحدة، مهما اختلفت الأوطان، ومهما تباينت الطقوس، ومهما تفرقت الأديان، وتعددت العبادات والعقائد. وهذه اللغة الكريمة التي أنزل الله بها كتابه الكريم، إنما هي الأسّ القويّ الثابت للأمة العربية.

إن الزمن يجري بسرعة، أو إن السرعة في هذا العصر، هي التي جعلت الزمن يركض ركضا، فأخذت الأمم تتسابق إلى ميادين العلم والاختراعات، وأخذت أيضًا تتجمّع جماعات جماعات لتقوي من شأنها، ولترفع قدرها. والجماعة هي التي تستطيع باتحادها أن تجاري الزمن، وأن تلحق بالركب. أما إذا تفرّقت هذه الجماعة، وفشت بينها الخلافات، فلا يمكنها أبداً أن تتطوّر مع الزمن، ولا أن تتقدم كما تتقدم الجماعات المتآلفة المتكاتفة الحية.

والأمة العربية في حالتها الحاضرة، تعاني مشكلات لا حدّ لها. اضطراب في الآراء، وتزعزع في التفكير، وتباين في الأهداف، وتفرق في الكلمة، يكاد يودي بها إلى الفوضى القاتلة. وشعوبها ترقب هذا الاضطراب، وهذا التزعزع بقلوب ملأى بالحسرة تارة، ومترعة بالآمال العذاب طوراً، والأماني الحلوة التي طالماردد‌تها أغاني وأناشيد تذهب مع الريح. والعلة هي أن الفكرة لم تختمر في الرؤوس، لأن الرؤوس لم تتثقف بعد، ولم تعِ الحياة الصحيحة، ولم تدرك رسالتها في هذه الحياة، ولم تمرّ بتجارب كما مرّت الأمم الأخرى الحيّة، تلك الأمم التي درست الحياة درساً عميقاً، وفهمت الأوضاع فهماً صحيحاً، ووعت ما درسته، وأفادت بإحياء قومها، وإيقاظهم من سباتهم، وبثّ الروح القومية النزيهة في نفوس أبنائها، فحصدت ما زرعت، وأنتج الجهد الذي بذلته بإحياء بنيها، والنهوض بهم إلى الحياة القومية القويمة المتساندة المتراصّة. حياة الحرية والحق، والجمال.

إن العلم الصحيح، والثقافة الحقة، والتربية الخلقية الرفيعة، هي الأسس التي تعتمد عليها الأمم في نهضاتها، وفي تقدّمها، ومتى ما تأصلت هذه الأشياء الثلاثة، ورسخت في نفوس أمة من الأمم، زالت من بينها الفوارق، وتحطمت السدود، وانهارت الحدود التي تحول بينها وبين النهوض والتطور.

والأمة العربية اليوم في حالة جهل مظلم، وسطحية ضالة، وانحلال خلقي، لأنها مازالت تعيش في تفكير ضيق محدود، وآراء إقليمية مجزّئة، ومتى ما تلافت هذه الأدواء الثلاثة، وقضت عليها بالعلاج، فلا شك أنها ستخرج إلى الوجود أمة حية، لها كرامتها، وهيبتها، ولها رسالتها المقدسة التي أوجدت من أجلها في هذه الحياة.

ويوم تتكوّن القوميات الصحيحة وتحيا، تصبح مجموعات عاملة في هذه الحياة. وحينذاك يمكن لهذه الأمم الكبيرة أن تخدم الإنسانية بتعاونها وبتوحيد آرائها وأهدافها، وتنسيق أفكارها، ونبذ النعرات الطائفية، وتقويض المذاهب الهدامة، وتحطيم القيود القائمة على التعصب الأعمى والأنانية القاتلة، والذاتية المشينة.

وحينئذ تولد الإنسانية الحقّة، وتظهر الفضيلة، وتنتشر الثقافة، وتحسن الأخلاق. وتشرق الأحلام، التي كثيراً ما تردّدت في الأذهان، واختمرت في الرؤوس، وردّدت صداها الأفواه.

إنه لمن المستطاع أن يعتنق أي جنس من الأجناس في العالم فكرة من الفكر السياسية، ويؤمن بها، كما يؤمن ببقية المبادىء الكثيرة، ويستغلها لإنهاض أمته، وتوحيد كلمتها، والسير بها إلى المجد. لكن الفكرة العربية، وهي كيان العرب، لا يعقل أن يعتنقها أي جنس من الأجناس غير الجنس العربي لأنها حقيقته الواقعة، وكيانه الثابت، وبغيرها لا يستطيع أن يحيا حياة حرة شريفة..

ونحن نرى أن هناك كثيراً من الإنجليز أو الفرنسيين، مثلاً، يؤمنون بالمبدأ الشيوعي، لكنهم يؤمنون به لخدمة وطنهم وأمتهم لا للإضرار بهما.

ونحن عندما أسأنا إلى الفكرة العربية، رأينا كثيراً من إخواننا العرب لا يلقون إليها بالاً، ولا يعيرونها اهتماماً، بل إن منهم من يشمئزّ منها

اشمئزازاً، ولو أننا وضّحنا لبني قومنا أن الفكرة العربية هي كياننا، لما أصبحنا في هذا الوضع المؤلم الشاذ، تنكر لقوميتنا، وتقاعس عن توحيد صفوفنا، وجحود واستكانة لهذا الوضع القلق الشاذ الذي هو غير طبيعي في بلادنا، هذا الوضع الذي أقامه الاستعمار، وأسنده المارقون من دعاة الاستعمار، فنحن أبناء أمة واحدة، تاريخنا واحد، ودمنا واحد، ولغتنا واحدة، وآلامنا وآمالنا واحدة، ومع هذا لا نعمل على حفظ كياننا، ولا نحطم هذه القيود التي قيّدنا بها المستعمرون، ولا نعمل، كما عمل غيرنا من بقية الأمم، على إزالة الحواجز والعقبات في سبيل عزّها ومجدها، فهذه ممالك وجمهوريات وإمارات ومشايخ عربية، يسيطر عليها الأجنبي، ويستغل خيراتها، ويمتصّ ثرواتها الطائلة، ويتقوى بها على إضعافها. . ولا شك أن شباب العهد الناهض أصبح الآن لا يؤمن بزعمائه، ولا ينتظر الخلاص على أيديهم، لأنه جرَّبهم، وذاق على أيديهم الويلات والمصائب، إذاً فالبعث العربي الصميم يتوقف على شباب هذه الأمة. والغريب في الأمر أن إمكانياتنا كثيرة جداً، وبلادنا خصبة وعددنا ضخم كبير، وخيراتنا لا حصر لها، ومع ذلك ما زلنا نرزح تحت ظل الاستعمار البغيض، الذي أنهكنا إنهاكاً، وقطّع أوصالنا، ومزّق شملنا، ودسّ السموم في فكرتنا التي هي واقعنا في هذه الحياة، فكرتنا التي تجري في دمائنا، وفي عقولنا وقلوبنا، وفي أرضنا وسمائنا.

هذه الأوضاع المؤلمة القاسية، كثيراً ما دفعت شاعرنا «فهد» إلى البكاء شعراً، وإلى الإنشاد والتَّغني بذلك المجد الضائع، وكثيراً ما ألقيت قصائده القومية في المحافل التي تقام في المناسبات العربية. وأذكر له أبياتا قالها ضمن قصيدة طويلة جدًّا، ألقيت له في المدرسة المباركية بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف، يقول فيها:

يا بَني العُرْبِ، إنَّما الضّعفُ عارٌ   إي وَرَبِّي سَلُوا الشّعوبَ القَوِيَّهْ

كَمْ ضَعيفٍ بَكى ونَادَى، فَرَاحَتْ لِـبُـكـاهُ تُـقَـهْـقِـهُ الـمِـدْفَـعِـيَّـهْ
لُغَةُ النَّارِ والحَديدِ هِيَ الفُصْـ ـحَى، وَحَظُّ الضّعيفِ مِنْها المَنِيَّهْ
هَا هِيَ الحَرْبُ أَشْعَلُوها فَرُحْما كَ إِلَـهـي بـالأُمَّـةِ الـعَـرِبـيَّـهْ
يا بَني الفاتِحينَ حَتَّامَ نَبْقى في رُكُودٍ، أَيْنَ النُّفُوسُ الأَبِيَّهْ؟
غَـيْـرُنـا حَـقَّـقَ الأَمـانـي وَبِـتْـنـا لَـمْ نُـحَـقِّـقْ لَـنـا وَلا أُمْـنِـيَّـهْ؟
فَـمِـنَ الـغَـبْـنِ أَنْ نَـعِـيشَ عَـبـيـداً أَيْـنَ ذَاكَ الإِبـاءُ؟ أَيْـنَ الـحَـمِـيَّـهْ؟

إلى غيرها من الأبيات التي جاءت في هذه القصيدة المشجية القوية الطويلة الضائعة، ولعلَّ بعض أصحابه من الأدباء يجدونها كاملة، وغيرها من القصائد التي كان يستحثّ فيها همم العرب، ويستنجد بهم، ويطلب إليهم أن يحرّروا أنفسهم بحدّ السلاح، ولا سيّما في هذا العصر الذي لا يؤمن إلَّا بالقوّة، ولا يدين إلَّا بالسلاح. فأنت تراه، بهذه الأبيات القليلة يصف الحال الذي وصل إليه العرب من جرّاء استسلامهم وتقاعسهم عن ردّ حقوقهم بقوّة السلاح.

ولا شك أن هذا التأخّر، الذي وصل إليه العرب، راجع إلى إهمال زعمائهم وأولي الأمر منهم في القيام بواجبهم، هؤلاء الزعماء والقادة الذين أعمتهم مطامعهم الشخصية، وسمّمت عقولهم دعاوي المضلّلين من المستعمرين والغاصبين، فلم يعنوا بغير شأنهم الخاص.

إننا لنؤمن إيماناً عميقاً أن هذه الكوارث والمصائب، التي حلّت بالعرب، وشلّت قواهم، وأفقدتهم الكثير من حقوقهم، ستثير فيهم روح النضال والعمل إلى ردّ حقوقهم واستعادة مجدهم بإيمان الشباب الناهض المتعلّم، الذي نعلّق عليه كلّ الآمال. ولقد شطَّ بنا القلم، ونحن نتكلم عن شاعرنا «فهد»، إلى هذه الكلمات التي لم نجدّ بدّاً من إثباتها هنا، للتاريخ، لا لنستدلّ بها على قومية شاعرنا «فهد»، وإيمانه بأمَّته وكرامته فحسب،

فشعره القويّ يشهد له، بأنه طالما أرسله صيحات مدوّية صاخبة، راثياً به موت الرّوح في نفوس زعماء العرب، وتخاذلهم، هذا التّخاذل الذي جرّ على جميع أبناء الأمة العربية الويلات والمصائب. وفي ذلك يقول رحمه الله:

طَلَعَ الفَجْرُ غَنِّ يا قمْريّه ... واطْربي الرّوحَ بالأغاني الشَّجِيَّهْ
وَاشْدُ يا طَيْرُ بالغُصونِ، وَأَيْقِظْ ... بِأَناشِيدِكَ الزّهورَ النَّدِيَّهْ
مَلأَ الفَجْرُ أَكْؤُسَ الوَرْدِ راحاً ... لَكَ تُزْري بالصّرْفَةِ البابليَّهْ
فإذا ما اصْطَبَحْتَ يا طَيْرُ عَبِّر ... ما رَأَى الوَرْدُ مِنْ رُؤًى سِحْرِيَّهْ
وتَقَبَّلْ وأَنْتَ نَشْوانُ شَادٍ ... قُبُلاتِ النَّسائِم العِطْرِيَّهْ
هَا هُوَ الصُّبْحُ قَدْ تَبَدَّى تُحَلّي ... ثَغْرَهُ الحُلْوَ بَسْمَةٌ وَرْدِيَّهْ
وانْظُرِ الكَوْنَ كيف يَرْفُلُ يا طَيْـ ... ـرُ بِتِلْكَ الغَلائِلِ العَسْجَدِيَّهْ

* * *

يا صَباحاً لِخَيْرِ يَوْمٍ تَجَلّى ... جِئْتَ، أَهْلاً وَألف ألفِ تَحِيَّهْ
بَزَغَتْ فَوْقَ فرْقِكَ الشَّمْسُ تاجاً ... تَتَلالا أَنْوارُهُ الذَّهَبِيَّهْ
غَابَ بَدْرُ السَّماءِ لَمّا تَبَدّى ... وتَوارَتْ مِنْهُ النُّجُومُ السّنيّهْ
كَيْفَ لا يُمْنَحُ الجَمالَ وفيهِ ... أَشْرَقَتْ طَلْعَةُ النَّبِيّ البَهِيَّهْ
طَلْعَةُ المُنْقِذِ العَظيم الذي أَنْـ ... ـقذَهُمْ مِنْ مَخالِبِ الجَاهِلِيَّهْ
طَلْعَةُ المُصْلِحِ الذي أَسْعَدَ النّا ... سَ بِظِلِّ الشَّريعَةِ الأَحْمَدِيَّهْ
خَصَّهُ اللَّهُ بالهُدَى، فَتَجَلَّتْ ... حِكْمَةُ اللَّهِ حِينَ خَصَّ نَبِيَّهْ
قُرَشِيٌّ صَلَّى عليْهِ وأَثْنَى ... بالكتابِ المَجيدِ رَبُّ البَرِيَّهْ

* * *

يا بَنِي العُرْبِ والكَوارِثُ تَتْرى ... أَوْقِفُوا سَيْرَها، وَصُونوا البَقِيَّهْ
يا بَنِي الفاتِحينَ، إِنَّا بِعَصْرٍ ... لا مُسَاواةَ فيهِ، لا مدنيّهْ
لا إخاءٌ كَما ادَّعَوْا، لا حُقوقٌ ... لِضَعيفٍ عانٍ، وَلا حُرِّيَّهْ

بَلْ بِعَصْرٍ فيهِ الضَّعيفُ مُهَانٌ ... فالنَّجاةَ النَّجاةَ بالمِشْرَفِيَّهْ

يا بَني العُرْبِ، إنَّما الضّعْفُ عَارٌ ... إي ورَبِّي سَلُوا الشّعُوبَ القَوِيَّهْ

كَمْ ضَعيفٍ بَكَى ونَادى فَرَاحت ... لِبُكاهُ تُقَهْقِهُ المِدْفَعِيَّهْ

لُغَةُ النّارِ والحَدِيدِ هِيَ الفُصْـ ... ـحَى، وَحَظّ الضَّعِيفِ مِنْها المَنِيَّهْ

هَا هِيَ الحَرْبُ أَشْعَلُوها فَرُحْما ... كَ إِلَهي بالأُمَّةِ العَرَبِيَّهْ

* * *

يا بَني الفاتِحينَ حَتَّامَ نَبْقى ... في رُكُودٍ، أَيْنَ النُّفُوسُ الأَبِيَّهْ؟

غَيْرُنا حَقَّقَ الأَماني وَبِتْنا ... لَمْ نُحَقِّقْ لَنا وَلا أُمْنِيَّهْ

فَمِنَ الغَبْنِ أَنْ نَعِيشَ عَبيداً ... أَيْنَ ذَاكَ الإِباءُ؟ أَيْنَ الحَمِيَّهْ؟

* * *

قُمْ مَعِي نَبْكِ مَجْدَنا، وَنَسحُّ الـ ... ـدَّمْعَ حُزْناً، ونَنْدُبُ القَوْمِيَّهْ

قُمْ مَعِي نَسْأَلُ الطُّلولَ عَسَاها ... تَشْفِ بالرّدّ غِلَّةً رُوحِيَّهْ

عَنْ بَني العُرْبِ يَوْمَ سَادوا وشَادوا ... مَجْدَهُمْ بِالسُّيوفِ والسَّمْهَرِيَّهْ

وعَنْ ابْنِ الخَطّابِ مَنْ حُكْمُهُ العَدْ ... لُ، وَسَعْد بِوَقْعَةِ القَادِسِيَّهْ

* * *

وهذه قصيدة طويلة جدًّا، لم نتمكن من الحصول إلَّا على هذه الأبيات القليلة منها.

وبعد الطبعة الأولى عثرت على قصيدتين من هذا النوع، إحداهما وجدتها بين أوراقي القديمة، وكنت قد كتبتها منه شخصيّاً، وعدد أبياتها اثنان وتسعون بيتاً بعنوان (مناجاة العيد)، يناجي فيها عيد ميلاد النبيّ محمد صلَّى الله عليه وسلم، ويتوجّد فيها على ما وصلت إليه الأمة العربية من تأخّر، بعد أن أهملت التعاليم السامية التي جاء بها القرآن الكريم ويقول فيها:

وَيْـلاهُ أَهْـمَـلْـنَـا الـتَّـعـالـيـمَ الَّـتِـي
جـاءَ الـكِـتـابُ بِـهَـا فَـمَـا أَشْـقـانـا

ويتطرّق فيها أيضًا إلى الهوّة الكبيرة بين الغنى والفقر، ويدعو إلى إلغاء هذه الفروق، ونبذ عبادة الذهب، أو الأصفر الرّنان، كمايسمّيه. وينادي بالعدالة الاجتماعية بين الناس، ويستنهض همم أبناء الأمة العربية للسير في سبيل العلا والمجد، ونبذ الخلافات وترك الختل والتدجيل والنفاق، والقضاء على الأطماع والأنانية والمصالح الشخصية.

أما القصيدة الثانية، فعدد أبياتها اثنان وتسعون بيتاً أيضاً بعنوان (بسمة ودمعة)، وقد نظمها سنة ١٩٣٦م، يحيّي فيها أول بعثة تعليمية نظامية، تعاقد معها مجلس معارف الكويت بصورة رسمية، وكانت هذه البعثة من فلسطين، وقد وُجِدَتْ لدى أحد محبّي شعره، مكتوبة بخط يده «فهد» نفسه، ونشرتها أيضًا مجلة «البيان» في عدد «أبريل» سنة ١٩٦٦م، ويتعرَّض في هذه القصيدة لفلسطين في أول محنتها، والمؤامرات التي تُحاك حولها، ووعد «بلفور» المشؤوم، ثم يعرج فيها على أبناء أمته، ويدعوهم إلى الثورة على الأوضاع التي أوصلتهم إلى التفكّك والتخاذل، وعلى رجال الدين الذين شوّهوا تعاليمه السامية، وأدخلوا عليها الكثير من البدع والخرافات، التي يمجّها العقل السليم، ويرفضها المنطق القويم. ثم يستعرض بها تاريخ الأمجاد العربية، ويقارن بينها وبين حالة العرب الحاضرة، حيث الأحرار مكبّلون بالقيود، وحيث «عصبة الشيطان»، كما يسمّيهم، يدجّلون وينافقون. ثم ينادي بإلغاء المذاهب التي تفرّق بين أبناء الأمة الواحدة.

وهاتان القصيدتان هما:

بَسْمَةٌ ودَمعَةٌ

كَفْكِفْ بِرَبِّكَ دَمْعَكَ الهَتّانا ... وَافْرَحْ وَهَنِّئْ قَلْبَكَ الوَلْهانا
وَاهْتِفْ وَصَفِّقْ وَاحْسُ مِنْ راحِ اللّقا ... كأساً لِكَيْما تَطْرُد الأحْزانا
واسْكُبْ أناشيدَ اللّقاءِ بِمَسْمَعِ الـ ... ـدَّهْرِ المُصِيخِ وَرَدِّدِ الأَلْحانا
بُشْراكَ ذا يَوْمُ الوِلادَةِ قَدْ أتى ... فَعَساهُ يُوقِظُ رُوحَكَ الوَسْنانا
أَوَ ما رَأَيْتَ صَفاءَهُ وبَهاءَهُ ... وَجَلالَهُ وَجَمالَهُ الفَتّانا؟
قُمْ يا أخا الشَّوْقِ المُلِحِّ وَحَيِّهِ ... وانْثُرْ عَلَيْهِ الوَرْدَ والرَّيْحانا

* * *

الوُرْقُ تَشْدو والبَلابِلُ سُجَّعٌ ... والرَّوْضُ يَرْقُصُ ضاحِكاً نَشْوانا
وعَلى الأزاهِرِ، وَهِيَ تَبْسِمُ للضُّحَى ... نَثَرَ الصَّباحُ زُمُرّداً وَجُمانا
هَبَّتْ نَسمائِمُهُ لِتَنْشُرَ طِيبَها ... وتُداعِبَ الأوْرادَ والأغْصانا
والكَوْنُ يَبْدو مُشْرِقاً مُتَهَلِّلاً ... مُتَبَسِّماً لِلِقائِهِ مُزْدانا
وعَرائِسُ الإلْهامِ قَدْ طَلَعَتْ، فَقُمْ ... وَابْنِ القَوافي وَارْسُمِ الأَوْزانا
أنْظُمْ لآلِئَها لَهُ وَعَقِيقَها ... ثُمَّ انْثُرِ الياقُوتَ والمُرْجانا

* * *

يا أَسْعَدَ الأَيّامِ يا عُنْوانَها ... أَنْعِمْ وَأَكْرِمْ إنْ تَكُنْ عُنْوانا
لَمْ تَشْفِ راحُ الذِّكْرَياتِ أُوامَنا ... فَعَسى نَبُلُّ مِنَ اللِّقاءِ صَدانا
يا أَبْرَكَ الأَعْيادِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ ... مِنّا تَفِيضُ عَواطِفاً وَحَنانا
أَرْواحُنا رَشَفَتْ بِفَجْرِكَ حُلْمَها ... وَقُلوبُنا قَدْ صَفَّقَتْ مُذْ بانا
عَشِقَ الملائِكُ بالسَّماءِ جَمالَهُ ... وَسَبى سَناهُ الحُورَ والوِلْدانا

* * *

يا فَجْرَ يَوْمِ ولادَةِ الهادِي أَطِـ ... ـلَّ عَلى النُّفُوسِ، وَبَدِّدِ الأَشْجانا
وابْعَثْ بِها مَيْتَ العَواطِفِ، وَاطْرُدِ الـ ... ـيَأْسَ المُمِضَّ، وأَيْقِظِ الإيمانا
بِكَ أَشْرَقَ المُخْتارُ في رَأْدِ الضُّحَى ... شَمْساً أَنارَ سَناؤُها الأَكْوانا
إنّي لأَلْمَحُ في جَمالِكَ مِسْحَةً ... مِنْ حُسْنِهِ أَغْرَتْ بِكَ الوِجْدانا
وعَلى جَبِينِكَ مِنْ سَناهُ غُرَّةٌ ... لَمْ تَعْدَمِ اللألاءَ واللَّمَعانا

يا مَنْ بِهذا اليَوْمِ أَشْرَقَ نُورُهُ ... وَأَضاءَ في قَبَسِ الهُدَى الأَذْهانا
وَأنارَ بالإيمانِ أَفْئِدَةَ الوَرَى ... وأَزالَ عَنْها الغِشَّ والأَدْرانا
وبَنَى مَنارَ العَدْلِ بَعْدَ سُقوطِهِ ... فَمَحا ضِياهُ الظُّلْمَ والطُّغْيانا
قُمْ يا رَسُولَ اللهِ كَي نَشْكُو إِلَيْـ ... ـكَ، فَمَنْ سِواكَ نَبُثُّهُ شَكْوانا؟!
قُمْ يا رَسُولَ اللهِ، وانْظُرْ هَلْ تَرَى ... إِلّا شُعوباً تَعْبُدُ الأَوْثانا
قُمْ وانْظُرِ الدِّينَ الحَنيفَ وأَهْلَهُ ... أَعْزِزْ وَأَكْبِرْ أَنْ تَراهُ مُهانا
قُمْ وَاهْدِنا واعمرْ خَرَابَ قُلوبنا ... إنّا نَبَذْنا الدِّينَ والقُرْآنا
إِنّا نَسينَا اللّهَ حَتَّى سَلَّطَ الـ ... ـبَاري عَلَيْنا، يا نَبِيُّ، عِدَانا
وَيْلاهُ أَهْمَلْنا التَّعاليمَ الَّتي ... جاءَ الكِتابُ بِها فَمَا أَشْقانا
مَا أَنْ تَرَكْنا البِرَّ والتَّقْوى مَعاً ... حَتَّى أَلِفْنا الإِثْمَ والعُدْوانا
نَعْصى أَوامِرَ كُلِّ فَرْدٍ مُصْلِحٍ ... وَالدِّينُ عَنْ عِصْيانِهِ يَنْهَانا
والخَتْلُ وَالتَّدْجِيلُ قَدْ فَتَكا بنَا ... وَتَقُودُنا أَطْماعُنا عُمْيانا
كُلٌّ بميدانِ اللّذائِذِ والهَوى ... يَجْرِي وما تَلْقى لَدَيْهِ عِنانا
أَمّا الفَقيرُ فَلا تَسَلْ عَنْ حالِهِ ... حالٌ تُثِيرُ الهَمَّ والأَحْزانا
مِسْكينٌ، لا يَشْكو ويندِبُ حَظَّه ... ونَصُمُّ دُوْنَ شَكاتِهِ الآذانا
أَمّا الغَنِيُّ فَقَلْبُهُ وَيَمِينُهُ ... لا يَعْرِفانِ العَطْفَ والإِحْسانا
يَخْتالُ في حُلَلِ الهَنَا بَيْنا تَرَى ... أَلِفَ التَّعاسَةَ ذاكَ والحِرْمانا
المالُ سَيِّدُنا، ونَحْنُ عَبِيدُهُ ... أَوَ لَمْ تَرَ التَّسْلِيمَ والإِذْعانا
أَوَ مَا تَرَانا بالمبادِىءِ والضَّمائِرِ كَيْفَ نَفْدي الأَصْفَرَ الرَّنّانا
والكُلُّ مِنّا بالمَوائِدِ والمَلابِسِ والأَثاثِ يُفاخِرُ الأَقْرانا
أَطْفالُنا اتَّخَذُوا الشَّوارِعَ مَسْكَناً ... أَفَيَنْبَغي أَنْ نُهْمِلَ الصِّبْيانا؟
آباؤُهُمْ لا يَرْحَمُونَهُمُ وَلَمْ ... يَجِدُوا بِصَدْرِ الأُمّهاتِ حَنَانا
فَيَشِبُّ والفَحْشاءُ ضَرْعُ لبانِهِ ... والذَّنْبُ ذَنْبُ رِجالِنا وَنِسَانا
هَذِي جَرَائِمُنا، وَهَلْ أَرْبابُها ... يَرْجُونَ بَعْدُ الصَّفْحَ والغُفْرانا؟!

يا عيدُ إنْ نَشْكُو إِلَيْكَ، فَإنَّما نَشْكُو إلى مَنْ جاءَنا فَهَدانا
ألعالَمُ العَرَبِيُّ يَرْنُو حائِراً قَلِقاً إلى مَنْ أَوْقَدُوا النِّيرانا
وَيْلاهُ قَدْ جَهِلَ المَصِيرَ فَواسِهِ يا عيدُ وَامْسَحْ دَمْعَهُ الهَتّانا
حَدِّثْهُ قَدْ طابَ الحَديثُ عَنِ الأُلى فَعَسى تُثِيرُ بِنَفْسِهِ البُرْكَانا
عَنْ مَجْدِنا ومُلُوكِ أَهْلِ الأرضِ هَلَّا نَكَّسُوا الأَعْلامَ والتِّيجانا
حَدِّثْ عَنِ الفارُوقِ عُنْوانِ العَدالَةِ كَيْفَ شَادَ المُلكَ والسُّلْطانا
وَعَنِ الغَضَنْفَرِ سَعْدِ هَلَّا زَلْزَلَتْ بِزَئِيرِها أَشْبالُهُ الإيوانا
وَعَنِ الفَتَى المِقْدام أَعْني خَالِداً أَيّامَ مَزَّقَ جَيْشُهُ الرُّومانا
وعَنِ الشَّآم وعَنْ مُعاوِيَةَ الذي أَعْلى البِناءَ وَشَيَّدَ الأَرْكانا
وَأَدِرْ على أَسْماعِنا ذِكْرَ الذي للصِّينِ قَادَ الصِّيدَ والشُّجْعانا
والضَّيْغَم ابنِ زِياد طارِقَ كَيْفَ قَادَ السُّفْنَ لَمّا أَنْ غَزا الإسْبانا
رَجِّعْ بِرَبِّكَ قَوْلَهُ «إنَّ العَدُوَّ أَمامَنا أَمّا الخِضَمُّ وَرَانا»
وعَنِ الرَّشِيدِ وَكَيْفَ أَشْرَقَ تَاجُهُ شَمْساً أنارَ سَناؤُها البُلْدَانا
في عَصْرِهِ الذَّهَبِيّ صَفَّقَ راقِصاً طَرباً على هام السّماكِ لِوانا
والمَجْدُ مُزْدَهِرٌ مُطِلٌّ مِنْ عَلٍ عَشِقَ الوُجودُ شَبابَهُ الرَّيّانا
كانُوا على وَجْهِ البَسيطَةِ سَادَةً أَبَداً، وكُنّا بَعْدَهُمْ عبْدانا
عَبَثَ الفَسادُ بِنا فَبَعْثَرَ مُلْكَنا والجَهْلُ شَتَّتَ شَمْلَنا فَكَفانا

* * *

أَبْناءَ يَعْرُبَ، والكَوارِثُ جَمَّةٌ هَيّا انْبُذُوا الأَحْقادَ والأَضْغانا
وتَآلَفُوا، وتَكاتَفُوا، وتَسَانَدُوا مُتَراصِفِينَ، وحَرِّرُوا الأَوْطانا
إنّا بِعَصْرٍ لا يَعِيشُ بِهِ سِوى مَنْ كانَ يَمْلِكُ صَارِماً وَسِنانا
هُمْ أَعْلَنُوا الحَرْبَ العَوانَ عَلى سِواكَ، وأَعْلَنُوا حَرْبا عَلَيْكَ عَوانا
الأَرْضُ تَرْجُفُ، والسَّما مُغْبَرَّةٌ وبِكُلِّ ناحيةٍ تَرى شَيْطانا
والبَحْرُ يَبْدُو عابِساً مُتَجَهِّماً أَيْنَ الأَمانُ؟ لِنَسْأَلِ الرَّحْمانا
غازٌ وأَلْغامٌ بها كَمَنَ الرَّدى والطّائِراتُ تُطارِدُ الإنْسانا

وَمَدافِعٌ والمَوْتُ مِنْ أَفْواهِها أَجْرى الدِّماءَ وَفَرَّقَ الأَبْدانا
وقَنابِلٌ صَرَعَ القُلوبَ صُراخُها وَيْلاهُ تَمْحُو الدُّورَ والسُّكّانا
لَمْ يَسْلَم الطِّفْلُ الرَّضِيعُ وَأُمّهُ مِنْها، وتُرْدِي الشِّيْبَ والشُّبّانا
أَنّى الْتَفَتَّ فَلا ترى إلّا حَدِيداً أَوْ شواظاً مُحْرِقاً وَدُخانا
نارٌ ولكنَّ الضَّعِيفَ وقُودُها واحَسْرَتا إنْ أَعْلَنَ العِصْيانا
هَذي مَيادِينُ القِتالِ تَعَدَّدَتْ وبِكُلِّ ناحِيَةٍ تَرى مَيْدانا
فَقَد انْبَرى العُقْبانُ يَنْفُثُ سُمَّهُ في كُلِّ جَوٍّ فاحْذَرُوا العُقْبانا
رُحْماكَ رَبِّي فالدِّما مُسْتَنْقَعاتٌ خَضَّبَتْ وَجْهَ الثّرى العُرْيانا
طَفَتِ الجَماجِمُ فَوْقَها وتَناثَرَتْ مِنْ حَوْلِها الأَشْلاءُ يا مَوْلانا
يا عِيدُ أَيْنَ السِّلْمُ طَالَ غِيابُهُ فَمَتى يَعُودُ؟ وَهَلْ يَخِيبُ رَجانا؟

* * *

أَفْرادَ يَعْرُبَ والعُروبَةُ تَشْتَكي هَلّا شَفَيْتُم قَلْبَها الحَرّانا
هِيَ تَسْتَجِيرُ بِكُمْ فَقُوموا واقْسِموا يا قَوْمُ أَلَّا تُغْمِضُوا الأَجْفانا
واسْتَمْسِكُوا بالعُرْوَةِ الوُثْقَى وَكُونوا صادِقِينَ عَقِيدَةً ولِسانا
كُلّ الشُّعُوبِ تَقَدَّمَتْ وتَحَرَّرَتْ أَيروقُكُمْ سجنُ الحَياةِ مَكانا؟!

* * *

يا نَشْءُ أُمَّةُ يَعْرُبٍ عَقَدَتْ عَليكَ رَجاءَها... قُمْ قَدِّم القُرْبانا
يا نَشْءُ يا أَمَلَ البِلادِ وَسُؤْلَها أَقْسِمْ عَلى أَنْ لا تَطِيقَ هَوانا
أَقْسِمْ لَها أَنْ لا تَنامَ وأَنْ تَظَلَّ عَلى الوَلاءِ لَها، وأَنْ تَتَفانَى
أَقْسِمْ عَلى أَنْ لا يَعِيشَ بِأَرْضِها مَنْ باعَ مَبْدأَهُ وَشَذَّ وَخانا
أَقْسِمْ إذا ما الخَصْمُ حاولَ أَنْ يُهاجِمَهَا على أَنْ لا تَكُونَ جَبَانا
أَقْسِمْ لَها يا نَشْءُ، إنْ نَادَى المُنادي لِلْوَغى، أَنْ تَلْبَسَ الأَكْفانا
وأَعِدْ سَعادَتَها إلَيْها أَيُّها النَّشءُ الجَدِيدُ، وأَعْطِها البُرْهانا
فاللهُ نِعْمَ العَوْنِ جَلَّ جَلالُهُ إنْ تَعْدَمِ الأَنْصارَ والأَعْوانا

* * *

بَسْمَةٌ ودَمعَةٌ
أَوْ صَرخَةٌ مِنْ أعماقِ السُّجُونْ

■ نَظم الشاعر «فهد» هذه القصيدة سنة ١٩٣٦م، يُحيِّي فيها أوَّل بعثة تعليمية نظامية، تعاقد معها مجلس المعارف في الكويت بصورة رسمية، وكانت هذه البعثة من «فلسطين»، وقد نشرت هذه القصيدة في العدد الأول من مجلة (البيان) أبريل ١٩٦٦م.

حَيِّ الأساتِذَةَ الكِرامَ تَحِيَّةً ... تُزْرِي بِعُرْفِ المِسْكِ والرَّيْحانِ
عَذْراءَ، مَصْدَرُها سُوَيْداءُ الحَشَا ... أَحْلى وَأَشْهى مِنْ عَرُوسِ الحَانِ
وأَرَقُّ مِنْ نَغَمِ البَلابِلِ عِنْدَما ... تَسْتَقْبِلُ الأَصْباحَ بِالأَلْحانِ
وأَخَفَّ مِنْ نَسَماتِ نَيْسانٍ، وَقَدْ ... خَطَرَتْ مُداعِبَةً غُصونَ البانِ
وأَحَرُّ مِنْ قَلْبِ المَشُوقِ، إذا دَعا ... داعي الفِراقِ، وَمُهْجَةِ الغَيْرانِ
فَأَزفّها لَكُمُ يُشارِكُني بِها ... الشَّعْبُ الكَرِيمُ وَصَفْوَةُ الشبّانِ
والقَلْبُ مِنْ فَرْطِ السّرورِ مُصَفِّقٌ ... والرّوحُ تَرْقُصُ رَقْصَةَ النّشْوانِ
والكُلُّ مُغْتَبِطٌ بِيَوْمِ إيابِكُمْ ... فَرِحٌ، وهذي حالَةُ الوَلْهانِ
فَلَو انَّنا نَسْتَقْبِلُ العِيدَيْنِ في ... أَفْراحِهِ لاسْتَبْشَرَ العِيدانِ
زَهَتِ المَدارِسُ، وانْثَنَى طُلاّبُها ... لِقُدومِكُمْ، يَتَبادَلُونَ تَهاني
لا غَرْوَ فالطُّلابُ قَدْ عَشِقُوا بِكُمْ ... صِدْقَ الوَفا وطَهارَةَ الوِجْدانِ
والعَطْفَ والمَيْلَ البَرِيءَ، ولا غَرابَةَ، فالمُعَلِّمُ وَالِدٌ مُتَفانِ
شَكَتِ الأُوامَ نُفُوسُهُمْ فَتَذَوَّقَتْ ... تِلْكَ النُّفُوسُ حَلاوَةَ الإيمانِ
وأَمامَ مِصْباحِ الثَّقافَةِ قَدْ تَلاشَتْ ظُلْمَةُ الأَفْكارِ والأَذْهانِ
وغَرَسْتُمو بِحَدائِقِ الأَرْواحِ كُلَّ حَمِيدَةٍ، والرُّوحُ كالبُسْتانِ
فالمَرْءُ بالعَقْلِ المُنِيرِ، وإنْ دَجا ... ما الفَرْقُ بَيْنَ المَرْءِ والحَيَوانِ؟
إنَّ الشَّبابَ إذا زَكَتْ أَخْلاقُهُ ... والنَّفْسَ طَهَّرَها مِنَ الأَدْرانِ

هُوَ في البلادِ، ولا إخالَكَ جاهِلاً بِـمَـثـابَـةِ الأَرْواحِ بـالأَبْـدانِ
هُـوَ قَلْبُـهـا الـخَفَّـاقُ والـرُّكْـنُ الـقَـويـمُ وَسُـورُهـا الـحَـامِـي مِـنَ الـعُـدْوانِ

***

بـالـلَّـهِ يـا رُسُـلَ الـثَّـقـافَـةِ خَـبِّـرُونـا كَـيْـفَ حَـالُ الأُخْـتِ، يـا إِخْـوانـي
أَعْـنِـي فِـلَـسْـطِـيـنـاً، وكَـيْـفَ أَمِـيـنُـهـا وَجُـنُـودُهُ وَبَـقِـيَّـةُ الـسُّـكّـانِ؟
بَـعْـدَ الـكِـفـاحِ وَبَـعْـدَمـا بَـثَّ الـيَـهُـودُ شُـرُورَهُـمْ فِـيـهـا بِـكُـلِّ مَـكـانِ
إِنِّـي سَـمِـعْـتُ نِـداءَهَـا، وَسَـمِـعْـتُ تَـلْـبِـيَـةَ الـضَّـيـاغِـمِ مِـنْ بَـنِـي عَـدْنـانِ
وزَئِـيـرَ أَشْـبـالِ الـعُـروبَـةِ مِـنْ بَـنِـي غَـسّـانَ، لا نُـكِـبُـوا بَـنُـو غَـسّـانِ
وتَـقُـولُ يـا أَشْـبـالَ آسـادِ الـشَّـرى جَـاءَ الـيَـهُـودُ، ودَنَّـسُـوا أَحْـضـانـي
لا درَّ درُّ الـغـادِرِيـنَ فَـإِنَّـهُـمْ وَعَـدُوا الـيَـهُـودَ بِـقِـسْـمَـةِ الـبُـلْـدانِ
وبَـنِـيَّ كـالـغُـرَبَـاءِ فـي أَوْطـانِـهِـمْ أَوَلَـيْـسَ هـذا مُـنْـتَـهـى الـطُّـغْـيـانِ؟
فَـهُـنـاكَ فـاضَـتْ بـالـدُّمُـوعِ مَـحَـاجِـرِي وأَجَـبْـتُـهـا بِـتَـوَجُّـعٍ وَحَـنـانِ
يـا مَـهْـبَـطَ الـوَحْـيِ الـقَـدِيـمِ ومَـرْقَـدَ الـرُّسُـلِ الـكِـرامِ وَمَـنْـبَـعَ الأَدْيـانِ
لا تَـحْـزَنـي لَـيْـسَـتْ بِـصَـفْـقَـةِ رابِـحٍ يـا أُخْـتُ بَـلْ هِـيَ صَـفْـقَـةُ الـخـسْـرانِ
مـا وَعْـدُ (بـلـفـورٍ) سِـوى أُمْـنِـيَّـةٍ وَنِـداؤُهُ ضَـرْبٌ مِـنَ الـهَـذَيـانِ
أَبْـنـاءُ عَـدْنـانٍ وَغَـسّـانٍ وَمَـا نـادَيْـتُ غَـيْـرَ الـصِّـيـدِ والـشُّـجْـعانِ
الـصّـامِـدُونَ إِذا الـصُّـفُـوفُ تَـلاحَـمَـتْ وتَـصَـادَمَ الـفُـرْسـانُ بـالْـفُـرْسـانِ
والـضّـاحِـكُـونَ إِذا الأَسِـنَّـةُ والـظُّـبـا هَـتَـكَـتْ ظَـلامَ الـنَّـقْـعِ بـالـلَّـمَـعَـانِ
والـهـاتِـفُـونَ إِذا الـدِّمَـاءُ تَـدَفَّـقَـتْ أَعْـنـي دِمَـا الأَبْـطـالِ بـالـمَـيْـدانِ
وإِذا الـصَّـوارِمُ والـقَـنـا يَـوْمَ الـوَغـى ذَرَفَـتْ عـلـى الـشُّـهَـداءِ دَمْـعـاً قـانـي
آنَ الأوانُ وُقِـيـتُـمُـو كَـيْـدَ الـعِـدَا والـخَـصْـمُ بـالـمِـرْصـادِ كـالـثُّـعْـبـانِ
ثُـوروا وَرُدّوا كَـيْـدَهُ فـي نَـحْـرِهِ وَذُيـولِـهِ لا عَـاشَ كُـلُّ جَـبـانِ
ثُـورُوا بِـوَجْـهِ الـنّـاكِـثِـيـنَ عَـهُـودَكُـمْ الـغَـاشِـمِـيـنَ، كَـثَـوْرَةِ الـبُـرْكـانِ
مـا كـانَ بـالـحِـسْـبـانِ أَنْ يَـهـبُـوا الـيَـهُـودَ بِـلادَنـا، مـا كـانَ بـالـحِـسْـبـانِ

لِتُبَرْهِنُوا أَنَّ النُّفُوسَ أَبِيَّةٌ وَلِيَرْجِعُوا بالذُّلِّ والخِذْلانِ

* * *

يا نَشْءُ، هَلْ مِنْ نَهْضَةٍ نُحْيي بها المَجْدَ الأَثِيلَ كَنَهْضَةِ الجَابانِ؟
يا نَشْءُ، هَلْ مِنْ وَثْبَةٍ نَشْفي بها هذا الغَليلَ كَوثْبَةِ الطِّلْيانِ؟
يا نَشْءُ، هَلْ مِنْ صَرْخَةٍ تَدَعُ العِدا صَرْعى الذُّهُولِ كَصَرْخَةِ الألمانِ؟
يا نَشْءُ، عَرْقَلَتِ العَمائِمُ سَيْرَنا والدِّينُ أَضْحى سُلَّماً لِلْجانِي
يا نَشْءُ، وا أَسَفا عَلى دينٍ غَدا أُحْبُولَةً لِلأَصْفَرِ الرَّنّانِ
فَجَرائِمُ العُلَماءِ وَهْيَ كَثِيرَةٌ تَنْمُو بِظِلِّ الصَّفْحِ والغُفْرانِ
كَيْفَ النُّهُوضُ بِامَّةٍ بَلْهَاءَ لا تَنْفَكُّ عَاكِفَةً عَلى (الأَوْثانِ).

* * *

هَيْهاتَ نَبْني ما بَناهُ جُدُودُنا ونَنَالُ في هَذي الحَياةِ أَماني
وَشَريعَةُ الهَادي غَدَتْ وَاحَسْرَتا في عَالَمِ الإِهْمالِ والنِّسْيانِ
نَرجو السَّعَادَةَ في الحَياةِ وَلَمْ نُنَفِّذْ في الحَياةِ أَوامِرَ القُرْآنِ
بالدِّينِ قَدْ نالَ الجُدودُ مُناهُمُ وَغَدَوْا وَرَبّي، بَهْجَةَ الأَزْمانِ
فَتَحُوا الفُتوحَ ومَهَّدُوا طُرُقَ العُلا واسْتَسْلَمَ القاصي لَهُمْ والدّاني
طَرَدُوا هِرَقْلَ فَراحَ يَنْدُبُ ملكَهُ وقَضَوْا على كِسْرَى أَنوشِرْوانِ
وَعَنَتْ إلى الخَطّابِ تَخْطُبُ وِدَّهُ رُسُلُ المُلوكِ لِهَيْبَةِ السُّلْطانِ.
والسَّعْدُ رَافَقَ سَعْدَ في غَزَواتِهِ فَقَضى صَلاةَ الفَتْحِ بالإِيوانِ
وتَقَهْقَرَتْ ذُعْراً لِصَوْلَةِ خالِدٍ يَوْمَ النِّزالِ كَتائِبُ الرُّومانِ
قادَ الجُيوشَ بِهِمَّةٍ وَثَّابَةٍ وَبِهِ تَحُفُّ مَلائِكُ الرَّحْمَنِ
والمَجْدُ تَوَّجَهُ بِتَاجٍ زاهِرٍ ما مِثْلُهُ تَاجٌ مِنَ التِّيجانِ
وَغَزا صَمِيمَ الشَّرْقِ جَيْشٌ قُتَيْبَةٍ وَتَوَغَّلَ ابْنُ زيادِ في الأَسْبانِ
وبَنَى مُعَاوِيَةٌ بِجِلِّقَ عَرْشَهُ فَأَضا سَمَاءَ الشَّرْقِ تاجُ الباني
وحَنَتْ لِهَيْبَتِهِ المُلُوكُ رُؤوسَها ولِمَنْ تَلاهُ مِنْ بَني مَرْوانِ

وَأَقامَ هرونُ الرَّشِيدُ وإِبْنُهُ المأْمُونُ صَرْحَ العِلْم في بَغْدانِ
ومَجالِسَ العُلَماءِ والعُظَماءِ والأُدَباءِ والشُّعَراءِ والنُّدْمانِ
واليَوْمَ، أَيْنَ حَضارَةُ العَرَبِ التي أَنْوارُها سَطَعَتْ عَلى الأَكْوانِ؟
وبِنايَةُ المَجْدِ الَّتي قَدْ ناطَحَتْ هامَ السِّماكِ، ومِشْعَلَ العِرْفانِ؟
عَصَفَتْ بِها رِيحُ الفَسادِ، فَهَدَّتِ الأَرْكانَ رَغْمَ مَناعَةِ الأَرْكانِ
وَطَني، وَصَيَّرَنا الزَّمانُ أَذِلَّةً لِنَعِيشَ في الأَوْطانِ كالعبْدانِ؟
نَعْصي أَوامِرَ كُلِّ فَرْدٍ مُصْلِحٍ والدِّينُ يَنْهانا عَنِ العِصْيانِ
والخَتْلُ والتَّدْجِيلُ قَدْ فَتَكا بِنا وتَقُودُنا الأَطْماعُ كالعِمْيانِ
كُلٌّ بِمَيْدانِ اللَّذائِذِ والهَوَى تَلْقى عَواطِفَهُ بِغَيْرِ عِنانِ
ذو المالِ نَغْفِرُ ذَنْبَهُ وَنُجِلُّهُ أَبَداً، فَتَلْقاهُ عَظِيمَ الشّانِ
أَمّا الفَقيرُ فَلا تَسَلْ عَنْ حالِهِ حالٌ تُثِيرُ لَواعِجَ الأَشْجانِ
والحُرُّ نُشْبِعُهُ أَذىً ونُذِيقُهُ سُوءَ العَذابِ، ولا يَزالُ يُعاني
ونُحِيطُ بالتَّعْظِيمِ كُلَّ مُنافِقٍ باعَ الضَّمِيرَ بِأَبْخَسِ الأَثْمانِ

● ● ●

مانَحْنُ في وَطَنٍ إذا صَرَخَ الغَيُورُ بهِ يَرى نَفَراً مِنَ الأَعْوانِ
ما نَحْنُ في وَطَنٍ إذا نادى الأَبِيُّ بِهِ يُجابُ نِداهُ، يا أَقْراني
وَطَنٌ بِهِ يَتَجَرَّعُ الأَحْرارُ، وا أَسَفاهُ، صَابَ البُؤْسِ والحِرْمانِ
وَيْلاهُ أَجْنِحَةُ الصُّقُورِ تَكَسَّرَتْ والنّسْرُ لا يَقْوى عَلى الطَّيَرانِ
وَأَرى الفَضاءَ الرَّحْبَ أَصْبَحَ مَسْرَحاً واحَسْرَتا، لِلْبُوم والغِرْبانِ
واللَّيْثُ أَمْسَى بالعَرِينِ مُكَبَّلاً والكَلْبُ يَرْتَعُ في لُحُوم الضّانِ
ما أَنْ يُطَبِّلُ في البِلادِ مُطَبِّلٌ حَتَّى تُصَفِّقُ عَصْبَةُ الشَّيْطانِ
أَوْ كُلَّما نَعَبَ الغُرابُ وغَصَّ في تَنْعابِهِ، نَعَبَ الغُرابُ الثّاني
فَلِمَ التَّخاذُلُ والعُروبَةُ أُمُّنا ولِمَ الشِّقاقُ، ونَحْنُ مِنْ عَدْنانِ؟
وَلِمَ التَّفاخُرُ بالمَوائِدِ والمَلابِسِ والأَثاثِ وشاهِقِ الجُدْرانِ؟

وَلِمَ التَّعَصُّبُ بالمَذاهِبِ، يا بَني الأَوْطانِ، وَهْوَ أَساسُ كُلِّ هَوانِ؟
فَقُلوبُنا لِلَّهِ، والأَجْسامُ لِلْـ ـغَبْراءِ، والأَرْواحُ لِلأَوْطانِ
فَتَعاضَدُوا، وتَكاتَفُوا، وتَآلَفُوا وتَسانَدُوا كَتَسانُدِ البُنْيانِ
وتآمَرُوا بالبِرِّ والتَّقْوى، ولا تَتَآمَرُوا بالإِثْمِ والعُدْوانِ

* * *

تَجْرِي السَّفِينَةُ في مُحيطٍ هائِلٍ وعُيونُنا تَرْنُو إلى الرُّبّانِ
كَيْفَ السَّبيلُ إلى النَّجاةِ وَلَمْ تَزَلْ عُرْضَ الخِضَمِّ سَفائِنُ القُرْصانِ؟
رَبّاهُ جَارَ الأَقْويا فانْظُرْ إلى مَا يَفْعَلُ الإِنْسانُ بالإِنْسانِ

* * *

الشكوى في شعره

■ ذكرنا في أوّل هذا الكتاب حالة الشاعر «فهد» النفسية، والأزمات الحادَّة والأوضاع المختلفة التي مرَّ بها، وكيف صيَّرته هذه الحوادث حادّ المزاج، سريع الانفعال، شديد الحنق على الناس، لهذا كلّه راح يبثّ شعره همومه وآلامه، وما يعانيه من المضايقات الكثيرة، المنصبّة عليه من كلّ جانب من أهله ومواطنيه، ومن الناس جميعًا، كما كان يرى، وقد ضمن أكثر شعره هذه الآلام والهموم والأحزان، فجاء كثير من قصائده في الشكوى من الناس، ومما يعانيه من وحدته التي اضطر اضطرارًا إليها، وأجبر إجبارًا عليها، لنقرأ هذه القصيدة قراءة واعية، لنرى مدى ما يعانيه من ضيق، وبؤس، وحرمان، وقد نظمها عام ١٩٤٦م، بعنوان «شهيق وزفير»:

كُفّي المَلامَ وعَلّليني ... فالشَّكُّ أَوْدَى باليَقِينِ
وَتَناهَبَتْ كَبدي الشُّجونُ، فَمَنْ مُجِيري مِنْ شُجوني؟
وَأَمَضَّني الدَّاءُ العَيَاءُ، فَمَنْ مُغِيثي؟ مَنْ مُعيني؟
أَيْنَ الَّتي خُلِقَتْ لِتَهْواني، وَبَاتَتْ تَجْتَوِيني؟
أُمَّاهُ قَدْ غَلَبَ الأسى ... كُفِّي المَلامَ وَعَلِّليني
اللَّهُ يا أُمّاهُ، فيّ ... تَرَفَّقي، لا تَعْذُليني
أَرْهَقْتِ رُوحي بالعِتابِ، فَأَمْسِكيهِ أَوْ ذَريني
أَنا شاعِرٌ، أَنا بائِسٌ ... أَنا مُسْتَهامٌ، فاعْذُريني
أَنا مِنْ حَنيني في جَحِيمٍ ... آهِ مِنْ حَرِّ الحَنينِ

أَنـا تـائِـهٌ فـي غَـيْـهَـبٍ شَـبَـحُ الـرَّدى فـيـهِ قـريـنـي
ضـاقَـتْ بِـيَ الـدُّنْـيـا دَعِـيـنـي أَنْـدُبُ الـمـاضـي، دَعـيـنـي
وأَنـا الـسَّـجِـيـنُ بِـعُـقْـرِ داري فـاسْـمَـعِـي شَـكْـوى الـسَّـجِـيـنِ
بِـهُـزالِ جِـسْـمـي بـاصْـفِـراري بـالـتَّـجَـعُّـدِ بـالـغُـضُـونِ

❦ ❦ ❦

وَطَـنـي وَمَـا أَقْـسـى الـحَـيـاةَ بِـهِ عَـلـى الـحُـرِّ الأَمِـيـنِ
وأَلَـذُّ بَـيْـنَ رُبُـوعِـهِ مِـنْ عِـيـشَـتِـي كَـأْسُ الـمـنـونِ
قَـدْ كُـنْـتَ فِـرْدَوْسَ الـدَّخـيـلِ وَجَـنَّـةَ الـنَّـذْلِ الـخَـئـونِ
لَـهَـفِـي عَـلـى الأَحْـرارِ فـيـك وَهُـمْ بِـأَعْـمـاقِ الـسُّـجـونِ
ودُمُـوعُـهُـمْ مُـهَـجٌ وأَكْـبـادٌ تَـرَقْـرَقُ فـي الـعُـيـونِ
مـا رَاعَ مِـثْـلُ الـلَّـيْـثِ يُـؤْسَـرُ، وابْـنُ آوى فـي الـعَـرِيـنِ
والـبُـلْـبُـلُ الـغِـرِّيـدُ يَـهْـوي والـغُـرابُ عـلـى الـغُـصُـونِ

❦ ❦ ❦

وَطَـنِـي، وَأَدْتُ بِـكَ الـشَّـبـابَ، وكُـلَّ مـا مَـلَـكَـتْ يَـمـيـنـي
وَقَـبَـرْتُ فـيـكَ مَـواهِـبـي واسْـتَـنْـزَفَـتْ غُـلَـلـي شُـؤونـي
ودَفَـنْـتُ شَـتَّـى الـذِّكْـريـاتِ بِـغَـوْرِ خـافِـقِـيَ الـطَّـعِـيـنِ
وَكَـسَـرْتُ كَـأْسِـيَ بَـعْـدَمـا ذابَـتْ بِـأَحْـشـائـي لُـحُـونـي
وسَـكَـبْـتُـهـا شِـعْـراً رَثَـيْـتُ بِـهِ مُـنـى الـرّوحِ الـحَـزيـنِ
وَطَـوَيْـتُـهـا صُـحُـفـاً ضَـنَـنْـتُ بِـهـا، وَمَـا أَنـا بـالـضَّـنـيـنِ
ورَجِـعْـتُ صِـفْـرَ الـكَـفِّ مُـنْـطَـوِيـاً عَـلـى سِـرٍّ دَفـيـنِ
فَـلأَنْـتَ يـا وَطَـنـي الـمـديـنُ وَمَـا هـزارُكَ بـالـمـديـنِ

❦ ❦ ❦

وَطَـنـي، وَمَـا سَـاءَتْ بِـغَـيْـرِ بَـنِـيـكَ، يَـا وَطَـنـي، ظُـنُـونـي
أَنـا لَـمْ أَجِـدْ فـيـهـمْ خَـديـنـاً آهِ مَـنْ لـي بـالـخـديـنِ

وَا ضَيْعَةَ الأَملِ الشّريدِ وَخَيْبَةَ القَلْبِ الحَنونِ
رَقَصُوا على نَوْحي وإعْوالي، وأَطْرَبَهُمْ أَنِيني
وَتَحامَلُوا ظُلْماً وعُدْواناً عَلَيَّ وَأَرْهَقوني
فَعرفْتُهُمْ، وَنَبذْتُهُمْ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوني
وهُناكَ مِنْهُمْ مَعْشَرٌ أُفٌّ لَهُمْ، كَمْ ضَايَقُوني
هذا رَماني بالشُّذوذِ وَذا رَماني بالجُنونِ
وهناكَ مِنْهُمْ مَنْ رَماني بالخَلاعَةِ والمُجونِ
وتَطاوَلَ المُتَعَصِّبون وما كَفَرْتُ، وَكَفَّروني
وَأَنَا الأَبِيُّ النَّفْسِ ذُو الوِجْدانِ والشَّرَفِ المَصُونِ
اللَّهُ يَشْهَدُ لي ومَا أَنا بالذَّلِيلِ المُسْتَكِينِ
لا درَّ درَّهُمُ فَلَوْ حُزْتُ النُّضارَ لأَلَّهُوني
أَوْ بِعْتُ وِجْداني بِأَسْواقِ النِّفاقِ لأَكْرَمُوني
أَوْ رُحْتُ أَحْرِقُ في الدَّواوِينِ البُخورَ لأَنْصَفُوني
فَعَرِفْتُ ذَنْبي، أَنَّ كَبْشي لَيْسَ بالكَبْشِ السَّمِينِ
يا قَوْمُ كُفّوا، دِينُكُمْ لَكُمُ، وَلي يَا قَوْمُ ديني

❀ ❀ ❀

لَيْلايَ، يا حُلْمَ الفُؤَادِ الحُلْوَ، يا دُنْيا الفُنونِ
يا رَبَّةَ الشَّرَفِ الرَّفيعِ البِكْرِ، والخُلُقِ الرَّصينِ
يا خَمْرَةَ القَلْبِ الشَّجِي وحُجَّةَ العَقْلِ الرَّزِينِ
صُنْتُ العُهُودَ وَلَمْ أَحِدْ عَنْها، فَيا لَيْلايَ صُوني
عُودِي لِقَيْسِكِ بالهَوَى العُذْرِيِّ بالقَلْبِ الرَّهِينِ
عُودي إِلَيْهِ، وشَاطِرِيهِ الحُبَّ بالدَّمْعِ السَّخِينِ
عُودي إِلَيهِ، واسْمَعِي نَجْواهُ في ظِلِّ السُّكونِ
فَهُوَ الَّذي لِهَواكِ ضَحّى بالرَّخِيصِ وبالثَّمِينِ

❀ ❀ ❀

لَيْلَى، تَعالي زَوِّديني قَبْلَ المَماتِ، وَوَدِّعيني

لَيْلايَ، لا تَتَمَنَّعي   رُحْماكِ بي، لا تَخْذُليني

لَيْلى، تَعالَيْ واسْمَعي   وَحْيَ الضَّميرِ، وَحَدِّثيني

ودَعِي العِتابَ إذا الْتَقَيْنا   أَوْ فَفِي رِفْقٍ وَلِينِ

لِمَ لا وَعُمْرُ فَتاكِ أَطْوَلُ مِنْهُ عُمْرُ الياسَمِينِ

لِلَّهِ آلامي وأَوْصابي، إذا لَمْ تُسْعِفيني

هَيْمانَ كالمَجْنُونِ أَخْبِطُ في الظَّلامِ، فَأَخْرِجيني

مُتَعَثِّراً نَهْبَ الوَسَاوِسِ والمَخَاوِفِ والظُّنونِ

حَفَّتْ بِيَ الأَشْباحُ صارِخَةً، بِرَبِّكِ أَنْقِذِيني

واشْفي غَليلي، وابْعَثي   مَيْتَ اليَقِينِ، وَدَلِّليني

لَيْلى، إذا حُمَّ الرَّحيلُ   وغَصَّ قَيْسُكِ بالأَنينِ

وَرَأَيْتِ أَحْلامَ الصِّبا   والحُبِّ صَرْعى في جُفُوني

ولَفَظْتُ روحي، فاطْبَعي   قُبَلَ الوَداعِ عَلى جَبيني

وَإِذا مَشَوْا بِجَنازَتي   بِبَنَاتِ فِكْري شَيِّعيني

وَإِذا دُفِنْتُ فَبَلِّلي   بالدَّمْعِ قَبْري، واذْكُريني

* * *

هذه صرخة من صرخات «فهد» في الشكوى، وأنت ترى في هذه القصيدة كيف يوجّه الكلام أوّلًا إلى أمه، لأنها كانت تلومه مع اللوّام على تعدّيه على العرف والتقاليد، كما ذكرنا، والذي نعرفه أن أمه كانت تعطف عليه عطفاً شديداً، بل إنها تكاد تكون الوحيدة في عائلته التي عطفت عليه، لا سيّما بعدما أصيب بعينيه، وليس من العجيب أن نرى أمه تعطف عليه هذا العطف، وقلب الأم معروف على ولدها، ولعل في هذه القصيدة ما يعطي صورة واضحة لحالته النفسية، وما يعانيه من تعب روحي، وما يقاسيه من مضايقة أبناء وطنه له، ثم يتذكّر الأحرار منهم، ويشفق عليهم،

ويتألَّم لألمهم، وما يقاسونه من حرمان في وطنهم الذي أصبح نهباً للدخلاء من الأجانب، الذين وفدوا إليه من الخارج بغية استغلاله لمصالحهم المادية الشخصية، وكيف ضايقوا الأحرار من أبنائه في لقمة عيشهم، وكيف راحوا يتزلّفون، وينافقون الناس في الكويت بغية إفساح المجال لهم، لاستغلال خيرات البلد، ثم يعرج على أولئك الذين يرمونه بالكفر والمجون، ويختم القصيدة بتأوهات منبعثة من صميم قلبه المحطم.

وننتقل إلى قصيدة أخرى من قصائده في الشكوى، وقد قالها عام (١٩٤٦م)، أي في نفس العام الذي أنشد فيه قصيدته التي ذكرناها. وعنوانها «شكوى» وقد أهداها إلى كل شاعر وأديب، وإلى كل عاشق مفؤود، وهي من نفس الوزن، يقول فيها:

قُومي اسْمَعي، يا بنتَ جَاري شَكْوى الهَزارِ إلى الهَزارِ
شَكْوى الحَبيسِ المُسْتَجِير مِنَ الطَّليقِ المُسْتَطارِ
شَكْوى صَريعِ الكأْسِ كَأسِ الصّابِ، لا كَأسِ العُقارِ
شَكْوى لَها اضْطَرَبَتْ، لِفَرْطِ الحُزْنِ، أَحْشاءُ الدّراري
والبَدْرُ كَمْ وَدَّ الهُوِيَّ لِمَسْحِ أَدْمُعِهِ الجَواري
صَبَّتْ عَليهِ طُيوفُ ماضيهِ القَريبِ سِياطَ نارِ
لِلَّهِ ما لاقى وكابَدَ في جَحِيمِ الإدّكارِ
ياابْنَ النَّهارِ، وكَمْ شَكا ابْنُ اللَّيْلِ مِنْ طولِ النَّهارِ
أَيّامَ كُنّا والكَواشِحُ هُجَّعٌ خَلْفَ السّتارِ
هَلْ كانَ مِنّا حَظُّهُمْ إذْ ذاكَ غَيْرُ الإنْدِحارِ
في مَعْقِلٍ لَمْ نَخْشَ قَطّ بِهِ الطَّوارِقَ والطَّواري
والسَّعْدُ خِدْنٌ والصِّبا رَيّانُ في قُرْبِ المَزارِ
لا رَوْضُهُ اسْتَسْقى السَّماءَ، ولا خَمائِلُهُ عَواري
والطَّيْرُ نَشْوى في مَنابِرِهِ، فَمِنْ مُصْغٍ، وَقاري

وَزِمَـــامُ مَـــنْ أَهْـــواهُ فـــي اليُمْنى، وكَـأْسِي في يَساري
لا أَشْـتَـكـي بـرْحَ الـصُّـدُودِ وَلَـمْ أَذُقْ أَلَـمَ الـخـمـارِ
فَـبِـذاكَ تَـجْـنـيـحُ الـمُـنَـى وَبِـتِـلْـكَ إِطْـفـاءُ الأُوارِ
مِـنْ جُـلّـنـارِ خُـدُودِهِ نُـقـلـي ومِـنْ آسِ الـعـذارِ
وَأَقـاحِ ثَـغْـرٍ، كَـمْ نَـظَـمْـتُ بِـبِـنْـتِـهِ إِكْـلِـيـلَ غـاري
قُـبَـلٌ، بِـهـا رَقَّـتْ مُـنـى نَـفْـسي عَـلى قَـدَحي المدارِ
بِـأَبـي، بَـيَـاضـاً فـي احْـمِـرارٍ واحْـمِـراراً فـي اخْـضِـرارِ
وبِـمُـهْـجَـتِـي، خَـفَـراً وَدَلّاً دُونَـهُ دَلُّ الـعَـذاري
ذَوْبُ الـلّـجَـيْـنِ غـبُـوقُـنَـا وَصَـبـوحُـنـا ذَوْبُ الـنُّـضَـارِ
لَـمْ تَـخْـبُ مِـنْ بِـنْـتِ الـنَّـخِـيـلِ ولا ابْـنَـةِ الـعُـنْـقُـودِ نَـاري
كَـمْ بَـيْـنَ تِـلْـكَ وَهَـذِهِ مِـنْ حُـجَّـةٍ لـي، وَاعْـتِـمـارِ
يَـصْـحـو، فَـيَـهْـتِـفُ بـي بَـدارِ، وَكَـمْ هَـتَـفْـتُ بِـهِ بَـدارِ
فَـرَنَـا وَهَـبَّ، فَـجَـنَّـحَـتْ قـلْـبـي حُـمَـيّـا الإِحْـوِرارِ
ولَـثَـمْـتُـهُ، وبَـثَـثْـتُـهُ شَـكْـوايَ هَـمْـسـاً مِـنْ حَـذارِ
وهَـصَـرْتُ بـانَـةَ قَـدِّهِ فَحَسَا الصَّبُوحَ على اهْتِصاري
وافْـتَـرَّ مَـبْـسَـمُـهُ فَـيـا لِـجَـمَـالِ ذاكَ الإِفْـتِـرارِ
فَـيَـخـالُـنـا الـرّائِـي قُـبَـيْـلَ الـعَـوْدِ مِـنْ رَمْـيِ الـجِـمـارِ
مَـلَـكَـيْـنِ فـي دُنْـيـا الـغَـرامِ مِـنَ الـمَـلائِـكَـةِ الـخِـيـارِ
هَـبَـطـا بِـأَجْـنِـحَـةِ الـهَـوى والـوَجْـدِ والـشُّـوْقِ الـمُـثـارِ
أَحْـضـانُـهُ حَـرَمـي الـشّـريـفُ وَضَـوْءُ مَـفْـرِقِـهِ مَـنَـاري
وَجَـمـالُـهُ فِـرْدَوْسُ رُوحـي كَـمْ جَـنَـتْ أَشْـهـى الـثِّـمـارِ
وَعُـيـونُـهُ تُـوحـي عـلـى هَـمْـسِ الـنُّـسَـيْـمـاتِ الـسّـواري
فَـأَصُـوغُ مِـنْ إِلْـهـامِـهَـا غُـرَراً، ولَـمْ أَعْـدِمْ قَـراري
بِـلَـبـاقَـةٍ وَرَشَـاقَـةٍ ووُضـوحِ مَـعْـنـىً بـاقْـتِـدارِ

أَشْدو، وكَمْ أَسْكَرْتُ أَرْواحاً «بموسيقى» ابْتِكارِي
وسَكَبْتُ لَحْناً «عَسْكَرِيًّا» دُونَهُ وَقَفَ المُباري
فَسَلِ البَلابِلَ في الجَنائِنِ عَنْ لُحُوني، والقماري
تُنْبيكَ عنْ إعْجابِها بِجَمالِ ذَوْقي واخْتِياري
ومُعَنِّفٍ وافى فأَخْرَسَهُ انْتِهاري وازْوِراري
يا لائِمي هذا شِعاري في الهَوَى، هذا شِعاري
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَيّ إثْمٍ في التَّمازُجِ؟! أَيُّ عارِ؟!
ما لِلأَحِبَّةِ في الوِصالِ، ولِلتَّزَمُّتِ والوَقارِ
ما جَنَّحَ الأَرواحَ، فانْطَلَقَتْ، سِوى خَلْعِ العِذارِ
يابْنَ النَّهارِ، وَكَمْ شَكا ابْنُ اللَّيْلِ مِنْ قِصَرِ النَّهارِ
لِمَ لا، وَبَذْري غَيَّبُوهُ بِما أَثارُوا مِنْ غُبارِ
فَهَوَيْتُ مِنْ أُفُقِ الرُّؤى وَهَبَطْتُ مِنْ أَوْجِ ازْدِهارِي
لَهْفانَ مَشْبوبَ الحَشا مُتَمَلْمِلاً في عُقْرِ داري
أَبْني القَوافي ذاهِلاً مِنْ وَحْي أَدْمُعِيَ الغِزارِ
لَمْ أَدْرِ حِينَ يُقيمُني فَزَعي ويُقْعِدُني افْتِقاري
واليَأْسُ يَدْفَعُنِي، ويَجْذِبُني ازْدِرائِي واحْتِقاري
أَأَنا شَرِيدٌ في المهامِهِ، أَمْ غَريقٌ في البِحارِ
فَكَأَنَّني الكُرَةُ الكَبيرَةُ بَيْنَ صِبْيانٍ صِغارِ
أَوْ أَنَّني قَلْبُ المُجازِفِ حَوْلَ مائِدَةِ القِمارِ
أَوْ أَنَّني رُوحُ المُفارِقِ في فِراشِ الإِحْتِضارِ
ومُهَفْهَفٍ لَمْ يَرْعَ لي حَقَّ المَوَدَّةِ والجِوارِ
لَمْ أَجْنِ مِنْ غَرْسي لَهُ غَيْرَ التَّنَكُّرِ والنِّفارِ
هَيْهَات، لا عِلْمي أَفَادَ بِهِ، ولا أَغْنى اخْتِباري
كَلَّا، ولا أَجْدى اصْطِباري، لا، ولا طُولُ انْتِظاري

رَشَأٌ وَهَبْتُ لَهُ الشّبابَ، فَكانَ عنوانَ افْتِخَاري
فَطَغَى، ويَا لِتَحَكُّم الغِزْلانِ بالأُسْدِ الضَّواري
هَلْ يَطّبيهِ، حينَ يَكْسِرُ جَفْنَهُ، إلَّا انْكِساري
أَوْ يَنْتَشي إلَّا بِدَمْعي، حينَ يُذْنِبُ واعْتِذاري
أَوْ يَرْتَجي إلَّا قُنُوطي لَيْسَ إلَّا وانْتِحاري
أَوْ يَبْتَغي إلَّا انْقِبَاضي في التَّداني وانْحِصاري
أَوْ حينَ يُوقِدُ نَارَها هَلْ حَازَ غَيْرَ الإنْتِصارِ
أَوْ سَرَّهُ إلَّا نُحُولي في هَواهُ واصْفِراري
يا لِلتَّصَلُّبِ والتَّمَرُّدِ والعِنادِ والاغْتِرارِ

• • •

يا بِنْتَ جَاري، آهِ مِنْ جَوْرِ القَضَا، يا بِنْتَ جَاري
في ذِمَّةِ الأَقْدارِ مَا شَيَّعْتُ في ذَاكَ الحِوارِ
دُنْيَا من الأَحْلام أَسْلَمَها القَضاءُ إلى الدَّمَارِ
وصُرُوحُ آمالٍ عَلَيْها قَدْ قَضَى بالإنْهِيَارِ
يا لِلشَّقاءِ ولِلْعَناءِ ولِلضّياعِ ولِلخَسَارِ
لَهَفِي على تِلْكَ اللُّيَيْلاتِ المُنَوِّرَةِ القِصارِ
شَوْقِي لها مُذْ غُيِّبَتْ شَوْقَ الفَقِيرِ إلى اليَسارِ
أَوْ شَوْقَ مَنْ غَاصَ البِحارَ إلى اللآلِيءِ في المَحارِ
أَوْ شَوْق قَيْسٍ وهوَ يَطْوي في هَوى لَيْلى البَراري
أَو شَوق لَيْثِ الغابِ في القَفَصِ الصَّغيرِ إلى القِفارِ

• • •

يا مَعْشَرَ الشُّعَراءِ والأُدَباءِ في شَتَّى الدِّيارِ
هِيضَ الجَناحُ، وَضِقْتُ ذَرْعاً بالجَناح المُسْتَعارِ
ومَضَى الشَّبَابُ، وهذِهِ شَكْوى جَريحٍ في الإسارِ

مـا كُـنْـتُ أَشْـكُـو، بَـلْ أُصِـيـخُ لِـمَـنْ شَـكـا، لَـوْلا اضْـطِـراري
مـــاذا وَراءَ الـــضَّـــغْـــطِ، إِذْ يَـشْـتَـدُّ، غَـيْـرُ الإِنْـفِـجـارِ
والـلَّـهِ لَـوْ يَـشْـفِـي انْـتِـقـامـي غُـلَّـتـي، لأَخَـذْتُ ثـاري
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ نَـشَـأُوا بِـأَحْـضـانِ الـسَّـفـالَـةِ والـشَّـنـارِ
لَـصَـقُـوا الـمَـثـالِـبَ بِـي، وكُـلّ مَـثـالِـبِـي عَـدَمُ اتِّـجـاري
مـاذا أَقُـولُ بِـهِـمْ وَهُـمْ حُـمُـرٌ لِـرَبّـاتِ الـخِـمـارِ
مـا راعَ يـا لِـلْـغُـبْـنِ مِـثْـلُ الـلَّـيْـثِ يَـشْـكُـو مِـنْ حِـمـارِ
أَسَـفـاً عَـلـى عُـمْـرٍ تَـقَـضَّـى بَـيْـنَ أَطْـفـالٍ كِـبـارِ
بَـيْـنَ الـمُـنـافِـقِ والـمُـخـادِعِ والـمَـداجِـي والـمُـداري
غَـرَسُـوا فَـقُـلْ لِـي هَـلْ جَـنَـوْا غَـيْـرَ الـمَـذَلَّـةِ والـصَّـغـارِ
مُـتَـذَئِّـبُـونَ، ولَـوْ ثَـغَـتْ شـاةٌ لَـلاذُوا بـالـفِـرارِ

* * *

يـا نـاسُ قَـدْ أَدْمَـى اغْـتِـرابـي مُـهْـجَـتِـي، والـدّارُ داري
أُصْـغـي فَـلَـمْ أَسْـمَـعْ بِـهـا غَـيْـرَ الـنَّـهِـيـقِ أو الـخُـوارِ
أَنَـا لَـمْ أَجِـدْ فـيـهـا غَـيُـوراً قـامَ مِـنْ دَرَكِ الـعِـثـارِ
فَـمَـظـاهِـرٌ خَـلَّابَـةٌ والآلُ يَـخْـدَعُ فـي الـصَّـحـاري

* * *

هذه هي القصيدة الثانية التي أثبتناها هنا في الشكوى، وقد كنا نودُّ أن نضع هذه القصيدة الطويلة، مع قصائده في الغزل، إذ أن أكثر أبياتها في الغزل والحب، إلا أننا رأينا أن نثبتها هنا لأن الشاعر قد سمّاها «شكوى»، ولأنه توصَّل بها إلى الغرض الذي يرمي إليه من تلك المقدمة الطويلة في الغزل، والاسترسال في ذكر الحبّ القديم، والإمعان في تذكر تلك الأيام الجميلة الحالمة التي قضاها حبّاً وهوىً ومرحاً ونشوة، تلك الأيام التي كثيراً ما يتذكرها، ويحلم بجمالها، بعد أن يدهمه واقعه بما يقضّ مضجعه،

ويؤرّق عينيه، يتذكرها لينطلق بذكرياتها في أحلام مجنَّحة حلوة تنسيه همومه وأشجانه، وما يعانيه من واقع مرير، ووضع مؤلم صار إليه، وحرمان قاتل، أوقعه فيه تصلّبه وتعنته بموقفه الذي كان لا يرضاه له أهله، ولا قومه، ولا سيما المتعصبون منهم. وقد أحسسنا في هذه القصيدة ببعض الأبيات التي عدَّها عليه المتعصبون انزلاقاً وانحرافاً عن الدين القويم، وحملوا عليه حملة قاسية لهذا الانزلاق والانحراف.. وهذه أبيات قليلة بالنسبة لغيرها التي جاءت في كثير من قصائده من الغزل والخمريات، حيث خرج بها عن حدود التقاليد والعادات، ولم يكن المجتمع في الكويت ليألف مثل هذا التصريح في المجون والمجاهرة بشرب الخمر، وتمثيل مواقف الحب والغرام ببعض الشعائر الدينية المقدّسة، لكن شياطين الشعر كثيراً ما تضلّ بالشاعر، وتطير به إلى أجواء خيالية بحتة، وتجرّه إلى مزالق خطيرة قد لا يسلم منها، وقد يكون فيها حتفه وهلاكه، والشاعر حينما تهبط إليه شياطين الشعر، وتتجمع أطيافها حوله، وتصوره ملكاً يستطيع أن يقول وأن يفعل ما يشاء، وتتراءى له في هذه اللحظة الحاسمة صور ماضيه وحاضره القلق المشحون بالمآسي والآلام، ينطلق انطلاقًا من كلّ القيود والنظم التي يجب مراعاتها، والتقيّد بها، فيروح في دنيا من الأوهام، ويغيب في عالم من الخيالات الزاهية، وشياطين الشعر تتراقص أمامه، وتغريه بالمزيد من الإمعان في المجون، وتحطيم القيود، وتحدّي القوانين والأنظمة، وتنسيه كلّ ما حوله من حدود لا يجوز تعديها، فيصحو، وإذا به في غمرة من المشاكل والمآزق لا يَقْدِرُ لها رداً، ولا يستطيع لها دفعاً، وفي هذه القصيدة وفي غيرها من القصائد وقع في مثل هذه المشاكل، التي هيَّجت عليه النفوس، وأثارت عليه الخواطر، وأودت به إلى هذا الاضطراب.

لذلك كله ذكرناها كاملة لأن القصيدة كالجسم الحيّ، إذا انتُزِعَ منها بيت أو أبيات اختلَّ المعنى، وضاع الغرض، وفاتت وحدة القصيدة، وصارت جسماً بلا روح، وهيكلًا لا حياة فيه.

ولننتقل إلى قصيدة أخرى من هذه القصائد الشاكية الباكية، لنرى الشاعر كيف يبثّ شعره همومه وأشجانه، وقد قالها بعد زيارة قصيرة له في (المقوع). والمقوع هذه هي إحدى مدن البترول في الكويت:

أَشْجى الرّفاقَ تَأَوّهي وَتَوَجُّعي ... وتَمَنّعي عنْ شُرْبها في المقْوَعِ
وأَنا الذي بالأمْسِ إنْ هِيَ شُعْشِعَتْ ... كَمْ زُفَّ لي قَدَحي وغَيْر مُشَعْشَعِ
أَحْنو عَلَيْهِ باسِماً طَرِباً ولا ... عَجَبٌ ولا حَرَجٌ حنوَّ المرْضِعِ
وأَضُمُّهُ شَوْقاً قُبيلَ تَرَشّفي ... منهُ إلى كَبِدي وقلبي المولعِ
وأَقُولُ للّاحِي بِهِ ذَرنِي، ولا ... تَنْهَقْ، فَمَا أَنَا من ذَواتِ الأَرْبَعِ
يا دنُّ لا تَنْضُبْ، ويا نَدْمانُ خُذْ ... وعليّ يا ساقي، ويا قَدَحُ اصْرعِ
ولَكَمْ شَدَوْتُ بِوَحْيِهِ، وَلَكَمْ وكَمْ ... أَطْرَبْتُ من خلّ أَدِيبٍ لوْذَعي
العَسْكَرِيّاتُ الرِّقاقُ شَواهِدٌ ... سَلْها تُجِبْكَ عن الهَزارِ المُبْدِعِ

* * *

واليَوْمَ قَدْ آلَيْتُ لا أَحْسُو الطّلا ... رَغْمَ الصَّدى إلَّا وَأَنْتِ مَعِي مَعِي
لَيْلَى، أَأَشْرَبُها وكَأْسُكِ فَارِغٌ؟! ... إنّي إذاً صبٌّ وَحَقِّكِ مُدَّعي
أَعَلى زَفِيرِ جَهَنَّمٍ؟ وَجَهَنَّمٌ ... بِزَفِيرِها وَشَهِيقِها في أَضْلُعِي
أَمْ وَحْشَتي، يا لِلْعَناءِ، وَحَيْرَتي ... وأَنَا المُشَرَّدُ في عَرَاءٍ بَلْقَعِ
أَمْ حُرْقَتي وَهَواجِسي وَوَساوِسِي ... وَتَذَمُّري وتَمَلْمُلِي في مضْجَعِي
مَنْ لي بِإِنْسانٍ يُواسِيني إذا ... ما هَاجَتِ الذِّكْرَى، ويَمْسَحُ أَدْمُعِي

* * *

وَطَني، وَكَيْفَ يَعِيشُ مِثْلي بُلْبُلٌ ... ما بَيْنَ ثُعْبانٍ يَفُحُّ وضِفْدَعِ
في أُسْرَةٍ نَقَمَتْ عَليَّ لِرَأْفَتي ... بِفقِيرِها وصَراحَتِي وتَرَفّعي

جارَ الزَّمانُ، فيا أساوِدَها الْدَغي
وطَغَى القَضَاءُ، فيا ضَفادِعها اشْبَعي

مَا كانَ مَوْرِدِيَ الحَميمُ لو أنَّني مَيْتُ المشاعِرِ، لا أُحِسُّ، ولا أَعِي
غبْنٌ يشفُّ الرّوحَ أَنْ تَتَفَتَّحَ الأَوْرادُ بَيْنَ الوَحْلِ والمُسْتَنْقَعِ

* * *

وَطَني وَلي حَقٌّ عليْكَ أَضَعْتَهُ وَحَفِظْتَ حَقَّ الدّاعِرِ المُتَسَكِّعِ
فَلَوْ أَنَّ لِيَ طَبْلاً ومِزْماراً لَما أَقْصَيْتَني، أَوْ أَنَّ لِي في المخدَعِ
هَذي عُقوبَةُ مَوْطِني، وَجِنايَتِي هِيَ أَنَّني لِتيوسِهِ لَمْ أَرْكَعِ
فَقَبَعْتُ في داري كَصَقْرٍ[1] شاكياً وَلَوْ أنَّنا في غَيْرِهِ لَمْ نَقْبَعِ
فَلَسوفَ أَمْكُثُ فِهِ ما شَاءَ القَضَا ولَسَوْفَ أَرْحَلُ عَنْهُ غَيْرَ مُودِّعِ
فاطْوي شبَاكَكِ يا هَلُوكُ، فما أنا بالخائِنِ المُتَلَوِّنِ المُتَصَنِّعِ
خُلِقَ الأَثيمُ مُبَرْقَعاً، فَثَوى بِهِ وأَنا خُلِقْتُ، وَعِشْتُ غَيْرَ مُبَرْقَعِ

* * *

وَطَني شَكَوْتُ لَكَ الصَّدى فَمَلأْتَ لي
كَأْسي وغَيْرَ الصّابِ لَمْ أَتَجَرَّعِ

وَوَأَدْتُ في فَجْرِ الشّبابِ مآربي وبَكَيْتُها، يا لَيْتَهُ لَمْ يطْلَعِ
لَهَفي على قَلْبي الجَريحِ وَلَوْعَتي ماذا جَنى، يا لَيْتَني لَمْ أَزْرَعِ
أَلْقِرْدُ أَضْحى لاعباً في مَلْعَبي وغدا ابنُ آوى راتِعاً في مَرْتَعي
اللّهُ أَكْبَرُ، كَيْفَ يُحْفَظُ حَقُّ مَنْ رَكِبَ الخَنا، وَيُداسُ حَقّ الألمعي
بَلْ كَيْفَ يُمْسي ذلكَ الباغي وقَدْ ثَبَتَتْ إدانَتُهُ، وَيُصْبِحُ مُدَّعي
أَمِنَ العَدالَةِ رَبِّ أَنْ أَشْقى، وأَنْ أَشْكُو جِراحي مُكْرَهاً لِلْمِبْضَعِ
وَطَني، وللدّارِ الجَديدَةِ جَارَةٌ لَوْلا هَواها عِشْتُ غَيْرَ مُضَيّعِ
لَمْ تَبْلُغِ العِشْرينَ ذاتُ وَسَامَةٍ وَرَشاقَةٍ وتَدَلُّلٍ وَتَمَنُّعِ
والحُبُّ قَهّارٌ ولَوْلا قَيْدُهُ لَسَمِعْتَ في الفَيْحاءِ ما لَمْ تَسْمَعِ

(١) هو الشاعر الضرير المرحوم صقر الشبيب.

مِنْ عَنْدَلِيبٍ إِذْ رَمَيْتَ أَصَبْتَهُ فَهَوى، ومَنْ لِلْعَنْدَلِيبِ الموجَعِ؟!
فَلَعَلَّ لَيْلاهُ تَرِيشُ جَناحَهُ ما كانَ أَشْوَقَهُ لِتِلْكَ الأَرْبُعِ
بِكُرومِها وظِبائِها وجِنانِها بِزُهُورِها وعَبِيرِها المُتَضَوِّعِ
شَوْقي لَها، أَوّاهُ مِنْ شَوْقي لها شَوْقي لِلَيْلى واللَّيالِي الأَرْبَعِ

* * *

وَطَني، وَما يَوْمُ الرَّحيل بِشاحِطٍ عَنْ شاعِرٍ مُتَوَجِّعٍ مُتَقَطِّعِ
قَلِقٍ أذابَ الهَمُّ حَبَّةَ قَلْبِهِ فَتَرَقْرَقَتْ في مُقْلَةٍ لَمْ تَهْجَعِ
ناجَى رُؤاهُ، فَيا بَلابِلُ رَدِّدي وَبَكى مُناهُ، فَيا حَمائِمُ رَجِّعي
يَسْتَعْرِضُ الماضي بِطَرْفٍ دامِعٍ وبِخافِقٍ في الذِّكْرياتِ مُوَزَّعِ
ما خَرَّ قطّ لِغَيْرِ لَيْلَى ساجِداً
ولِغَيْرِ سُلْطانِ الهَوى لَمْ يَخْضَعِ
لَمْ يَشْدُ إِلَّا باسْمِها وجَمالِها وَبِغَيْرِ وَحْيِ ضَمِيرِهِ لَمْ يَصْدَعِ
كَمْ باتَ يَنْشُدُ في الدَّياجي طَيْفَها
وَيَبُثُّهُ الأَشْواقَ حَتَّى المَطْلَعِ
مُتَدَلِّهٍ يَبْكِي ويَلْثُمُ رَسْمَها وَيَضُمُّهُ لِفُؤادِهِ المُتَقَطِّعِ
وعَلى شَذا منديلها كَمْ سَكْرَةٍ لِفُؤادِهِ المُتَلَهِّفِ المُتَطَلِّعِ
فَمَتى يُحلُّ إِسارُها، ليحلَّ في تِلْكَ الرِّياضِ مَعَ الطُّيورِ السُّجَّعِ

* * *

ونلاحظ في هذه القصيدة بوضوح، شدّة حنقه على الذين نقموا عليه مجاهرته بآرائه المتطرّفة، كما نلاحظ فيها بعض الأسباب التي يراها المتعصبون خروجاً على التقاليد، وهي قصيدة قويّة في سبكها، متينة في أسلوبها، ليس فيها شيء من التكلف المفتعل، فنَفَسُه في هذه القصيدة واحد، لهذا أتت قطعة شعرية متماسكة. وهناك من الشعراء من نلاحظ عليهم التعب والتكلف في الإنشاد، كلما طالت القصيدة التي ينشدونها، ليصلوا بها إلى الغرض الشعري المطلوب، وهناك من يكون لديهم القوة والمتانة في القصيدة، فكلّما طالت أمامهم، اشتدّ

عزمهم، وقويت شاعريتهم، وتفتحت أبواب المعاني أمامهم، وحامت حولهم الآراء والأفكار، وتراكمت عليهم الكلمات الشعرية، فيسيرون في إنشاد القصيدة، بقوة ومتانة، إلى نهايتها، دون إجهاد أو تعب، لا شك أن هؤلاء الشعراء، هم شعراء الطليعة. . ولا نعيب الشاعر الذي لا تطول قصيدته الشعرية، واشتهر بقصر قصائده، وإنما نعيب الشاعر الذي يتكلَّف التطوير تكلُّفاً، ويلفِّقُ الأبيات تلفيقاً، ويأتي بالكلمات الضعيفة، لكي تطول قصيدته، التي تملُّ قراءتها وسماعها، وقد كانت تغنيه قصيدة قصيرة خالدة متماسكة، عن تلك القصيدة المطولة المتكلفة. وقد اشتهر كثير من الشعراء العرب بعدم إطنابهم وتطويلهم في القصيدة، كما اشتهر منهم كثيرون في التطويل، ولا عيب على الشاعر في طول النَّفَس، كما لا عيب عليه في قصره، لأنَّ لكل مزيته الخاصة، ونغمه الشعري الخاص، وإنما يعاب على الشاعر أن يتكلَّف الشعر تكلُّفاً، ويحاول أن يأتي به في غير وقته وساعته، سواء أكانت القصيدة طويلة أم قصيرة، فهناك من القصائد الطويلة ما تثير في النفس الرغبة والشوق إلى سماعها كاملة، لقوة حبكها، ولتسلسل أبياتها الرائعة، والقصائد المطولة التي تأتي من هذا النوع، نفضلها، بلا شك، كثيراً على القصائد القصيرة، كما أن هناك من القصائد القصيرة ما تأتي قوية رائعة، في سبكها، وفي أسلوبها، وفي معناها، وهذا هو الشعر الجيد الممتاز الذي اشتهر به شعراء العرب في مختلف عصورهم.

ونتنقل الآن إلى قصيدة أخرى لشاعرنا «فهد» في «الشكوى»، وهو يخاطب فيها الليل، الذي كثيراً ما كان يبثه همومه وأشجانه، وهي من قصائده المتازة. وعنوانها «أنا والليل»، ويتغنَّى فيها بالخمر أيضا التي اتخذها وسيلة لنسيان الهموم والأشجان، وفيها يقول:

صَهَرْتُ في قَدحِ الصَّهباءِ أحزاني
وَصُغْتُ مِنْ ذَوْبها شِعْري وأَلْحاني
وَبتُّ في غَلَسِ الظَّلْماءِ أُرْسِلُها
مِنْ غَورِ رُوحي، ومِنْ أعْماقِ وِجْداني

يا لَيْلُ ضاقَتْ بِشَكْوايَ الصُّدورُ، وما
ضاقَتْ بِغِلٍّ وأحْقادٍ وَأَضْغانِ

فَجِئْتُ أَشْكُو إِلَيْكَ المُرْجِفينَ وهُمْ،
لا دَرَّ دَرُّهُمُ، أَسْبابُ خذْلاني

يا لَيْلُ، والرُّوحُ عَطْشى، وهيَ هائِمَةٌ
هَلْ في المَجَرَّةِ مِنْ ريٍّ لِعَطْشانِ

يا لَيْلُ، والنَّفْسُ غَرْثى، وهيَ حائِرَةٌ
فَهَلْ بِنَجْمِكَ مِنْ زادٍ لِغَرْثانِ

يا لَيْلُ، والعَيْنُ سَهْرى، وهيَ دامِعَةٌ
فَهَلْ بِجُنْحِكَ مِنْ راثٍ لِسَهْرانِ

يا لَيْلُ، حَسْبي وصَدْرِي مِلْؤُهُ ضَرِمٌ
تِلْكَ البَقِيَّةُ فافْتَحْ صَدْرَكَ الحاني

فَكَمْ بِهِ لَمَسَتْ رُوحِي العَزاءَ وَقَدْ
أَوْدَعْتُهُ سِرَّ آلامي وأَشْجانِي

يا لَيْلُ أَيْنَ الكَرَى، بَلْ أَيْنَ طَيْفُهُمُ
فَكَمْ بِوادي الكَرَى، يا لَيْلُ، واساني

وَكَمْ هَفَتْ وَصَبَتْ نَفْسي إلى حُلُمٍ
مُجَنَّحٍ راقِصٍ في النُّورِ نَشْوانِ

حُلْمٌ يَرُفُّ على لألاءِ مَبْسِمِها
لَيْلاً، وَيَصْدُرُ صُبْحاً غَيْرَ صَدْيانِ

يا ساقيَ الخَمْرِ، لا شُلَّتْ يَداكَ، أَدِرْ
بِنْتَ النَّخيلِ، فَإِنَّ الصَّحْوَ أَضْناني

وانْضَحْ بِها كبداً نَهْبَ الجَوى، وَأَثِرْ
بِاللَّهِ غافِيَ إِحساسي وإيماني
فَكَمْ عَلى ضَوْئِها الفضّيِّ من صُوَرٍ
شَتَّى، تَجَلَّتْ لِعَيْنِي، ذات ألوانِ
وَرُحْتُ أَسْتَعْرِضُ الماضي، فَأَطْرَبَني
بِها، ومِنْ ثَمَّ أَشْجَاني وَأَبْكاني
حَتَّى سَكَبْتُ عَلى ذِكْراهُ أُغْنِيَةً
مِنْ وَحْيِ بُؤْسي، ومِنْ إِلْهامِ حِرْماني

❞ ❞ ❞

يا ساقيَ الخَمْرِ زِدْني، فالرُّؤَى هَتَفَتْ
بِي، وهْيَ سَكْرَى، وما أَغْمَضْتُ أَجْفاني
تَراقَصَ الحَبَبُ المِمْراحُ في قَدَحي
فَأَيْنَ أَيْنَ الكَرى مِنْ جفنِ سَكْرانِ؟!
يا جيرةَ البانِ حَيَّا الغَيْثُ رَوْضَكُمُ
وجَادَ وادِيكُمُ، يا جيرَةَ البانِ
واللَّهِ ما هَبَطَتْ لَيْلايَ دارَكُمُ
إِلَّا وَحَلَّتْ بها ما بَيْنَ إِخْواني
فَمَنْ بِأَحْضانِ ذاكَ الرَّوْضِ شاهَدَها
مُواسِياً غَيْرُ أَقْراني وخِلّاني؟
ومَنْ عَلى وَرْدِهِ المِعْطارِ نادَمَها
عَلى الطِّلا غَيْرُ سُمّارِي ونُدْماني؟
بِاللَّهِ هَلْ فُسِّرَتْ أَحْلامُ رَوْضِكُمُ
وهناً لأَنْسامِ آذارٍ ونَيْسانِ؟

وهَلْ شَجَا قَلْبَهَا نَوْحُ الحَمامِ بِهِ
فاسْتَعْبَرَتْ وَرَثَتْ لي بَعْدَ فقداني؟
وهَلْ أَنينُ سَواقيهِ وأَدْمُعُها
في الرَّوْضِ ذكَّرَها بالوَامِقِ العَاني؟
وهَل فَراشاتُهُ طَافَتْ بِوَجْنَتِها
وغازَلَتْ، وَهْيَ نَشْوَى وَرْدَها القاني؟
يا أَهْلَ لَيْلايَ، مُذْ شَطَّ المَزارُ بِكُمْ
لا الحَيُّ حَيِّي، ولا الجِيرانُ جِيراني
كَلَّا ولا الرّوحُ رُوحي مُذْ هَفَتْ وَصَبَتْ
لساكني الحَيِّ مِنْ غِيدٍ وَمُرْدانِ
نَزَحْتُمُ وَضَبابُ الشَّكِّ خَيَّمَ في
آفاقِ نَفْسي وَكَمْ بِالْكُفْرِ أَغْراني
لَوْلا بَقِيَّةُ إيمانٍ تَرُفُّ منى
قَلْبي عَلى ضَوئِها في لَيْلِ أَحْزاني
يا سَاكِني القَصْرِ دامَ السَّعْدُ مُبْتَسِماً
لَكُمْ، وَدُمْتُمْ، وَدَامَ النَّحْسُ للشّاني
إنْ يَجْحَدِ القَوْمُ والأَوْطانُ فَضْلَكُمُ
لا القَوْمُ قَوْمِي، ولا الأَوْطانُ أَوْطاني
لي بَيْنَ غزْلانِكُمْ ظَبْيٌ كَلِفْتُ بِهِ
ظَبْيٌ تَرَعْرَعَ في جَنّاتِ رُضْوانِ
واللَّهُ أَبْدَعَ في تَصْوِيرِهِ وَكَفى
أُعِيذُهُ بِكُمُ مِنْ كُلِّ شَيْطانِ

مـا أَنْ وَقَـفْـتُ عَـلَـيْـهـا مُـهْـجَـتـي وَدَمـي
حَـتَّـى قَـصَـرْتُ أَنـاشـيـدي وَأَوْزانـي
فَـيَـا إِلَـهَ الـهَـوى رِفْـقـاً بَـعـابِـدِهـا
فـالـقَـلْـبُ مـا نـالَ مِـنْ مَـعْـبُـودِهِ الـثـانـي
والـفِـكْـرُ، يـا أَهْـلَ لَـيْـلايَ، اسْـتَـقَـلَّ بـهـا
والـرُّوحُ، يـا مَـذْبَـحَ الـعُـشّـاقِ، قُـرْبـانـي
حُـبٌّ بَـرِيءٌ نَـمـا فـي خَـافِـقِـي وَسَـمـا
وهَـلْ يُـعَـمَّـرُ حُـبٌّ غَـيْـرُ رُوحـانـي؟!

إِنَّنا نحسُّ بحرارة هذه القصيدة، وبالشعور الدافق الذي دفعه إلى إنشادها، بعد ما قاساه من ويلات الأيام، وتتابع المصائب عليه، ونكاد نراه ينشدها ويناجي فيها الليل، وهو قابع في عقر داره، والأشجان تتراءى أمامه، ومن ورائها الأشباح المخيفة تتراقص، وتتبدّى في صور شتّى، فيروح في غيبوبة شعرية، يبثّ هذه الأبيات شجونه المتراكمة المتزايدة، ويبدي فيها شكواه من العيش النكد، والحياة القاسية، فهو بلا شك شاعر، ليس لديه إلَّا الشعر يخفف به أوصابه، ويصوّر فيه حنينه إلى التي طالما شاطرها هذه الأوصاب.
إقرأ هذين البيتين، وردد قراءتهما لتدرك شدة آلامه وأحزانه:

صَـهَـرْتُ فـي قَـدَحِ الـصَّـهْـبـاءِ أَحْـزانـي
وصُـغْـتُ مـن ذوبـهـا شِـعْـري وألـحـاني
وَرُحْـتُ فـي غَـلَـسِ الـظَّـلْـمـاءِ أُرْسِـلُـهـا
من غورِ رُوحي، ومِنْ أعماقِ وجْداني

فهوَ هنا يصوّر كيف صهر في الصَّهباء أحزانه وآلامه، ثم أخذ يصوغ من هذه الصهباء، التي صهر فيها همومه، شعره وألحانه الشعرية الباكية، ويرسل هذه النفثات الشعرية من عميق روحه، ومن أغوار وجدانه الذي

أرهقه التعب، وأضناه الألم، وهو هنا يصوّر به أمانيه وآماله نحو ليلاه التي أبعدتها عنه الأيام، وأصبح وحيداً حزيناً، يعاني ما يعاني من وقع هذه الوحدة التي أذاقته كؤوس العذاب المترعة، وكيف أخذ في المزيد من ابنة الصهباء التي ينسى بها هذا العذاب، علّه يحسّ بشيء من الراحة الروحية، ويغيب ولو لحظة عن هذا العالم الواقعي:

يا ساقيَ الخَمْرِ زِدْني، فالرُّؤى هَتَفَتْ

بي، وَهْيَ سَكْرى، وما أَغْمَضْتُ أَجْفاني

وهكذا ينشد هذه القصيدة الشاكية الباكية، التي انتزعها انتزاعا من روحه الشاعرة، وقد جنحها الخيال إلى عالم الرؤى والأماني العذبة.

* * *

وإليك أغنية شاكية باكية من أغانيه في الشكوى أيضاً، وقد ناجى بها «خليج العرب». وقد كان كثيراً ما يقضي الليالي في أيام الصيف على ضفافه، حيث افتراش الرمال الناعمة البيضاء، وحيث وشوشة الأمواج، وهي تداعب الشاطىء، وحيث الهدوء الشامل، والسكون التام. ومن عادة كثير من الكويتيين، أثناء الصيف، أن يقضوا الليالي على رمال شاطىء الخليج يتسامرون، ويمرحون ويلعبون. وشواطىء الكويت ممتازة بجمالها وهدوئها، لهذا تراها مرتعاً خصباً في ليالي الصيف الجميلة للكويتيين، يرودونها جماعات جماعات، ويقضون فيها أجمل الليالي، وما أكثر ما تحمله تلك الرمال الشاطئية من ذكريات حلوة، وما أكثر ما تعرفه من أسرار الأحبة، فعليها التقى المحبّون بأحبابهم، وعليها أنس الصحاب بأصحابهم، وعليها رفرف كثير من الأحلام والأماني، وعليها حامت المناجاة، وبث الهوى، وكم شهدت من شعراء محبين، وأدباء وجدوا عليها سلوتهم. وشاعرنا «فهد» يناجي هذه الضفاف الجميلة التي تؤتمن

على السر، ولا ينال منها الوشاة ولا اللاهون منالاً. وعنوان هذه القصيدة (يا ضفاف الخليج): وقد نضمها عام ١٩٤١م:

هاتِ يا ساقِ هاتِ بِنْتَ النَّخيلِ فَعَساها تَشْفي عَسَاها غَليلي
هاتِ كَأْسي، فيمَ التَّرَدُّدُ، واشْرَبْ فَهْيَ حَسْبي في محنَتِي وَوَكيلي
هاتِها عَلَّني أَذَوِّبُ أتْراحيَ فيها، وَدَعْ هُراءَ العَذولِ
واتْرُكِ العُودَ واسْقِنيها على نَوْحِ فُؤادي، خِدْنِ الضَّنَى، وعَويلي
جاءَ تَحْرِيمُها، وَلَيْسَ عَلَيْنا بَلْ على كُلِّ سافِلٍ وَجَهُولِ
فَبِصَدْرِ المَكْرُوبِ نارٌ تلظَّى أَوْقَدَتْها الأَشْجانُ عِنْدَ الرَّحيلِ
يا خَليلي، كَيْفَ السَّبيلُ إلى الصَّبْرِ أَجِبْني باللَّهِ، هَلْ مِنْ سَبيلِ؟
يا خَليلي، أَيْنَ المواسُونَ؟ سَائِلْ شاطِىءَ البَحْرِ عَنْهُمُ، يا خَليلي
هَلْ سَلَوْا أَمْ قَضَوْا غَراماً؟ فَإني لَمْ أَجِدْ بَعْدَهُمْ فَتىً يَرْثي لي
يا حَبيبي، هَيْهاتَ يَنْدَمِلُ الجُرْحُ وَدائي اسْتَشْرى فَمَنْ للعَلِيلِ
وَشُكوكي عاثَتْ بِصَدْري فَسَاداً ويَقِيني وَيْلاهُ غَيْرُ كَفيلي
آهِ يا مَنْهَلَ الفُؤادِ لَقَدْ ضاقَ نِطاقي، وَبُتُّ كالمَخْبولِ
لا نَشيدُ الأَمْواجِ رَفَّهَ عَنْ نَفْسي وَلَم تَشْفِها كُؤُوسُ الشَّمولِ
ونَسيمُ المَساءِ أَمْسى شُواظاً مِنْ زَفيري، وَباتَ غَيْرَ بَليلِ

❖ ❖ ❖

يا ضِفافَ الخَليجِ أَخْمَدْتَ إِحْساسي، وماذا تَجْني وَراءَ خُمولي؟
غَيْرَ حَرْقِ البخُورِ في كلِّ آنِ وَضُروبِ التَّزْميرِ والتَّطْبيلِ
فاطْغَ يا بَحْرُ آنَ أَنْ تَطْغى واغْمُرْ كُلّ ربعٍ مِنَ الرُّبوعِ مَحيلِ
وانْعَقِي يا بُومُ انْعَقي لا تَخافي وانْعَبي يا غُرْبانُ فَوْقَ الطّلولِ
واصْرَخي يا جنوبُ في كُلِّ وَجْهِ كالحٍ، واعْصِفي بِجفْنِ الدَّخيلِ
وَقِفي يا شَمْسَ الهَجيرِ وَصُبّيهِ لُعاباً يَغْلِي بِبَطْنِ الأَكولِ
واخْرُجي يا أَشْباحُ في غَيْهَبِ الغيِّ، وطُوفي بِطُغْمَةِ التَّدْجيلِ

وارقُصِي وانْفُثِيهِ سُمّاً زُعافاً يا أفاعي الخَنا بِكُلِّ رَذيلِ
وانْهَشي يا عَقارِبَ الحِقْدِ مِنْ خَصْمي بقايا فُؤادِهِ المَأْكُولِ
والْفُظِ الرّوحَ يا فَقيرُ ولا لَوْمَ عَلى مَذْبَحِ المُرابي الكَسُولِ
وانْثُرِ الشَّوْكَ أَيُّها الأرقُ المُرُّ عَلى مَضْجَعِ الدّعيّ الملولِ
واغْسِلِ النَّفْسَ أيُّها الخائِنُ النّادِمُ بالدَّمْعِ، فهوَ خَيْرُ غَسولِ
والْطُمي الصَّدْرَ يا ابْنَةَ الطّهْرِ وَابْكِيهِ، فلِلَّهِ قَلْبُ كُلِّ ثَكُولِ
ياضِفافَ الخَليجِ حَطَّمْتَ آمالي وأثْقَلْتَ كَاهِلَ المَسْؤولِ
أَنْتَ يا مَسْرَحَ الأسى والرَّزايا وَصُنوفَ العَذابِ والتَّنْكِيلِ
ضِقْتَ بي والجَناحُ منّي مَهِيضٌ يا لَحُزْني وَحَيْرَتي وَذُهولي
لَمْ يَطِبْ لي لَوْلا الحَبيبُ مُقامٌ بِكَ، يا سِجْنَ كُلِّ حُرّ نبيلِ
فَحَياتي رِوَايَةٌ ذاتُ فَصْلٍ واحِدٍ فيكَ، وهْيَ ذاتُ فُصولِ
أَنا مَثَّلْتُها على مَسْرَحِ الحِرْمانِ والبُؤْسِ، وانْتَهى تَمْثيلي
وَبِقَلْبي دَاءٌ، وفي النَّفْسِ ما فيها، وَعاثَ الضَّنَى بِجِسْمي النَّحيلِ
وبِصَدْري سِرٌّ دَفِينٌ، فَوَا خَوْفي عَلَيْهِ مِنْ قَلْبِيَ المَتْبُولِ
آهِ مَنْ لي وَلَوْ بِبَعْضِ التَّأَسّي أَنا إِنْ لَمْ أَمُتْ فَبَعْدَ قَليلِ
احْفروا لِي قَبْراً عَلى شاطِىءِ البَحْرِ، سَميري في وَحْدَتي، وَمُقيلي
لَمْ تَطِبْ لي دُنْيا الشّقاءِ فَولَهْـ ـفي وَشَوْقي لِلْعالَمِ المَجْهولِ

* * *

يا ضِفافَ الخَليجِ شَرَّدْتَ أَحْلامي فَدَعْ لي عَواطِفي وَمُيولي
إِنَّ لِيَ فيكَ، والمَحَبَّةُ قَيْدٌ، أَغْيَداً ذا خَلْقٍ وَخُلْقٍ نَبيلِ
وَجَبِينٍ زاهٍ وَقَدٍّ رَشيقٍ وعُيونٍ نَشْوى وَخَدٍّ أَسيلِ
ومُحَيّاً كالبَدْرِ شَعَّ سَنَاهُ أَوْ كَشَمْسِ الرَّبيعِ عِنْدَ الأُفُولِ
وطِباعٍ أَرَقَّ مِنْ بَسْمَةِ الفَجْرِ وَرُوحٍ أَنْقى مِنَ السَّلْسَبيلِ
ودَلالٍ أَلَذَّ مِنْ حُلمِ العَذْراءِ في فَجْرِ حُبِّها المَعْسُولِ

طَرَقَ القَلْبَ حُبُّهُ، وهوَ إذْ ذاكَ غَريرٌ، فَنَالَ حُسْنَ القُبولِ
فَتَكَتَّمْتُ يَوْمَ ذاكَ، ولَمْ يَحْمِلْ فُؤادٌ كعبْءِ حُبّي الثَّقيلِ
وكَتَمْتُ الأَحْلامَ في الحُبِّ عَنْهُ يَوْمَ كُنّا مَخافَةَ التَّأْويلِ
ومَضَتْ يا لتعْسِ حَظّي سنونٌ وغَنِيٌّ حالي عن التَّفْصيلِ
وانْطَوَتْ شُقَّةُ النّوى، والْتَقَيْنا بَعْدَ لأيٍ وبَعْدَ قالٍ وقِيلِ
فَسَفَحْتُ الدُّمُوعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وهوَ في شبْهِ حيرةِ المَذْهُولِ
يَنْكُتُ الرَّمْلَ مُطْرِقاً، وأنَا أشْكُو إلَيْهِ آلامَ دَائِي الوَبِيلِ
آهِ لَوْ كانَ ريقُهُ السَّلْسَلُ المَعْسُولُ دَمْعي، وشَعْرُهُ مَنْديلي
آهِ مَا أَعْطَشَ الفُؤادَ إلى دَمْعَةِ عَطْفٍ مِنْ جَفْنِهِ المَكْحُولِ
يا لَمرآى الدّموعِ، وهيَ بَناتُ الشّعْرِ في مُقْلَةِ الحَيِيِّ الخَجُولِ
فَخَرَجْنا مِنْ صَمْتِنا واعْتَنَقْنا وأَخَذْنا بالضَّمِّ والتَّقْبيلِ
وشَرِبْنا بِنْتَ النَّخيلِ، وَما أَعْذَبَها، في ظلِّ الوصالِ الظَّليلِ
فَسَكِرْنا، فرُحْتُ أُنْشِدُ شِعْراً، وَهْوَ يُصْغي لِشِعْرِيَ المَعْسُولِ

***

لَيْلَةٌ ذِكْرياتُها مِلْءُ ذِهْني وَهيَ في ظُلْمَةِ الأَسى قنْديلي
لَيْلَةٌ لا كَلَيْلَةِ القَدْرِ بَلْ خَيْرٌ وخَيْرٌ واللّهِ مِنْ أَلْفِ جيلِ
أَنا دِيني الهَوى ودَمْعي نَبيّي حينَ أَصْبُو، وَوَحْيُهُ إنْجيلي
رُبَّ صَمْتٍ يا صَاحِ أَوْقَعُ، بَلْ أَبْلَغُ، في سِحْرِهِ مِنَ التَّنْزيلِ
ودُمُوعُ العُشّاقِ فَيْضٌ مِنَ الخُلْدِ، وَشِعْرٌ يُزْري بِشِعْرِ الفُحُولِ
وتناغي الأحبابِ في رَوْضَةِ الوَصْلِ هَديلٌ يغري ولا كالهَدِيلِ
وخُفُوقُ القُلوبِ ضَرْبٌ مِنَ التَّسبيحِ عِنْدَ اللِّقاءِ والتَّهْليلِ
يا عَرُوسَ الإلْهام مَوْعِدُكِ الشّاطئُ مَأْوَى العُشّاقِ عِنْدَ الأَصيلِ
فَإلى المُلْتَقى هُناكَ، وَهَاتِ الشِّعْرَ مِنْ وَحْيِ دَمْعِيَ المَطْلُولِ
وَزَفيري على المنى وَشَهيقي وَهْيَ صَرْعى على يَقيني القَتيلِ

وصُراخُ الأَشجانِ في مُهْجَةِ النَّفْسِ وَصَمْتُ الأَسى المُمِضّ الطَّويلِ
ونَواحُ الآمالِ في غَمْرَةِ اليَأْسِ وَجَهْشُ المُعَذَّبِ المَخْذُولِ
نَفِّسي عَنْ مُعَذَّبِ الصَّدْر حُبّاً لِيَعُودَ الكَرى لِجَفْني الكَليلِ
فالمنى والرُّؤى وحلْمُ الصّبا وهْـ ـمٌ ولا عَاشَ كُلُّ صَبٍّ بخيلِ

* * *

ونحن نلاحظ في هذه القصيدة، اضطراب الشاعر وقلقه، ويأسه من الحياة المظلمة التي يحياها، وأمنيته التي طالما ردَّدها في كثير من أشعاره، وهي الانطلاق من أسر الحياة، والتخلّص مما يعانيه من ضيق وقلق واضطراب، فهي أشبه بهذيان المحموم، الذي ينطق دون وعي أو تفكير، من شدّة آلام المرض.

* * *

و«ليلة في بيت الجارة» من القصائد التي نعدّها في الشكوى من الحياة، والتبرُّم من العيش، وقد ناجى بها ابنة الجار، أو بنت أحلامه، وملهمته الشعر، وَلْنَقْرَأْ هذه القصيدة التي نرى أنها من قصائده المشجية المؤثرة:

بِكِ، بالشَّوْقِ، بالضَّنى يا جَارهْ أَسْعِفيني بالكَأْسِ والسّيجارَهْ
يا ابْنَةَ الجَارِ، أَرْمَضَ الصَّحْوُ قَلْبي وشَجَا خاطِري وَشَقَّ المَرارَهْ
أَخْرِجيني مِنَ الظَّلام إِلى النُّورِ، وَفَرْضٌ أَنْ يُسْعِفَ الجَارُ جَارَهْ
يا عَرُوسَ الأَحْلامِ، باللَّهِ هاتي وَخُذِي. وَلْنَفُضَّ هذي البَكارَهْ

* * *

أَشْعِلي تِلْكَ تَارَةً، واتْرَعي من خَمْرَةِ الرّافِدَيْنِ هاتيكَ تَارَهْ
وَدَعيني ما بَيْنَ سيجارتي والكَأْسِ أَبكي الصِّبا، وآخُذُ ثارَهْ
خَفِّفِي العَتْبَ، أَوْصِدي البابَ، قُومي، واطْمَئِنِّي، فالشَّيْخُ غادَرَ دَارَهْ
لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكِ مِنْ أُمِّكِ السّوءَ، فَكَمْ رَحَّبَتْ بِهَذِي الزّيارَهْ
يا ابْنَةَ الشَّيْخِ، يا مُنَى النَّفْسِ، يا رَيحانَةَ الحَيِّ، أَوْقَدَ الشَّوْقُ نَارَهْ

إنْقَعِي غُلَّتي فَبَيْنَ ضُلُوعي خافِقٌ شَفَّهُ الصَّدى لا حِجَارَهْ
واخْرُجي بي مِنْ عَالَمِ الإفْكِ والبُهْتانِ والبَغْيِ والخَنا والدَّعارَهْ
لِسَماءِ الرُّؤى وشَتَّى الأماني فَبَناتُ القَريضِ رَهْنُ الإشارَهْ
حَيْثُ يَحْلُو الهَوى، ويَسْكُبُ فَجْرُ الحُبِّ في كُلِّ خافِقٍ أنْوارَهْ
عانِقيني، وأَطْفِئي غُلَّةَ الرُّوحِ، فَجِسْمي بَرَاهُ مَا في القَرَارَهْ
وضَعِي ثَغْرَكِ الشَّنيبَ على ثَغْري وَهَاتي صَهْبَاءَهُ بِحَرارَهْ
أَسْقنيها على وَجيبِ فُؤَادَيْنا، فقَدْ أَسْدَلَ الدُّجى أَسْتَارَهْ
واصْهَري كُلَّ ما يَجيشُ بِصَدْري مِنْ شُعُورٍ هَضْمُ الحُقوقِ أثَارَهْ
يا ابْنَةَ الجَارِ، يا مُنى النَّفْسِ، لا تَأْسَيْ إذا ما الواشي أثارَ غُبارَهْ
ذَابَ قَلْبي أَوْ كَادَ، يا رَبَّةَ الحُسْنِ، خُذِيهِ واسْتَطْلِعي أَسْرَارَهْ

* * *

يا فَتاتي باللَّهِ عَفْواً إذا ما رُحْتُ أَشْكُو إِلَيْكِ فَوْضى الإدَارَهْ
سائِلي الحَيَّ، لا عَدِمْتُكِ، عَنْ عبْدَانِهِ حينَ ضَايَقُوا أحْرارَهْ
سائِليهِ عَن الفَقِيرِ لَهُ اللَّهُ وَكَمْ باتَ يَشْتَكي تُجَّارَهْ
وسَلِيهِ عَنْ كُلِّ نَدْبٍ غَيُورٍ حينَ وَلَّى وَمَا قَضَى أَوْطارَهْ
الأفاعي في أفقهِ تَنْفثُ السُّمَّ وقَدْ أَخْرَسَ الفَحيحُ هزارَهْ
كَمْ مَلاكٍ أَمْسى فَأَصْبَحَ شَيْطاناً رَجيماً، مُذْ سَمَّمَتْ أفْكارَهْ
أَيْنَ مِنْهُ أَقْمارُهُ لَهْفَ نَفْسِي غَيَّبَ الدَّهْرُ وَيْحَهُ أقْمارَهْ
أَيْنَ مِنْهُ الكُؤُوسُ وَاحَرَّ قَلْبي الحُمَيّا كَمْ ضَاحَكَتْ أَسْحَارَهْ
أَيْنَ مِنْهُ سُمّارُهُ والنَّدامى والدّراري كَمْ رَاقَصَتْ أَسْمَارَهْ
سائِلِيهِ وَحَدِّثي الشّاعِرَ المَنْكُودَ عَنْهُ، وَسَجِّلي اسْتِنْكارَهْ
وارْفَعي شَكْواهُ إلى اللَّهِ وَهْناً وأَذِيعي، لا تَكْتُمي أَخْبارَهْ

* * *

يا فَتاتي، رُحْماكِ، قَدْ يَمَّمَ الدّارَ أَسِيرُ الأَسى، فَحلّي إسَارَهْ

كَيْفَ أَشْدُو، والْوَضْعُ حَطَّمَ عُودي والأَراجِيفُ قَطَّعَتْ أَوْتارَهْ
وَرِياحُ الحِرْمانِ هَبَّتْ عَلى رَوْضِ شَبابي، وَصَوَّحَتْ أَزْهارَهْ
وخَرِيفُ الحَياةِ أَخْرَسَ، لَمّا صَرَخَتْ بي شُجُونُهُ، أَطْيارَهْ
ما رَنِينُ الأَوْتارِ إِلّا صَدى إرْنانِ قَلْبي وَأَنَّةِ القِيثارَهْ
وقَصِيدي بَقِيَّةٌ مِنْ فُؤادٍ عَصَرَتْهُ الآلامُ فَهُوَ عُصارَهْ

❧ ❧ ❧

يا فَتاتي، رُحْماكِ، قَدْ يَمَّمَ الدّارَ أَسِيرُ الأَسى، فحلّي إسَارَهْ
كَمْ هَفَتْ رُوحُهُ إِلَيْكِ، وقَدْ جاءَ بِها لا بِنَفْسِهِ الأَمَّارَهْ
لَيْلُهُ حالِكُ السَّوادِ طويلٌ والشَّجا المُرُّ قَدْ أَحالَ نَهارَهْ
فاتْرُكيهِ حَتَّى الصَّباحِ صَريعاً وإِذا ما أَفاقَ داوي خمارَهْ
ما رَبِحْنا، يا وَضْعُ، قَطُّ ولَكنْ حَسْبُنا لو أَشْفَقْتَ تلكَ الخَسَارَهْ

❧ ❧ ❧

وهي قصيدة تختلط الشّكوى فيها بالحبّ، والألم بالأمل والنّور بالظلام، وهي من أشجى الشعر وأبعثه على الحزن والبكاء.. و«فهد» كثيراً ما يحمل سامع شعره على الحزن واللوعة والأسى والأنين، لأنه ينطق عن عاطفة صادقة، وينظم الشعر بقلب جريح، ويقصّ في قصائده العذاب ذكرياته الحزينة الباكية، التي اشتملت عليها حياته، والتاع منها فؤاده، واحتواها قلبه في حزن وألم عميقين، ونحن لا نثني عليه، وإنَّما نروي الحقيقة، دارسين لمظاهره الشاعرية، وألوانها، وصورها، وهو الذي عاش في وطنه غريبا، ومات بعد أن ترك ما ترك من هذا التراث الغني الرفيع، الذي تذوب له القلوب، وترق عند سماعه المشاعر، وتهتز العاطفة.

❧ ❧ ❧

وآخر قصيدة نرويها للشاعر في هذا الباب، هي القصيدة التي كان المرحوم قد أنشدها قبل أن يستجيب للقدر، وقبل أن يغمض الموت

جفونه، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ويودّع هذه الحياة وينطلق من إساره إلى عالم الغيب، وقد رفع هذه القصيدة إلى صديقه الشاعر «عبدالمنعم العجيل»، الذي شطّرها تشطيراً لا تكادُ تُحس به، حيث انسجم التشطير مع الأبيات الأصلية انسجاماً غريبا، جعلها قطعة شعرية واحدة، وهذا يرجع، كما نعتقد، إلى تأثر الأستاذ عبدالمنعم بهذه الأبيات التي لامست روحه، وهيّجت في قلبه بعض الآلام، ومست فيه وتراً حساساً دفعه إلى هذا التشطير، وقد نشرت هذه الأبيات مع التشطير في مجلة «صوت البحرين» الغرّاء بعنوان «أوقديها»، وإن الأشطر التي بين قوسين هي للشاعر عبدالمنعم العجيل.

أَوْقِديها وَذَريها في حَشَايا ... «تَحْرقُ القَلْبَ وَتَجْتاحُ الحَنايا»
«أَوقِديها نَارَ شَوْقٍ جَامِحٍ» ... نارَ حِرْمانٍ تَلَظّى يا مُنايا
مَرْحَباً بالهمّ، بالأَوْجاعِ، في ... «ساعةٍ تَغْمُرُها ذِكرى هَوايا»
«مَرْحَباً بالآهِ والآلامِ في» ... صَادقِ الحُبِّ وأَهْلاً بالرَّزايا

* * *

أَوْقِديها لا تَقُولي حَسْبهُ ... «جورُ دُنْياهُ وإِجْحافُ بَنِيها»
«فَرَهينُ الوَجْدِ لا تُوهِنُهُ» ... قَسْوةُ الدُّنيا وما يَلْقاهُ فيها
وأَذَى النّاسِ وَأَوْصابُ الصَّدى ... «لا تُعِيريها اهْتِماماً وازْدَريها»
«لا تَقُولي إِنَّني أَخْشى الرَّدى» ... والتَّجَنِّي.. لا تَقُولي أَوْقِديها

* * *

أَوْقِديها يا ابْنَةَ النُّورِ فَقَدْ ... «خَبَتِ النّيرانُ نِيرانُ النّوى»
«أَسْعِدي اللّوّامَ أَشْقِيني، فها» ... كانَ ما شَاؤوا، وَزيديني جَوى
وَانْكأي بي كُلّ جُرْحٍ وَدَعِي ... «جُرْحَ قَلْبي، إنْ يَكُنْ عَنْكِ ارْعَوى»
«أَنا أَهْوى فِيكِ مَوْتي ناشِداً» ... كُلَّ آسٍ لي، يَرى المَوْتَ الدَّوَا

* * *

أَوْقِديها واصْهَري إِحْساسَ مَنْ ... «جَمَدَ الإِحْساسُ في أَغْوارِهِ»

«وهُـوَ يَـرْجُـوكِ مُـصِـرّاً وَلَـقَـدْ» أَشْـهَـدَ الـلَّـهَ عَـلـى إِصْـرارِهِ
لَـمْ يَـجِـدْ لِـلْـحُـبِّ فـي فِـرْدَوْسِـهِ «لَـذَّةً إِنْ عَـبَّ مِـنْ أَنْـهـارِهِ»
«لَمْ يَجِدْ، وهوَ الذي يَشْكو الصَّدى» نَـشْـوَةً مِـثْـلَ الَّـتـي فـي نـارِهِ

❀ ❀ ❀

أَوْقِـديـهـا إِنَّ أُفْـقـي غـائِـمٌ «وَغُـيـومُ الأُفْـقِ لا تَـقْـتُـلُـنـي»
«وَسِهامُ المَوْتِ طاشَتْ في الفَضَا» وَجَـنـاحـي لَـمْ يَـعُـدْ يَـحْـمِـلُـنـي
وابْـنُ جَـنْـبـي بـاتَ فـي مِـحْـرابِـهِ «خافقاً نَحْوَ الرّدى يُعْجِلُني»
«يَطْلُبُ الحَتْفَ الَّذي يَصْبُو لَهُ» خـاشِـعـاً مُـلْـتَـمِـسـاً يَـسْـأَلُـنـي

❀ ❀ ❀

أَوْقِـديـهـا عَـلَّـمـنـي أَهْـدي بَـهـا «قَلْبيَ الغارِقَ في لُجِّ العُبابْ»
«عَـلَّـمـني أُرْشِـدُ إِنْ أَوْقَـدْتُـهـا» ذلكَ الضَّائِعَ مِنِّي في الضَّبابْ
أَوْ عَسَى تُدْرِكُ فيها النَّفْسُ ما «تَـبْـتَـغـيـهِ مِـنْ أَمـانٍ وَرِغـابْ»
«أَوْ عَساها تَبْلُغُ القَصْدَ الذي» عَمِيَتْ عَنْهُ وَقَدْ يَعْمى الشَّبابْ

❀ ❀ ❀

أَوْقِـديـهـا رُبَّـمـا تُـلْـهِـمُـنـي «صادقَ الإلْهام والوَحْيِ الطَّلِيقْ»
«رُبَّـمـا يَـصْـهَـرُ قَـيْـدي حَـرَّهَـا» فأُناجيكِ وقَدْ يُوحي الحَرِيقْ
مُـودِعـاً فـي كُـلِّ لَـحْـنٍ دامـعٍ «مِنْ نَشيدي أَنَّةَ القَلْبِ الرَّقيقْ»
«أَنَّـةً تُـنْـسـيـكِ إِنْ أَرْسَـلْـتُـهـا» زَفْرَةَ الصّادي وغَصّاتِ الغَريقْ

❀ ❀ ❀

أَوْقِـديـهـا وَاتْـرُكِـيـنـي وَاجِـمـاً «رامِـيـاً بـالـنَّـارِ أَطْـيـافَ صِـبـايـا»
«وانْدُبي عَهْداً مَضى كُنْتُ بِه» حـائِـراً أَسْـأَلُ أَشْـبَـاحَ الـعَـشـايـا
وإذا مَـا خَـبَـتِ الـنَّـارُ غَـداً «ومـن الآمـالِ أَدْرَكْـتُ مُـنـايـا»
«وإذا مـا أَسْـدَلَـتْ أَسْـتـارَهـا» وانْتَهى الدَّوْرُ، اذْكُري أَولى الضَّحايا

❀ ❀ ❀

وهذه آخر قصيدة قالها الشاعر، كما نعتقد قبل وفاته، فاختتم بها حياته الشعرية القصيرة، التي لو طالت به لرأينا منه ألوانًا مختلفة من الشعر، وروائع متباينة من القصيد، وهي قصيدة من قصائده التي كان ينتزعها انتزاعًا من عميق قلبه، أو «من غور خافقه الطعين».

وهذه قصيدة من روائع قصائده بعنوان «هاتي الدَّواء وكحِّلي بصري»، وجدتها في أوراقي الخاصَّة القديمة بعد الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكنتُ قد كتبتها منه شخصيًّا أثناء إحدى زياراتي له في بيتهم الواقع في سكة (عنزة)، وهو في هذه القصيدة الرائعة، يحاول أن يعبّر عن أحاسيسه المرهفة نحو المجتمع الذي يعيش فيه، ويصوّر المتناقضات العجيبة التي تعجّ به، والمفارقات المضحكة المبكية، ويتهكَّم فيها على الأوضاع المقلوبة التي يشاهد، والتي تثير في النفس السخرية، ولا نريد أن نسترسل في وصف هذه القصيدة التي نحسبها من عيون قصائده، وإنما نريد أن نترك المجال للقارىء، ليتملّى الصّور الشعرية فيها والجمال الفني، والمعاني التي يرمي إليها الشاعر. وقد سبق أن نشرنا هذه القصيدة في مجلة «الطليعة» الكويتية.

❁ ❁ ❁

هـاتي الدواء وكحِّلي بصري

يا مَيُّ نابَ السَّمْعُ عَنْ بَصري ... في اللَّيْلَةِ السَّوْداءِ مِنْ صَفَر
ذَهَبَتْ، فلا رَجَعَتْ مُخَلِّفَةً ... في غورِ روحي أَسْوَأَ الأَثَرِ
ماذا أَقُولُ، وإِنْ شَكَوْتُ فَمِنْ ... جَوْرِ القَضاءِ وقَسْوَةِ القَدَرِ
الصَّدْرُ مُنْقَبِضٌ، ولا عَجَبٌ ... والنَّفْسُ نَهْبُ الهَمِّ والضَّجَرِ
وأَقامَ أَحْزاني، وأَقْعَدَها ... في جانِحَيَّ تَرَنُّمُ الوَتَرِ
والكَأْسُ في يمْنايَ تَنْظرني ... شَزْراً، فَأَشْرَبُها على حَذرِ
وأَرَقْتُها كُرْهاً على جَزَعٍ ... فَوْقَ الرِّمالِ، وبِتُّ في سَقرِ
والصَّحْبُ رَاحُوا حينَما شَرِبُوا ... يَتَبادَلونَ طَرائِفَ السَّمَرِ
نِعْمَ النَّدامَى، لا عَدِمْتُهُمُ ... يَتَأَلَّقُونَ كَأَنْجُمِ السَّحَرِ

* * *

يا مَيُّ، والأَحْلامُ شَارِدَةٌ ... رُحْماكِ، رُدِّيها لِمُفْتَقِرِ
يا مَيُّ، والأَيّامُ عابِسَةٌ ... بِاللَّهِ غَنِّي وارْقُصي وَذَري
يا مَيُّ، والأَقْدارُ ساخِرَةٌ ... مِنّا، وَلَمْ نَسْخَرْ، وَلَمْ نَثُرِ
قُومي لِنَسْخَرَ مِثْلَما سَخِرَتْ ... مِنْ كُلِّ مُدَّخِرٍ وَمُحْتَكِرِ

* * *

ما لي أُحَيِّي الشَّمْسَ مُغْتَبِطاً ... عِنْدَ الغُروبِ بِأَرْوَعِ السُّوَرِ؟!
ما لي أُوَدِّعُها إذا طَلَعَتْ ... بِمَدامِعي وَأَعُودُ بالكَدَرِ؟!
ما لي أَرَى الغِرْبانَ طائِرَةً ... والصَّقْرُ دامي القَلْبِ لَمْ يَطِرِ؟!
ما لي أَرَى جاري يُكَفِّرُني ... وَيُقَدِّمُ القُرْبانَ لِلْحَجَرِ؟!
ما لي أَرَى العُرْيانَ، يَسْأَلُهُ ... عَنْ بَيْتِ لَيْلى كُلُّ مُؤْتَزِرٍ؟!
ما لي أَرَى المِسْكينَ يَلْهَثُ في ... هُوجِ الرِّياحِ وَهاطِلِ المَطَرِ؟!
ما لي أَرَى (شَمْعونَ) يَظْلِمُهُ ... وَيَبيتُ مُرْتاحاً على السُّرُرِ؟!
ما لي أَرَى «أَلْبيرَ» مُنْتَفِخاً ... وقَميصُهُ قَدْ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ؟!

ما لي أَرَى (ساسونَ) يَجْرَحُني وَيَقولُ لابْنَةِ عَمِّهِ اعْتَذِري؟!
ما لي أَرَى (حزْقيلَ) يَقْتُلُ مَنْ يَهْواهُ مِنْ أُنْثى ومِنْ ذَكَر؟!

* * *

قَدْ طالَ هَجْرُكَ يا ربيعُ فيا لِتَعاسَةِ الأَطْيارِ والزَّهَرِ
دُنْيا المهازِلِ والشُّذُوذِ غَدَتْ نارَ اللّيوثِ وَجَنَّةَ الحُمُرِ
مَنْ لي بِمِشْنَقَةٍ أَحُزُّ بها بَعْضَ الرِّقابِ وصارِمٍ ذَكَرِ؟
فَلَسَوْفَ يَنْفُخُ، يا لَخَيْبَتِهِمْ، بالصّورِ إِسْرافيلُ، فانْتَظِري

* * *

فَمُشَبّهو لَيْلى بِوالِدِها شَتّانَ بَيْنَ الفَحْمِ والدُّرَرِ
سَرَقَ ابْنُ آوى ديكَنا سَحَراً وَدَجاجُنا مِنْهُ عَلى خَطَرِ
والفَأْرُ يَشْرَبُ بَيْضَها طَرَباً أَبَداً، فيا لَتَبَلْبُلِ الفِكَرِ
إِنْ جُعْتَ يا صَيّادُ، وَيْحَكَ، لا تَتْعَبْ، وَخَلِّ الطَّيْرَ في الشَّجَرِ
وتَعالَ حَدِّثْنا، وَصَلِّ بِنا وَأْكُلْ كَغَيْرِكَ أَطْيَبَ الثَّمَرِ

* * *

لا تَحْسَبي يا مَيُّ أَنَّ يَدي مَغْلولَةٌ، غُلَّتْ يَدُ الأَشِرِ
فالحُرُّ مِنْ جَورِ الزَّمانِ هُنا وَهُناكَ بَيْنَ النّابِ والظُّفُرِ
حَسْناءُ، هَاكِ وَحَطِّمي قَدَحي فالكَأْسُ قَدْ دارَتْ عَلى البَقَرِ
لا تَعْجَبي مِمّا صدعْتُ بِهِ فالنّارُ لا تَخْلو مِنَ الشَّرَرِ
حَسْناءُ، والأَجْفانُ قَدْ ثَقُلَتْ هاتي الدَّواءَ، وَكَحِّلي بَصَري

* * *

الغـزل في شعـره

ﷺ الغزل فن من أروع فنون الشعر، وأرقِّها وألطفها، ولولا الغزل في الشعر لما وجدنا فيه ما نجده من طلاقة، ورقَّة، وعذوبة، وروعة. والغزل من أقوى وسائل الشاعر لامتلاك قلب المرأة التي يهواها، ويميل إليها، ويحنّ لها، فهو أبداً يردِّدُ شعره، ويتغنَّى به في جمالها وفتنتها وأنوثتها ودلالها، فطوراً هي الشمس الساطعة، والقمر الساحر، وطوراً هي الوردة المتفتحة، والغصن الرطيب، وهكذا لم يترك شيئاً من جمال الطبيعة إلَّا شبَّه المرأة به.

والغزل فن من فنون الشعر التي خلَّدته، وأضفت عليه ألوان السحر والفتنة والجمال، وربَّما كان الغزل أصل الشعر، وسبب تطوره، بل نعتقد أن الغزل هو الأصل في الشعر، لأنه ولد مع المرأة، وتطوَّر إلى أن وصل إلى هذا النوع من الغناء والبكاء معاً.

ولقد ضرب شاعرنا «فهد» شوطاً بعيداً في الغزل، لأن أكثر قصائده التي بين أيدينا، والتي كانت تروى لنا عنه هي في الغزل والتشبيب. وقد ناجى في أكثر قصائده، بنت أحلامه وأمانيه وبكى كثيراً لفراقها، والوحشة التي أصابته من جرّاء فقدها، وبُعدها عنه، وقد ألهبَ بُعدها عنه شعورَه، وأثار كامن حبّه، فراح يغني تارة، ويبكي تارات أخريات لهذا الحرمان الذي حال بينه وبين أمنية نفسه.. وتغنّى وبكى كثيراً، مردِّداً أبياته الشعرية في الغزل، حتى لتكاد تتكرر في ألفاظها وأسلوبها.. وقد مزج «فهد» غزله وشكواه، وحبّه وبغضه، فصاغ من كلّ ذلك قصائد مؤثرة غاية التأثير، فنجد له في

القصيدة الواحدة أبياتاً من الغزل، وأبياتاً من الشكوى، حسبما تقتضيه الظروف الطارئة، والحالة النفسية التي تحيط به.

ولهذا استحال علينا التوفيق في ترتيب قصائده في الأبواب المعروفة، من شكوى، وغزل، وهجاء، ومديح، ووصف.. لكننا حاولنا قدر الإمكان أن نختار بعضها في الشكوى، وبعضها في الغزل، وبعضها في المدح، وبعضها في الوصف وهكذا، وربَّما وجدنا أن بعض قصائده، في باب من الأبواب، تصلح لباب آخر. وهكذا أكثر قصائده، ذلك لأن الشاعر كانت حياته غريبة مضطربة قلقة، كما ذكرنا سابقا، لهذا أتت قصائده تمثّل حياته تمثيلاً صحيحاً وتصوّر نفسيته تصويراً دقيقاً، وما كان يتناوبها من موجات صاخبة.

وإذا ما علمنا أن الشاعر لم يتزوَّج في حياته، أدركنا سبب هذه الثورة في غزله، لأن الزواج، كما نرى، يخفِّف من حدَّة هذه الثورة، والذي زاد في ثورته حبه العميق، وعدم مقدرته المادية على تحمل تكاليف الزواج من ناحية، وعدم إمكان الزَّواج من التي يحبّها ويهواها من ناحية أخرى.

لهذا ظلَّ يتغنَّى بها، ويردّد ذكرها في شعره، ويستمدُّ من خياله الخصب ألواناً زاهية، وصوراً منمقة، يصوغها، ويزوقها، ويدخل عليها قصصاً ساحرة من اللقاء، والوصال، وتبادل الحب، والمناجاة، في جنح الظلام، وفي غفوة عيون الرقباء، وفي ساعة تراكم الغيوم المظلمة، وتساقط المطر، إلى غير ذلك من القصص الخيالية التي تشبه قصص ألف ليلة وليلة، كما نعتقد، فليهدّىء أولئك الذين يتّهمونه بالتعرُّض للناس، والمساس بهم، من روعهم، وليعلموا أن «فهداً العسكر» ما هو إلَّا شاعر، والشاعر كثيراً ما يستمدُّ شعره من وحي خياله الذي يحلِّق به، وينظم منه قصائده، التي يصور بها آلامه وأحزانه، وآماله وأمانيه.

ونحن نسوق هنا نخبة ممتازة من قصائده في الغزل، أثبتناها للتاريخ الأدبي في الكويت، لتكون دليلاً قاطعاً على قوة شاعرية الشاعر، ولتعطي، للأدباء الذين يحبُّون أن يطلعوا على حياة الشاعر، فكرة واضحة تامة عن حياته، وعن أحاسيسه ومشاعره.

فهذه قصيدته «اذكريني» التي أهداها بهذه الأبيات:

بما أوْدَعْتُه فيها ... إلى لَيْلايَ أُهْديها
إلى تِلْكَ التي في أضْلُعي قَلْبي يُناجيها
وتَرْشُفُ رُوحيَ العَطْشى ... رواها مِنْ مآقيها
وفي مَهْدِ الهَوى العُذْريّ ما فَتِئَتْ تُناغيها
وَأَحْلامي إذا ما عَرْبَدَتْ كَأْسي تُغَنِّيها
فهذا الشِّعْرُ أَلْهَمَنِيهِ ... حاضِرُها ومَاضيها

وبدأها بقوله:

إِذْكُريني كلّمَا هَبّ النّدامى ... لِتَحَسِّيها غَبوقاً، وَصَبوحْ
وإذا ما هَزّتِ الذّكْرى الحَماما ... فَغَدا في الدّوْحِ يَشْدو، وَيَنُوحْ
اِذكريني

* * *

إِذْكُريني كلَّما زَفَّ الشَّمُولْ ... ذاتُ دلٍّ وَدَلالٍ أو غُلامْ
وإذا ما اسْتَرْجَعَ الشَّرْبُ العُقولْ ... فَغَفَوْا، تكْلأُهُمْ عَيْنُ السّلامْ
اِذكريني

* * *

اِذكريني كلّما «آذارُ» وافى ... وارْتَمى سَكْرانَ ما بَيْنَ يَدَيْك
وإذا «نيسانُ» عَاطاكِ السّلافا ... وَحَنَا شَوْقاً وتَحْناناً إِلَيْك
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كـلّـمـا هَـامَ الـفَـرَاشْ   لارْتِشافِ الرّاحِ منْ ثَغْرِ الزّهورْ
وإذا ما هَـاجَـكِ الـشّـوْقُ وَجَـاشْ   صَارخاً في نَفْسِكِ الولْهى الشّعورْ
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كـلّـمَـا نـاغـى الـهَـزارْ   - ثَـمِلاً - أفْراخَهُ عنْدَ الشّروقْ
وإذا مـا هَـزَمَ الـلّـيْـلُ الـنّـهـارْ   واسْتَثارَ الوُرْقَ تَنْحابُ المشُوقْ
اِذكريني

* * *

اِذكريني كلَّما الشَّمْأَلُ هَبَّتْ   وَسَرَتْ يا زينَةَ الدّنْيا جَنُوبْ
وإذا ما صَحَتِ الطّيْرُ وَعَبَّتْ   خَمْرَةَ الفَجْرِ على نَفْحِ الطّيوبْ
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كـلَّـمـا الـنّـايُ تَـرَنَّـمْ   وهَفَا قَلْبٌ على قَرْعِ الكُؤوسْ
وإذا مـا شـاعِـرُ الـحَـيِّ تَـأَلَّـمْ   فَبَكى في الشَّجْنِ واسْتَبْكى النُّفوسْ
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كـلَّـمـا الـصَّـيْـفُ أَتـى   يَحْمِلُ البُشْرى لأَرْبابِ الغَرَامْ
فـالْـتَـقَـتْ كُـلّ فَـتـاةٍ وفَـتَـى   فَـإذا الـدُّنْـيـا سَـلامٌ وابْـتِـسَـامْ
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كـلَّـمـا نَـامَ الـسُّـكـارى   بَيْنَ أَحْضانِ الرِّمالِ النّاعِمَهْ
وإذا ما سَامَرَ الـمَـوْجُ الـسَّـهـارى   حَوْلَ هاتيكَ الصّخُورِ الجاثِمَهْ
اِذكريني

* * *

اِذكُـريـنـي كُـلَّـمـا لاحَ أخُـوكْ   فـي الـسَّـمـاءِ الـلاَّزَوَرْدِيَّـةِ لَـيْـلا

وإذا نـاجَـيْـتِـهِ - لا فُـضَّ فُـوكْ - في سُكونِ اللَّيْلِ - يا لَيْلى لِكَيْلا
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كُـلَّـما جَـاءَ الـخَـريـفْ نـاثِـراً مـا نَـظَـمَـتْ كَـفُّ الـرَّبـيـعْ
مـاحـيـاً كـلَّ أنـيـقٍ ولَـطِـيـفْ مـاسِـخـاً كُـلَّ جَـمـيـلٍ وبَـدِيـعْ
اِذكريني

* * *

اِذكـريـنـي كُـلَّـما حَـلَّـقْـتِ فَـجْـرا وانْتَشَتْ رُوحُكِ في دُنْيا الـخَـيالِ
اِذكـريـنـي يـا فَـتـاتـي (رُبَّ ذِكْـرى قَـرَّبَـتْ مَـنْ نَـزَحَـا) رَغْـمَ الـلّـيـالـي
اِذكريني

* * *

آهِ يـا حُـبُّ، وَلَـمْ أَشْـكُ مَـلالا فـاضَـت الـكَـأْسُ فَـرُحْـماكَ بِـحـالـي
قَـدَرٌ سَـلَّـطَـهُ الـلَّـهُ تَـعـالـى قَـطَـعَ الـيُـمْـنى، وَلَـمْ يَـتْرُكْ شِـمـالـي
اِذكريني

* * *

أَيّـهـذا الـلَّـيْـلُ والـصَّـمْـتُ الـرَّهِـيـبْ جَـدِّدِ الـلَّـوْعَـةَ في الْـقَـلْـبِ الـطَّـعِـينِ
أَيْـنَ قـيـثـاري وَكُـوبـي والـحَـبـيـبْ؟ وشُـمُـوعـي، وَنَـديـمـي، واحْـنـيـنـي
اِذكريني

* * *

يـا مَـلاهِـي الـصّـحْـبِ فـي تِـلْـكَ الـرِّمـالِ
أَنـا مُـذْ اقْـفَـرْتِ، فـي عَـيْـشٍ مَـريـرْ
أَنـا مَـوْتُـورٌ، ولَـكِـنْ مـا احْـتِـيـالـي
آهِ، وَاشَـوْقـي إلـى الـيَـوْمِ الأَخـيـرْ
اِذكريني

* * *

أَنـا إِنْ مِـتُّ، أَفـيـكُـمْ يـا شَـبـابْ
شـاعِـرٌ يَـرْثـي شَـبـابَ «الـعَـسْـكَـرِ»
بـائِـسـاً مِـثْـلـيَ عَـضَّـتْـهُ الـذِّئـابْ
فَـغَـدا مِـنْ هَـمِّـهِ فـي سَـقَـرِ
اِذكريني

❖ ❖ ❖

يـا رِفـاقـي، أَكْـؤُسُ الـصّـابِ الـمـريـرَهْ
أَجَّـجَـتْ نـارَ الأَسـى فـي أَضْـلُـعـي
فَـإِذا مـا انْـطَـلَـقَـتْ رُوحـي الأَسِـيـرَهْ
فـادْفـنـوا كُـوبـي، وقـيـثـاري، مَـعـي
اِذكريني

❖ ❖ ❖

فـاشْـهَـقـي يـا رُوحْ، وازْفِـرْ يـا سَـعِـيـرْ
واضْـطَـرِبْ يـا عَـقْـلُ، واشْـرُدْ يـا أَمَـلْ
وَاجْـرِ يـا دَمْـعُ، وأَقْـبِـلْ يـا نَـذِيـرْ
وابْـكِ يـا قَـلْـبُ، وأَسْـرِعْ يـا أَجَـلْ
اِذكريني

❖ ❖ ❖

واصْـرخِـي يـا ريـحُ، وانْـحَـبْ يـا وَتَـرْ
واعْـبـسـي يـا كـأسُ، واغْـرُبْ يـا قَـمَـرْ
وتَـعـالَـيْ وَدِّعـي قَـبْـلَ الـسَّـفَـرْ
بُـلْـبُـلاً قَـصَّ جَـنـاحَـيْـهِ الـقَـدَرْ
اِذكريني

❖ ❖ ❖

وقال في قصيدة غزلية أخرى، تتَّسِمُ بالعذوبة والرقَّة والجمال، وهي نمط جميل من الشعر القصصي الطريف، الذي سبق بابتداعه رائد الغزل القصصي، عمر بن أبي ربيعة:

وعرائس الإلهام دمع الغيد

قَبّلْ - فَدَيْتُكَ - مَبْسَمي، دَعْ جيدي ... وإلى اللِّقاءِ صَباحَ يَوْمِ العيدِ
لِمْ لا وَأَهْلي، وَيْحَ أَهْلي، بالغوا ... بِاللَّوْمِ والتَّعْنيفِ والتَّهْديدِ
لا تَقْتَرِبْ من دارِنا، هُمْ أَقْسَمُوا ... أَنْ يَقْطَعُوا، إنْ جِئْتَ، حَبْلَ وَريدي
يا لَيْتَ شِعْري هَلْ أَثارَ شُكُوكَهُمْ ... حَوْلي، قيامي بالدُّجى وقُعُودي
وتَأَفُّفِي، وتَلَهُّفِي، وتَبَرُّمي ... بِهِمُ، وَهَذا دَيْدَنُ المَفْؤُودِ
يا لَلْحَماقَةِ والرُّعُونَةِ فَرّقوا ... بَيْني وبَيْنَ الوامِقِ المَعْمُودِ
يا لَلتَّعاسَةِ، مَنْ يُواسِيني ويسليني بِأَيّامِ الفِراقِ السّودِ

* * *

أَكثيرةَ الشَّكْوى، حَنَانَيْكِ، اهْدَأي ... وتَرَفَّقي بالشّاعِرِ المَنْكُودِ
الصُّبْحُ لَمْ يُسْفِرْ، وَأَهْلُكِ نُوَّمٌ ... قُومي مَعي نَحْسُو المدامَ وعُودي
فَتَرَدَّدَتْ، وتَمَلْمَلَتْ، وتَنَهَّدَتْ ... وبَكَتْ، وطَوَّقَ سَاعِداها جِيدي
فَنَظَمْتُ مِنْ وَحْيِ الدُّموعِ قَصِيدَةً ... وعَرائِسُ الإِلْهامِ دَمْعُ الغِيدِ
وسَجَدْتُ إِجْلالاً وتَعْظِيماً لَها ... واسْتَعْبَرَتْ رُوحي، وَطالَ سُجُودي
فَتَأَوَّهَتْ، واسْتَسْلَمَتْ، واغْرَوْرَقَتْ ... عَيْنايَ رَغْمَ تَجَلُّدِي وصُمُودي
قالَتْ: هَلُمَّ إلى الشُّوَيْطىءِ، قُلْتُ: لا، ... فَهُناكَ كُلُّ مُفَنِّدٍ وَحَسُودِ
وهُنا الأَمانُ، وَهَا هُنا ما شِئْتِ مِنْ ... بِنْتِ النَّخيلِ أَوِ ابْنَةِ العُنْقُودِ
فَسَقَيْتُها، وَحَسَوْتُها مِنْ ثَغْرِها ... يا مَنْ حَساها مِنْ ثُغُورِ الخُودِ
بَيْضاءَ مِنْ خَمْرِ العِراقِ تُثيرُ رُوحَ العَزْمِ والإِقْدامِ بالرّعْدِيدِ
ما أَنْ أَقولُ لَها: خُذي مَعْبُودَتي ... إلّا وَقالَتْ: هاتِ يا مَعْبُودي

هاتِ اسْقِنِيها، لا تُعَكِّرْ صَفْوَها دَعْها بِلا مَزْجٍ ولا تَبْريدِ
دَعْهات لِتَخْرُجَ بي إلى دُنْيا المُنى مِنْ عالَم الأَطْماعِ والتَّنْكيدِ
واصْدَعْ بِنَشْوَتِها وَفَرْطِ سُرورِها شَمْلَ الضَّنى والهَمّ والتَّسْهيدِ
فضّيةٌ أَحْلامُها ذَهَبِيَّةٌ كَمْ رَفَّهَتْ عَنْ خاطِري المَكْدُودِ
ولَكَمْ أَثارَتْ غافِيَ الإِحساسِ بي وَكَمْ اعْتَرَفْتُ أَمامَها بِوُجُودِي
دَعْنا نَفُضُّ مَعاً بَكارَتَها على هَمْسِ الصّبا سَحَراً وَشَذْوِ العُودِ
أَشْجاكِ مُنْذُ هُنَيْهَةٍ نَوْحي، وأَشْجاني نُواحُكِ، فاسْمَعِي تَغْريدي
لم لا، وقَدْ دَبَّ الدَّبيبُ، وَحَلَّقَتْ رُوحي بِأُفْقٍ لِلْخَيالِ بَعيدِ

* * *

ومن روائعه في الغزل قصيدته «في الأحمدي»، وقد مزج الغزل فيها بأوصاف الرّاح، وقد كان «فهد» مجيداً في فن «الخمريات». وروائع الشاعر في الغزل والخمريات أعلى من أن توصف. . . قال:

في الأحمدي

بأبي وأمّي، مَن مَدَدْتُ لها يَدي بَعْدَ العِشاءِ مُصَافِحاً في «الأحمدي»
غَيْداءُ عَرَّجَ بي عَلَيْها أَغْيَدٌ في دَارِها. أَنْعِمْ بِذاكَ الأَغْيَدِ
لَبَّيْتُ داعيها وصافَحَ قَلْبَها قَبْلَ اللِّقا، قَلْبي، وقَبْلَ تَقَيّدي
ذُقْتُ الهوى، وكَأَنَّني ما ذُقْتُه حَتَّى دَخَلْتُ ولامَسَتْ يَدَها يَدِي
أَلَّفْتُ بَيْنَ جَمالِهِ وجَمالِها في لَيْلَةٍ أَدْمَتْ قُلوبَ الحُسَّدِ
قَدْ كانَ لِي رَأْيٌ فَلَمّا زُرْتُها أَيْقَنْتُ أَنَّ الحُسْنَ حُسْنُ الخُرَّدِ
أَكَذَا الهَوى وَمَذاقُهُ في فَجْرِهِ مَا كانَ أَحْلى الحُبّ عِنْدَ المَوْلِدِ

* * *

الآنَ طِبْ يا قَلْبُ وارْقُصْ في السَّما فَلَقَدْ سَقَتْكَ، وجَنَّحَتْكَ، وعَرْبِدِ
والآنَ يا رُوحي الحَبيسَةُ رَفْرِفي واسْتَلْهِميها في السَّماءِ، وأَوْرِدي

والآنَ يا نَفْسُ اطْمَئِنّي، واشْهَدي ... أَنْ لا حَبيبَ سِوى «فتوح»، وأَشْهِدي

* * *

إِنّي أَعُوذُ بِحُسْنِها وَبِقَلْبِها ... وَبِرُوحِها مِنْ كُلّ واشٍ مُفْسِدِ
وأَلُوذُ مِنْ كَيْدِ الحَسُودِ بِجَفْنِها ... وبِقَدِّها مِنْ شَرِّ كُلِّ مُفَنِّدِ

* * *

شَرْقِيَّةٌ تَسْبيكَ، لا غَربِيَّةٌ، ... بِجَمالِها المَوْهُوبِ، فاعْشَقْ، واقْتَدِ
مَلَكَتْ عَلَيَّ مَشاعِري بِحَديثِها ... وبِلُطْفِها وَذَكائِها المُتَوَقِّدِ
فَمَلاحَةٌ وسَمَاحَةٌ وصَراحَةٌ ... ورَجاحَةٌ بالعَقْلِ، فاشْكُرِ وَاحْمَدِ
دُنْيا مِنَ الأَشْذاءِ والأَضْواءِ في ... فُسْتانِها الزّاهي الرَّقِيقِ الأَسْوَدِ
أَيْنَ الغَزالةُ في الضُّحى مِنْ دَلِّها ... وبَهائِها، فاخْشَعْ، وكبِّرْ، واسْجُدِ؟!
أَيْنَ الزُّهُورُ، إذا الزُّهورُ تَفَتَّحَتْ ... عَنْ لُؤْلُؤٍ في طيبها وَزُمُرُّدِ؟!
أَيْنَ القَطا والْبَانُ، إِنْ هِيَ أَقْبَلَتْ ... بِتَمايُلٍ أَو أَدْبَرَتْ بِتَأَوُّدِ؟!
بِمُهَفْهَفٍ وبأَتْلَعٍ وبِناعِسٍ ... وبِأَشْقَرٍ ومُقَرْمَزٍ وَمُوَرَّدِ
أَيْنَ الأَسِنَّةُ والظُّبى مِنْ جَفْنِها ... ذَرْها تَصُولُ على القُلُوبِ، وتَعْتَدي؟!
وتُثِيرُ في أَغْوارِها مَيْتَ الهَوى ... لِتَعيشَ في نُورِ الإِلَهِ وتَهْتَدِي
ما قِيمَةُ الأَرْواحِ إِنْ لَمْ تَرْتَشِفْ ... خَمْرَ الغَرامِ، وتَحْتَرِقْ في المعْبَدِ
فَهُنا السُّمُوُّ، هُنَا النَّعيمُ، هُنَا المُنى ... وهُنَا السَّعادَةُ والخُلودُ السَّرمَدي

* * *

حَسْناءُ، إِنْ أَشْكُو الزَّمانَ فَإِنَّهُ ... حَرْبٌ عَلى الحُرِّ الأَبِيِّ الأَمْجَدِ
قَدْ أَوْصَدَ الأَبْوابَ في وَجْهي، فَكَمْ ... مِنْ مَأْرَبٍ لي لَمْ أَنَلْهُ وَمَقْصِدِ
والنَّحْسُ مُنْذُ طُفُولَتِي خِدْني، فَيا ... لَشَقاءِ مَوْتورِ الفُؤادِ المبْعَدِ

* * *

حَوْراءُ يا دُنْيا العَرائِسِ والرّؤى ... أنا في الكُوَيْتِ أَخُو الشَّقاءِ، فأَسْعِدي
اللَّه في ابنِ الأَرْضِ، يا بنت السَّما، ... قَدْ تاهَ في القَفْرِ المُخِيفِ، فَأَرْشِدي
قَضَّى ربيعَ العُمْرِ فيهِ مُعَذَّباً ... يَشْكُو أَذى الدُّنْيا وَجورَ الأَعْبُدِ
يَسْتَعْرِضُ الأَحْلامَ، وهيَ عَوابِسٌ ... طَوْراً، ويَهْتِفُ بالطّيوفِ الشُّرَّدِ

وَبِهِ كَبا عِنْدَ السّباقِ جَوَادُه ... يا لَلتَّعاسَةِ والعَذابِ المُقْعِدِ

ما راعَ مِثْلُ الشَّمْسِ تُكْسَفُ في الضُّحَى

والوَرْدُ يَسْقُطُ وهوَ فَوَّاحٌ نَدي

فَصِيلهِ يا دُنْيا الأماني واصْدَعي ... في قَلْبِهِ شَمْلَ الشّجونِ وبَدّدي

وبِحَقّ «مَرْيَمَ»، كَفْكِفي عَبَراتِهِ ... وَبِحَقّ «عيسى»، عَلِّليهِ، وَزَوّدي

* * *

قالَتْ وَقَدْ مَسَحَتْ دُموعي: لا تَنُحْ ... وَمَعي اغْتَبِقْ، يا عَنْدَليبُ وَغَرِّدِ

قَدْ قيلَ لي بالأَمْسِ إِنَّكَ شاعِرٌ ... فاشْرَبْ على نَخْبي. فَلَمْ أَتَرَدَّدِ

ماكانَ أَرْخَمَ صَوْتَها وَأَرَقَّهُ ... حينَ انْتَشَتْ، وشَدَتْ، وقالتْ: أَنْشِدِ

فَشَرِبْتُ ثانيَةً وثالِثَةً إلى ... سَبْعٍ. فَقالَتْ: خُذْ، وَزِدْ، وَبِيَ اقْتَدِ

أَنْشَدْتُها، والكَأْسُ في كَفّي، ولي ... قلبٌ يَحُومُ على مَراشِفِها صَدي

فَتَرَنَّحَتْ طَرَباً، وَكَمْ منْ كاعِبٍ ... طارَتْ بأَلْحاني، وكَمْ مِنْ أَمْرَدِ؟

* * *

فَإِذا بِثَالِثِنا يُفيقُ مُنَبِّهاً ... وَمُحَيِّياً بِصَبُوحِهِ صُبْحَ الغَدِ

فَتَنَهَّدَتْ لتَنَهُّدِي، وأَثارَ في ... أَعماقِها ما قَدْ أَثارَ تَنَهُّدِي

وَهُناكَ قُمْنا لِلْوَداعِ، ويا لَهَا ... مِنْ لَيْلَةٍ فيها صَفا لِيَ مَوْرِدي

مَرَّتْ مُرورَ الرّيحِ واشَوْقي لَها ... مَنْ مُسْعِفي؟ إنْ لَمْ تَعُدْ، مَنْ مُنْجدي؟

فَلِحُسْنِ حَظّي أَنَّني لَمْ أَنْصَرِفْ ... حَتَّى ظَفرْتُ بِقُبْلَةٍ وبِمَوْعِدِ

* * *

يا صاحِبي قَدْ كانَ ما شَاءَ الهَوى ... فإلى الكَنيسَةِ سِرْ بِنا لا المَسْجِدِ

إِنْ قِيلَ جُنَّ، فَإِنَّ عُذْري واضِحٌ ... أَوْ قِيلَ تَاهَ، ففي يَدَيْها مِقْوَدي

أو قِيلَ ضَلّ، فَلَسْتُ، قَبْلَ زيارتي ... وتَدَلّهي، بالزّاهِدِ المتَعَبِّدِ

* * *

يا مَعْشَرَ المُتَعَصّبِينَ رُوَيْدَكُمْ ... أَمِنَ الرّغامِ قُلوبُكُمْ والجَلْمَدِ

بِاللَّهِ هَلْ تُطْوى السَّماءُ إذا هفا؟ وَصَبا لِمشْرِكَةٍ فُؤادُ مُوَحِّدِ؟
فَالْيَوْمَ قادَتْ مَنْ تُحِبُّ لِدينها وغَداً يَعُودُ بِها لِدينِ «مُحَمَّدِ»

***

ومن قصائده في الغزل قصيدة «جلالة الملك المعظم»، ويقول فيها:

حَيِّ الصَّباحَ إذا تَبَسَّمْ وَصُغِ العُقُودَ إذا تَكَلَّمْ
واعْبُدْ بِمَمْلَكَةِ الجَمالِ جَلالَةَ المَلِكِ المُعَظَّم
فالحُسْنُ، حينَ يُصانُ، يُعْبَدُ فيهِ خالِقُهُ، ويُكْرَمْ
وإذا سَأَلْتَ، وَجادَ يَوْماً ما بِوَعْدٍ، أَوْ تَكَرَّمْ
فاسْتَقْبِلِ الدُّنْيا بِزِينَتِها ولا تُشْرِكْ، فَتَنْدَمْ
واسْتَوْحِهِ واسْتَلْهِمَنْهُ فَكَمْ وَكَمْ أَوْحى وَأَلْهَمْ
وإذا حَسَا الْكَأْسَ، ارْكَعَنَّ لَهُ، وبالأُخْرى تَقَدَّمْ
وإذا اسْتَزادَكَ زِدْهُ، واسْجُدْ واقْتَرِبْ، لا عاشَ مَنْ لَمْ
وَعَلَيْهِ صَلِّ إذا انْتَشَى فاللَّهُ قَدْ صَلَّى وَسَلَّمْ
لا العُودُ لا القِيثارُ لا المِزْمَارُ إذْ يَشْدو بِأَرْخَمْ
فاسْمَعْ لُحُونَ «مخارِقٍ» «والمَوصليّ» إذا تَرَنَّمْ
واشْرَبْ على تَصْفيقِ قَلْبِكَ يا أخا الأَشْواقِ واغْنَمْ
وإذا تَلَعْثَمَ صَوْتُهُ وَكَبَا اللِّسانُ وَعَرْبَدَ الدَّمْ
هَلِّلْ وكَبِّرْ باسْمِهِ فاللَّهُ فَضَّلَهُ وعَظَّمْ
واشْكُ الغَرامَ لَعَلَّهُ بِكَ يا هَزارَ الحَيِّ مُغْرَمْ
أَوْ عَلَّهُ يَرْثي، فَقَدْ أَمْسى بِحالِكَ مِنْكَ أَعْلَمْ
ولَعَلَّ بِنْتَ النَّخْلِ تُدْني قَلْبَهُ النّائي، فَيَرْحَمْ
ويَجُودُ إذْ ذاكَ العَظيمُ بِحُسْنِهِ بالخَدّ والفَمْ
فَتبيتُ تَحْتَضِنُ المنى سَكْرانَ بَيْنَ اللَّثْمِ والضَّمْ

تَتَرَشَّفُ ابْنَةَ ثَغْرِهِ مُتَداوِياً، والرِّيقُ بَلْسَمْ
ومدامة لا الهَمُّ يَطْرُقُ قَلْبَ راشِفِها ولا الغَمْ

* * *

ظَبْيٌ تَحَكَّمَ بي، ولا تَلُمِ الغَزالَ إذا تَحَكَّمْ
فَكَم اسْتَعاذَ ولاذَ مِنْهُ بِهِ، إذا ما صَالَ، ضَيْغَمْ
قَسَماً بِرِدْفَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مُذْنَفٍ بالرِّدْفِ أَقْسَمْ
لَوْ «عامِرٌ» أَوْ «عَمْرُو» شَاهَدَ بَطْشَ جَفْنَيْهِ لأَحْجَمْ
أَوْ أَبْصَرَتْ عَيْنُ «ابنِ أَدْهَمَ» حُسْنَهُ لَغَوى «ابْنُ أَدْهَمْ»
أَوْ أَنَّهُ نَشَرَ الشِّباكَ لَما رَأَيْتَ بِنا مُعَمَّمْ
أَشْكُو القَوامَ لِخَصْرِهِ مُتَظَلِّماً، والخَصْرُ أَظْلَمْ
أَيْنَ القَنا مِنْ فِعْلِ ذاكَ؟! فَيَا لِمعْوَجٍّ مُقَوَّمْ
وَكَمْ اسْتَجَرْتُ بِطَرْفِهِ مِنْ رَدْفِهِ، والطَّرْفُ أَغْشَمْ
لِلَّهِ ما أَوْدى وَمَا أَضْلى وَمَا أَضْمى وأَسْقَم
تَاللَّهِ، لا بَلْقيسُ رَغْمَ جَمالِها مِنْهُ بِأَوْسَمْ
أَيْنَ الجآذِرُ والدُّمى مِمَّنْ عليهِ اللَّهُ أَنْعَمْ؟!
أَيْنَ الأَقاحُ إذا تَبَسَّمَ واللآلىءُ حينَ تُنْظَمْ؟!
رَمْزُ الفَضِيلَةِ والعفافِ فَأَيْنَ يوسفُ؟! أَيْنَ «مَرْيَمْ»؟!
أَنا لا أَقُولُ هُوَ الهِلالُ كَما يُقَالُ إذا تَلَثَّمْ
أَوْ حينَ يُسْفِرُ قَدْ تَبَدَّتْ أُخْتُ يوشَعَ، فَهْوَ أَعْظَمْ
رَكَعَتْ لَهُ «فينوسُ» حينَ هَوَتْ، وَخَرَّتْ، إذْ تَسَنَّمْ
مَوْلايَ طَوَّحَ بي التَّدَلُّلُ بَعْدَ أَنْ أَدْمى، وَقَلَّمْ
وهَوَى بِشَيْطاني القُنُوطُ، وأُفْقُ إِلْهامي تَجَهَّمْ
وَكَبا جَوادُ الحَظِّ بي وحُسامُ بَأْسي، قَدْ تَثَلَّمْ
اللَّه فيَّ، فَإِنَّ كَأْسِي مِلْؤُها بِهَواكَ عَلْقَمْ

اللّـه فـي قَـلْـبـي الـكَـلـيـم فَـجُـرْحُـهُ الـدّامـي تَـسَـمَّـمْ
وَكَـتَـمْـتُ حُـبَّـكَ مُـرْغَـمـاً والـحُـبُّ يَـقْـتُـلُ حـيـنَ يُـكْـتَـمْ
كَـيْـفَ الـسَّـبـيـلُ إلـى الـشَّـكـاةِ وَكُـلُّ مَـنْ فـي الـحَـيِّ لُـوَّمْ
اللّـهُ أكْـبَـرُ، كَـيْـفَ تُـصْـلـي شـاعِـراً مِـثْـلـي جَـهَـنَّـمْ
هَـيْـمـانَ أعْـمـى فـي هَـواكَ أصَـمّ لا يُـصْـغـي، وَأبْـكَـمْ
يَـطْـوي الـلَّـيـالـي ذاهِـلاً مُـتَـحَـسِّـراً، والـنّـاسُ نُـوَّمْ
مُـتَـبَـرِّمٌ بِـنَـهـارِهِ قَـلِـقٌ إذا مـاالـلَّـيْـلُ خَـيَّـمْ
قَـدْ جُـنَّ بَـيْـنَ فُـؤادِهِ الـمُـلْـتَـاعِ والأمَـلِ الـمُـحَـطَّـمْ
فَـتَـعـالَ بـادِلْـهُ الـوَداعَ وَعِـشْ قَـرِيـرَ الـعَـيْـنِ، وأسْـلَـمْ

***

وقصيدته «في وحدة عابسة» التي نظمها عام ١٩٣٨م، مما يؤثر من بديع غزله، وقد ملأها تأوهًا وانتحابًا وسقامًا، وقال فيها:

وَلْهـانُ يَفْتَـرِشُ الرِّمالَ أصيلا فَيَخالُـهُ الرّائي هُناكَ عَليلا
طَـوْراً يَئِـنُّ، وتَـارَةً يَـبْـكِـي، وآوِنَـةً تَـراهُ صـامِـتـاً مَـذْهُـولا
كـالطِّفْلِ أشْجاهُ الفِطامُ فَطَرْفُهُ أبَـداً تَـراهُ بـالـدُّمـوعِ بَـلـيـلا
أو كـاليتيم، وقدْ تَمَلَّكَهُ الأسى فَبَكى. وهَلْ تَشْفي الدُّموعُ غليلا؟!
وارْحَـمـتـاهُ لَـهُ، فَـلَـمْ يَـرَ راحِـماً فـي قَـوْمِـهِ وَمُـواسِـيـاً وَمُـقـيـلا
مِسْكينُ، لا حَرَجٌ عليهِ إذا بكى وإذا هـنـالِـكَ راحَ يُـنْـشِـدُ سـولا
فالشّاطِئُ الرَّمْليّ مهبطُ حبّهِ ولَـكَـمْ هُـنـالِـكَ رَتَّـلَ الإنْـجـيـلا
ويَبُثُّ كُلَّ نُسَيْمَةٍ مَرَّتْ بِهِ شَكْوى، تَسيلُ لَها النُّفوسُ مسيلا
لا غَرْوَ إنْ راحَ النَّسيمُ بِسِرِّهِ فَإلَيْهِ، مَنْ يَهْوى، اصْطَفَتْهُ رَسُولا

***

أوّاهُ مِنْ ذِكْراي لَيْلَةَ أقْبَلَتْ سَكْرى، تَجُرُّ عَلى الرِّمالِ ذُيولا
فالقَلْبُ صَفَّقَ هاتِفاً وَمُرَتِّلاً لِلِقائِها نَغَمَ الهَوى تَرْتيلا

رَدَّدْتُ تَقْدِيساً وتَعْظيماً لها بِسُجُودِيَ التَّكْبيرَ والتَّهْليلا
وَطَفِقْتُ أَقْطِفُ مِنْ شَقائِقِ خَدِّها ولَكَمْ رَشَفْتُ رُضابَها المَعْسُولا

* * *

فَتَقُولُ لي، والكَأْسُ خَضَّبَ كَفَّها إنّـي لأَهْوى الضَّمَّ والتَّقْبيلا
فَأَجَبْتُ أَخْشى البَدْرَ يُفْشي سِرَّنا فَاضْفِي عَلَيْنا شَعْرَكِ المَسْدُولا
ما أَنْ أُداعِبُ نَهْدَها بِأَنامِلي حتَّى أُطوِّقَ خَصْرَها المَهْزُولا
فَتَخالُنا فَوْقَ الرِّمالِ، ونَحْنُ في سُكْرِ الغَرام، «بُثَيْنَةً» و«جَميلا»
قَسَماً. سِواها ما اتَّخَذْتُ خَليلَةً كَلَّا، ولا اتَّخَذَتْ سِوايَ خَليلا
قَدَّمْتُ قُرْباناً لِمَذْبَحِ حُبِّها رُوحي. متى كانَ المُحِبُّ بَخيلا؟
حَوّاءُ، والَهَفي عَلَيْكِ فَما سَلا قَلْبي، ولا أَرْضى سِواكِ بَديلا
أَهْلوكِ قَدْ جارُوا عَلَيْكِ، وعَافَنِي أَهْلي، وما أَزْمَعْتُ بَعْدُ رَحيلا
هَلَّا ذَكَرْتِ وُقوفَنا، يَوْمَ الوَداعِ، وَصَمْتَنا كَيْفَ اسْتَحالَ عَويلا
تِذْكارُكِ المُحْبُوبُ مَعْبودي، متى يَنْساكِ صَبٌّ يَعْبُدُ المنديلا

* * *

وله كذلك قصيدة «نوحي» التي أهداها «إلى تلك التي اختطفتها يد القدر القاسية من أحضان حبيبها، وزجت بها يد المتعصب الذميم في سجن الفناء، الرهيب، أهديها . . » وهي من عيون شعره في فن الغزل، قال فيها:

نُوحِي بِعُقْرِ السّجْنِ نُوحي، فَصَداهُ في أَعْماقِ رُوحي
نوحي، فَقَدْ سالَتْ جُروحُكِ مِثْلَما سَالَتْ جُروحي
نوحي، فَما أَغْنى غَبوقُكِ، لا، وَلا أَجْدى صَبُوحي
نوحي، وبالسِّرِّ المُقَدَّسِ لا تَبوحي، أَوْ فَبُوحي

* * *

نوحي، فَجِسْمُكِ مِثْلُ جِسْمي، قَدْ طَواهُ اليَأْسُ طَيّا
نوحي، فَرُوحُكِ مِثْلُ روحي، كَمْ كَواها الوَجْدُ كَيّا
نوحي، فَنَفْسُكِ مِثْل نَفْسي، لَمْ تَجِدْ زاداً وَرَيّا

يا للشّقاءِ، ويا لبُؤْسِ شَقِيَّةٍ تَهْوى شَقِيّا

● ● ●

نوحي، فقلبُكِ مِثْلُ قَلْبي، لَمْ يَبُلَّ أُوامَهُ
نوحي على طلَلِ الصّبا، واسْتَعْرِضي أَيّامَهُ
نوحي على الحُبِّ البَرِيءِ، وَكَفِّني أَحْلامَهُ
نوحي على القَلْبِ الجَرِيحِ، وشَيِّعي أَوْهامَهُ

● ● ●

نوحي على جَدَثِ المُنى في غَوْرِ خافِقِكِ الكَئِيبْ
نوحي، فَقَدْ ولَّى الرَّبيعُ، وأَجْدَبَ الوادي الخَصِيبْ
نوحي، فَكَمْ قُمْرِيَّةٍ فيهِ تَنُوحُ وَعَنْدَلِيبْ
وهناكَ كَمْ مِنْ زَهْرَةٍ ذَبُلَتْ، وَكَمْ غُصْنٍ رَطِيبْ

● ● ●

لَيْلايَ، يا نَجْوايَ، يا دُنْيايَ، يا أَمَلي الوَحِيدْ
طَوَتِ الفُروقُ بساطَنا، وتَنَكَّرَ العَيشُ الرَّغِيدْ
والذّكْرياتُ مُطِلَّةٌ مِنْ كُوَّةِ الماضي البَعِيدْ
تَرْنُو لِحاضِرِنا الشَّقِيّ، وتَنْدُبُ الماضي السَّعِيدْ

● ● ●

يا بِنْتَ مَنْ وَأَدَ الفَضِيلَةَ بَيْنَ أَحْضانِ الرَّذِيلَهْ
وَطَغى، فَراحَ يَبُلُّ مِنْ دَم كُلِّ مَنْكُوبٍ غَلِيلَهْ
لَهَفي عَلى تِلْكَ المَشاعِرِ والأَحاسِيسِ النَّبِيلَهْ
وعَلى جَمالِكِ والشَّبابِ الغَضِّ، لهفي يا خَمِيلَهْ

● ● ●

يا للشَّراسَةِ والرُّعُونَةِ والحَماقَةِ والجَهالَهْ
يا للدَّناءَةِ والسَّفاهَةِ والسَّفالَةِ والنَّذالَهْ
باعُوكِ بالثَّمَنِ الزَّهِيدِ، فَأَيْنَ يا لَيْلى العَدالَهْ

وسَقَوْكِ كَأْساً مِلْؤها صابُ الأَسى حَتَّى الثُّمالَهْ

☗ ☗ ☗

زَجّوكِ، وَاأَسَفاهُ، في سِجْنِ التَّقاليدِ القَديمَهْ
للَّهِ ما كابَدْتِ فيهِ مِنَ الأَساليبِ العَقيمَهْ
لا دَرَّ دَرُّكَ مِنْ أبٍ فَظٍّ وَوالِدَةٍ لَئيمَهْ
ياقاتَلَ اللَّهُ التَّعَصُّبَ، كَمْ تَمَخَّضَ عن جَريمَهْ

☗ ☗ ☗

حَجَبوكِ عنْ عَيْني، وعَيْنُ القَلْبِ تَخْتَرِقُ الحِجابْ
فليُوصِدوا - سُحْقاً لَهُمْ - بَيْني وبَيْنَكِ ألفَ بابْ
حَربٌ، وَكَمْ يا ربّ أعْلَنَها الثَّعالِبُ والذِّئابْ
تُذْكي المطامعُ نارَها، وَوَقودُها مُهَجُ الشّبابْ

☗ ☗ ☗

قد أَرْغَمُوكِ على الزَّواجِ بِذَلِكَ الشَّيخِ الوَضِيعْ
أغْراهُمُ بالمالِ، وهْوَ المالُ مَعْبُودُ الجَميعْ
فَقَضَوْا على آمالِنا، وَجَنَوْا عَلى الحُبِّ الرَّفيعْ
ما رَاعَ مِثْلُ الوَرْدِ يَذْبُلُ، وَهْوَ في فَصْلِ الرَّبيعْ

☗ ☗ ☗

قد زَيَّنُوا الأَجْداثَ - وَيْلَهُمُو - وسَمَّوْها مَخادِعْ
كَمْ ذُوِّبَتْ فيها كُبودٌ، واكْتَوَتْ فيها أضالِعْ
وتَحطَّمَتْ مُهَجٌ، وسَالَتْ أَنْفُسٌ، وَجَرَتْ مَدامِعْ
هذا، ومَا مِنْ زَاجِرٍ، كَلَّا، ولا في الحَيِّ رادِعْ

☗ ☗ ☗

زُفَّتْ، وَهَلْ زُفَّتْ فَتاةُ الحَيِّ للزَّوْجِ الحَبيبْ؟
هَلْ أَخْفَقَتْ أَمْ حَقَّقَتْ بِزفافِها الحُلُمَ الذَّهيبْ؟
وارَحْمَتاهُ لها، فَقَدْ زُفَّتْ إلى السِّجْنِ الرَّهيبِ

وغَدَتْ بِهِ نَهْبَ الجَوى، والشَّجْوِ، والهَمِّ المُذيبْ

❁ ❁ ❁

هَلْ كانَ في اسْتِقْبالِها فيهِ سِوى شَبَحِ الرَّدى
قَدْ أُدْخِلَتْ لَيْلاً عَليهِ، فَكَانَ لَيْلاً سَرْمَدا
شُلَّتْ يَداهُ، فَكَمْ بِها عاثَتْ، أَلا شُلَّتْ يَدا
وَحَسَا عَلى صَرَخاتِها دَمَها الزَّكِيَّ، وَعَرْبَدا

❁ ❁ ❁

أوَ كانَ أَهْلُكِ يا فتاتي والأقارِبُ والصِّحابْ؟
إلَّا الأَراقِمَ والعَقارِبَ والثَّعالِبَ والكِلابْ
قَدْ شَيَّعُوكِ، فَخَبِّريني بَعْدَما طُوِيَ الكِتَابْ
ماذا لَقيتِ بِذلكَ القَبْرِ المُخِيفِ مِنَ العَذابْ

❁ ❁ ❁

لَيْلى، وما الدُّنيا سِوى نارِ الكَريمةِ والكَريمْ
أَوّاهُ من داءٍ قد اسْتَشْرى وَجُرْحٍ في الصَّميمْ
رَبّاهُ رِفْقاً بالجَديدِ، فَكَمْ شَكا جَوْرَ القَديمْ
وَطَغَتْ أَبالِسَةُ الجَحِيمِ عَلى مَلائِكَةِ النَّعِيمْ

❁ ❁ ❁

يا لِلمَهازِلِ والجَرائِمِ والمآسي والمَساخِرْ
غَدَتِ العَذارى كالعَقائِدِ والمبادِىءِ والضَّمائِرْ
سِلَعاً تُباعُ وَتُشْتَرى عَلَناً بِأَسْواقِ الحَواضِرْ
والرّابِحُونَ بها لَهُمْ مِنّا التَّهاني والبَشائِرْ

❁ ❁ ❁

أهلاً وسهلاً

حُبٌّ تَغَلْغَلَ في الصَّميم   فَقَضى عَلى الحُبِّ القَديمِ
لِمُهَفْهَفٍ، ألحُسْنُ رَصَّعَ وَجْنَتَيْهِ بالنُّجومِ
جُعِلَتْ رُجوماً لِلْقُلوبِ ولا كَهاتيكَ الرُّجومِ
يا لائِمِيَّ، وَقَدْ غَدا   هَدَفاً لَها قَلْبُ المَلُومِ
الظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفوسِ، وَقاهُ رَبّي مِنْ ظَلُومِ

* * *

لَمْ يَبْلُغِ العِشْرينَ، غَضُّ الجِسْمِ، ذُو صَوْتٍ رَخيمِ
وعُيُونُهُ عَسَلِيَّةٌ   سَكْرى وذو شَعْرٍ فَحِيمِ
والجيدُ أتْلَعُ، والمراشِفُ كَمْ شَكَتْ قُبَلَ النَّسيمِ
ظَبْيٌ تَغارُ الغيدُ مِنْهُ   ولا كَغِزْلانِ الصَّريمِ
والمُرْدُ تَحْسُدُهُ على   رِدْفَيْهِ والكَشْحِ الهَضِيمِ
ما كانَ أغْناهُ بِبِنْتِ الثَّغْرِ عَنْ بِنْتِ الكُرومِ
شَوْقي لَهُ شَوْقُ القَطاةِ   إلى الفراخِ أو الظّليمِ

* * *

يا لَيْلَةً كالرّيحِ مَرَّتْ   أَوْ كَأَحْلامِ النَّؤومِ
يَتَعَثَّرُ الواشي بها   كالغَيْظِ في صَدْرِ الحَليمِ(١)
في جُنْحِها عانَقْتُهُ   وَحَنَوْتُ كالأُمِّ الرَّؤُومِ
وصَدَعْتُ بابْنَةِ ثَغْرِهِ   شَمْلَ الوَساوِسِ والهُمومِ
فَكَأَنَّنا قَيْسٌ وَلَيْلى   إذْ غَرِقْنا في الحُلومِ
اللَّهُ ثالِثُنا، ورَابِعُنا ابْنَةُ الطَّلْعِ الهَضِيمِ

* * *

فَجْرٌ أَفَقْتُ عَلى سَناهُ   مِنْ ذُهولي والوُجُومِ

---

(١) هذا المعنى جديد لا أذكر أنني رأيته قبل ذلك.

لمّا أطلّ على سماءِ الرّوحِ مِنْ فرقِ الغريمِ
يا مَرْحَباً بِكَ يا بَشيرَ الوَصْلِ والفَضْلِ العَميمِ
أَهلًا وسَهْلًا بالغَرامِ البِكْرِ والأَمَلِ الوَسيمِ
أَنْقَذْتَ رُوحي مِنْ بَراثِنِ ذَلِكَ الحُبِّ الأَثيمِ
ورَفَعْتَها مِنْ بَعْدِ ما كانَتْ تَمَرَّغُ في الأديمِ
وأَرَحْتَها مِنْ عَرْبَداتِ الشَّكِّ والأَلَمِ الأليمِ
وهَدَيْتَني بَعْدَ الضَّلالِ إلى الصِّراطِ المُسْتَقيمِ
والحُبُّ إِحْساسٌ يَجيشُ بِخافِقِ الحُرِّ الكَريمِ
والحُبُّ إِلْهامُ الجَمالِ المَحْضِ للذَّوْقِ السَّليمِ
هو رَوْعَةُ الخَلْقِ الجَميلِ ازْدَانَ بالخُلُقِ القَويمِ
هوَ للصَّغيرِ شِباكُ صَيْدٍ، وهوَ دينٌ للعَظِيمِ
هذا، وَهَلْ كانَ الهَوى إلَّا لِذي قَلْبٍ رَحِيمِ

* * *

قُمْ يا حَبيبُ، اليَوْمَ، واسْكُبْهَا وَخَلِّ ابْنَ الغُيومِ
وانْضَحْ بِها كَبِدي فَدَيْتُكَ، فَهْيَ دامِيَةُ الكُلُومِ
مِنْ سُخْرَياتِ الوَضْعِ والأَقْدارِ والدَّهْرِ الغَشُومِ
إنّي أَعُوذُ بِكَأْسِها مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ رَجيمِ
وأُعِيذُها مَا شَعْشَعَتْ مِنْ كُلِّ مَأْفُونٍ لَئيمِ
وَمِنَ الجَهُولِ وَكُلِّ ذي ذَوْقٍ وَإِحْساسٍ سَقيمِ
فِضّيَّةٌ ذَهَبِيَّةُ الأَحْلام كاشِفَةُ الغُمُومِ
مِنْ خَمْرِ عاصِمَةِ الرَّشيدِ، وَكَمْ صَرَعْتُ بِها نَديمي
وَلَكَمْ بِها جَنَّحْتُ أَحْلامي، فطارَتْ في النَّعيمِ
وَلَكَمْ على بَسَماتِها سامَرْتُ مِنْ خِلٍّ حَميمِ
صَعُبَتْ، فَلَوْ فِرْعَوْنُ عاقَرَها لَرَدَّ عَصا الكَليمِ

أَوْ ذاقَهَا مُوسى لَكانَ مِنَ الفَصاحَةِ في الصَّميمِ

* * *

يا مَنْ بِهِ حُزْتُ النَّعيمَ وباتَ غَيْري في جَحِيمِ
لا تُصْغِ قَطُّ إلى أراجيفِ الكَواشِحِ والخُصُومِ
ونَميمَةِ النَّذْلِ الوَضِيعِ وفِرْيَةِ الوَغْدِ الزَّنيمِ
فَأنا وأَنْتَ بِمَوْطِنٍ فيهِ الموارِدُ مِنْ حَميمِ
وَطَنٌ بِهِ كَمْ أُعْلِنَتْ حَرْبٌ ومِنْ بَعْدِ الهُجومِ
إلَّا عَلى ذي المالِ والماءِ المُقَطَّرِ واللُّحومِ
والحُرُّ مَوْؤُودٌ بِهِ كالسِّرِّ في قَلْبِ الكَتُومِ
مُتَوَحِّدٌ مُتَمَلْمِلٌ لَهَفي على الحُرِّ المضيمِ
هَوَتِ الصُّقُورُ فَلا أرى في الأُفْقِ يَسْبَحُ غَيْرَ بومِ
وأَرى الأفاضِلَ في جَحيمِ والأراذِلَ في نَعيمِ
قَدْ حارَ ذو الرَّأْيِ الحَصيفِ وتاهَ ذو العَقْلِ الحَكيمِ
فَمَتى تَهُبُّ الرِّيحُ عاتِيَةً، وَتَعْصِفُ بالهَشيمِ
أَمُوَرَّدَ الخَدَّيْنِ، حَسْبُكَ، يا حَبيبي، مِنْ نَظيمي
هَذِي القَصائِدُ وَهْيَ وَحْيُ عَرائِسِ الحُبِّ المقيمِ
سَلْوى الحَزينِ وَرَاحَةُ العاني وتَعْزِيَةُ اليَتيمِ
تَشْدُو بِهَا الأطْيارُ عِنْدَ تَراجُعِ اللَّيْلِ البَهِيمِ
تَسْتَقْبِلُ الأَصْباحَ في أَبياتِهِنَّ لدى القُدومِ
لَكَ صُغْتُها وَرَفَعْتُها لِمَقامِكَ السّامي الكَريمِ
وأَنا العَليمُ بِما تُكِنُّ وأَنْتَ أَعْلَمُ بالعَليمِ

* * *

بأبي هائمة زُفّتْ لِهائِم

طَرَقَتْني فَجْرَ يَوْمِ المَوْلِدِ   وأَبُوها عاكِفٌ في المَسْجِدِ
فالْتَقى الثّغْرانِ رَغْمَ الحُسَّدِ   وَكِلانا مُتْعَبُ القَلْبِ صَدي

❀ ❀ ❀

غادَةٌ لَمْ تَخْشَ إِنْذارَ أبيها   لا وَلَمْ تَحْفَلْ بِتَهْدِيدِ أخيها
حينَ قالَتْ أُمُّها قُومي اغْنميها   ساعَةً، هَيّا مَعي، لا تَقْعُدي

❀ ❀ ❀

فارْتَدَتْ ثَوْبَ أَخيها، وهوَ نائِمْ   وأَتَتْ تَحْرُسُها، والجَوُّ غائِمْ
بِأَبِي، هَائِمَةٌ زُفَّتْ لهائِمْ   مُوجَعِ القَلْبِ جَرِيحِ الكَبِدِ

❀ ❀ ❀

فَشَجا نَفْسيَ مَا مَرَّ ببالي   حينَ أَبْكاها شُحُوبي وَهُزالي
قُلْتُ صُونيها فَإِنَّ الدَّمْعَ غالي   أَدْمُعاً للرّوحِ لا للجَسَدِ

❀ ❀ ❀

ونَشَرْنَا وَطَوَيْنا صَفَحاتِ   وسَخِرْنا من أَراجِيفِ الوُشاةِ
وتَصَفَّحْنا سِجِلَّ الذِّكْرياتِ   بُرْهَةً وانْدَمَلَ الجُرْحُ النَّدي

❀ ❀ ❀

ثُمَّ قالَتْ: وَرَذاذُ المَطَرِ   حَبَسَ الطَّيْرَ، وَلَمّا يَطِرِ
هاتِ بِنْتَ النَّخْلِ ياابْنَ العَسْكَرِ   لا يُطاقُ الصَّحْوُ في ذا البَلَدِ

❀ ❀ ❀

هاتِها بَيْضاءَ مِنْ خَمْرِ العراقِ   كَمْ بِها حَلَّقَ بالنَّدْمانِ سَاقي
وَلْنُعاقِرْها مَعاً قَبْلَ الفِراقِ   ثُمَّ قامَتْ، وَنَضَتْ ما تَرْتَدي

❀ ❀ ❀

وفَضَضْنا خَتْمَها والسَّعْدُ باسِمْ   وسَكَبْناها عَلى هَمْسِ النَّسائِمْ
وأَدَرْناها وأَنْفُ الشَّيْخِ راغِمْ   وَشَرِبْناها، وَلَمْ نَقْتَصِدِ

❀ ❀ ❀

خَمْرَةٌ تَسْمُو بِذي الخلْقِ الكَريمِ بُثَّ مِنْها في فَرادِيسِ النَّعيمِ
قِبْلَتي كَأْسي ومَعْبُودي نَديمي ما أَلَذَّ الخَمْرَ مِنْ تِلْكَ اليَدِ

❁ ❁ ❁

يَدِ حَسْناءٍ تُعاطِي الرَّاحَ شاعِرْ ذاتِ حِسٍّ يَخْلُبُ الأَلْبابَ ساحِرْ
فَجَبينٌ زاهِرٌ، والجَفْنُ فاتِرْ وَفَمٌ يُغْري، وشَعْرٌ عَسْجَدي

❁ ❁ ❁

يا لمرْآى شاعِرٍ يَسْقي غَريرهْ وُيناغِيها بِأَلْحانٍ مُثيرَهْ
ولمرْآى غادَةٍ نَشْوى صَغِيرَهْ وَهِيَ تَسْقيهِ، وَكَمْ قالَتْ: زِدِ

❁ ❁ ❁

وشَفَيْنا إِذْ سَكِرْنا الغُلَلا وتَغَنَّتْ بِهَوانا، كَيْفَ لا
فانْتَشى الكَوْنُ وَقَدْ أَصْغى إلى صَوْتِها العَذْبِ الحَنونِ الغَرِدِ

❁ ❁ ❁

واعْتَنَقْنا، يا لَها مِنْ لَحَظاتِ هِيَ سِرُّ العَيْشِ بَلْ مَعْنى الحَياةِ
مَنْ رآنا خالَنا صَرْعى السّباتِ آهِ لَوْ كانَ سُباتاً أَبَدي

❁ ❁ ❁

وتَرَشَّفْنا حُمَيّا القُبَلِ وتَرَكْنا النَّوْمَ لِلغِرّ الخَلي
وتَحَدَّثْنا عَنِ المُسْتَقْبَلِ وأَزَحْنا السّتْرَ عَنْ دُنيا الغَدِ

❁ ❁ ❁

وأَفَقْنا، فَإذا بالشَّيْخِ قادِمْ وَكِلانا مُطْمَئِنُّ النَّفْسِ ناعِمْ
وافْتَرَقْنا ولْتَقُمْ شَتَّى المزاعِمْ فَلَظى، مأْوى الأثيمِ المُعْتَدي

❁ ❁ ❁

اعزف على العود

إعْزِفْ عَلى العُودِ يا مَعْبُودِيَ الثّاني
وغَنِّ «ياحُبُّ أَنْتَ الهادِمُ الباني»
إعْزِفْ عَلى العُودِ، إنَّ الشَّكَّ سَاوَرَني
يا سَلْوَةَ القَلْبِ، وابْعَثْ مَيْتَ أَشْجاني
وهَاتِها يا غذاءَ الرّوحِ أُغْنِيَةً
تُحْيي الرَّجاءَ بِقَلْبِ البائِسِ العاني
يا سَاجِيَ اللَّحْظِ، والأَحْلامُ شَارِدَةٌ
أَسْرِعْ بِرَبِّكَ واملأْ كَأْسِيَ الثّاني
واتْرَعْ لِنَفْسِكَ أُخْرى، يا حَبِيْبِيَ مِنْ
خَمْرِ العِراقِ، وَدَعْ صَهْبَاءَ إيرانِ
ما كانَ أَطْيَبَها صِرْفاً وأَعْذَبَها
مَمْزُوجَةً، فاسْقِنِيها، واجْلُ أَحْزاني
إنّي لأَشْتَمُّ عِطْرَ (الرّافدينِ) بها
نَشْرَ الخُزامى، وعَبْقَ الآسِ والبانِ
وكَمْ رَأَيْتُ ظِبَاءَ (الكَرْخِ) سارِحَةً
بالسّكْرِ ما بَيْنَ أَوْرادٍ وغِدْرانِ
قُمْ واسْكُبِ الرّوحَ أَنْغاماً عَلى مَهَلٍ
فَما لَدَيَّ سِواها، فَهْيَ قُرْباني
وَلْنَصْطَبِحْ بِحُمَيّا (زَحْلَةَ)، وإذا
فَرَغْتَ، غَنِّ، «اسْلَمي يا أَرْضَ لبنانِ»
إعْزِفْ عَلى العُودِ، وَلْنَسْكَرْ ولا حَرَجٌ
وَلْنُحْيِ مَيْتَ الأَماني بابْنَةِ الحَانِ
هُنا الهَوَى، وَأَغانِيهِ العِذابُ هُنا
عَرائِسُ الوَحْيِ أَلْقاها وتَلْقاني

هُنا الرِّمَالُ، هُنا الأَمْواجُ راقِصَةٌ
وَهَهُنا صُغْتُ أَشْعاري وأوزاني
هُنا الرَّحيقُ المُصفَّى والرُّؤى وَهُنا
مَلْهَى اللآلِئ مِنْ حُورٍ ووُلْدانِ
هُنا كُؤوسُ الحُمَيّا كَمْ وَكَمْ خَطَرَتْ
تَخْتَالُ ما بَيْنَ سُمّاري ونُدْماني
يا مَهْبطَ الوَحْيِ، يا مَلْهى طُفُولَتِنا
أَوّاهُ لَيْتَ الذي أَهْواهُ، يَهْوانِي
عَلَّلْتُ نَفْسي فَلا الآمالُ صادِقَةٌ
وَضِقْتُ ذَرْعاً وَفَرْطُ الشّوْقِ أَضْناني
فالطَّرْفُ جَفَّ وَسَالَ الرّوحُ مِنْ شَجَنٍ
دَمْعاً وفاضَتْ بِهِ وَيْلاهُ عَيْنانِ
يا مَرْتَعَ الرّوحِ، والأَشْجانُ ثائِرَةٌ
إنّي عَلى العَهْدِ ما كَرَّ الجَديدانِ
جاءَ الشِّتاءُ وَوَلَّى الصَّيْفُ واأَسَفا
أَمَا سَمِعْتَ بِجُنْحِ اللَّيْلِ أَلْحاني
قَدْ جِئْتُ وَهْناً، وآمالي مُحَطَّمَةٌ
لِكَيْ أَبُثَّكَ أَشْواقي وأَشْجاني
فَلا شُوَيْطِئُكَ الرَّمْلِيُّ أَطْرَبَني
كَلّا، ولا مَوْجُهُ الفِضّيُّ واساني
ولا الأَصائِلُ والأَسْحارُ باسِمَةٌ
ولَا نَسيمُكَ لَمّا مَرَّ عَزّاني
لا تَحْزَني فَلَيالي الصَّيْفِ آتِيَةٌ
وسَوْفَ يَشْفِي صَدَاهُ كُلَّ عَطْشانِ
فالحُبُّ داءٌ عُضَالٌ لا دَوَاءَ لَهُ
فَلا يَغُرَّنْكَ ما يُبْدي الحَبيبانِ

* * *

نِداء

يا طائِرَ الفَجْرِ، مَنْ بالرّاحِ أَغْرانا؟!
إلّاكَ، حينَ تُناغي الرَّوْضَ سَكْرانا
قُمْ واصْطَبِحْ، فَكُؤوسُ الوَرْدِ مُتْرَعَةٌ
مِنْ خَمْرَةِ الفَجْرِ، إنَّ الفَجْرَ قَدْ بانا
وارْقُصْ وَصَفِّقْ وَطِرْ وَاهْتِفْ وَغَنِّ بِهِ
وَحَيِّهِ، واسْكُبِ الأَشْواقَ أَلْحانا
كَمْ نَغْمَةٍ صُغْتَ مِنْ إلهامِ رَوْعَتِهِ
وَوَحْيِ طَلْعَتِهِ، فاصْدَحْ بِها الآنا
وَسائِلِ الرَّوْضَ عَنْ أَحْلامِ غَفْوَتِهِ
واسْتَخْبِرِ الآسَ والنّوّارَ وَالْبانا
وابْعَثْ بِأَنْفُسِنا مَيْتَ العَزاءِ فَقَدْ
أَوْدَى بِها اليَأْسُ، واسْمَعْ بَعْدُ شَكْوانا

* * *

يا جيرةَ الرَّوْضِ، مَنْ مِنْكُمْ يُخَبِّرُنا
فالدَّهْرُ أَدْناكُمُ مِنْهُ، وأَقْصانا
كَيْفَ الأَحِبَّةُ، جادَ الغَيْثُ رَبْعَهُمُ،
إنّا على عَهْدِهِمْ رَغْمَ الذي كانا
سَلُوا - بِرَبِّكُمُ - لَيْلاكُمُ، فَلَكَمْ
باتَتْ تُشاكي بِجُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلانا
كَمْ كاشَفَتْها بِما ضَمَّتْ جَوانِحُها
فَتَذْرِفُ الدَّمْعَ إشْفاقاً وتَحْنانا

يـا جـيـرةَ الـرَّوْضِ، والأَحْـلامُ شـارِدَةٌ
مـا كـانَ أَسْـعَـدَكُـمْ فـيـهِ وأَشْـقـانـا

فـي ذِمَّـةِ الـلَّـهِ مـاضـيـنـا، وحـاضِـرُنـا
بُـؤْسٌ «ويَـأْسٌ» ألا سُـحْـقـاً لِـمَـنْ خانـا

* * *

لَـيْـلـى وَكَـمْ عَـاذِلٍ بـالأَمْـسِ أَنَّـبَـنـا
والـيَـوْمَ عَـادَ وعَـزّانـا وَوَاسـانـا

لَـيْـلـى تَـعـالَـيْ، وَرُدّي بَـعْـضَ ما أَخَـذَتْ
مِنّـا لَـيالـي الـنَّـوى عَـطْـفـاً وإِحْـسانـا

لَـيْـلـى تَـعَـالَـيْ، فَـصـرْفُ الـدَّهْـرِ أَعْـلَـنَـها
حَـرْبـاً، وحَـطَّـمَـنـا ظُـلْـمـاً وطُـغْـيانـا

لَـيْـلَـى، تَـعَـالَـيْ، لِـنَـشْـكُـو ما نُـكَـابِـدُهُ
في الـحَـيِّ، مُـذْ أَصْـبَـحَ الأَحْـرارُ عُـبْـدانا

لَـيْـلَـى تَـعَـالَـيْ، فَـإِنَّ الـشَّـكَّ خَـامَـرَنـا
وكَـفْـكِـفـي دَمْـعَـنـا، فـالـوَضْـعُ أَبْـكَـانـا

لَـيْـلَـى تَـعَـالَـيْ، أَدِيـريـهـا مُـشَـعْـشَـعَـةً
لَـعَـلَّ بـالـرّاحِ يـا لَـيْـلايَ سَـلْـوانـا

لَـيْـلَـى تَـعَـالَـيْ، وإِلَّا فـالـحَـمِـيـمُ إذا
لَـمْ تَـأْتِ مَـوْرِدُنـا، والـنّـارُ مَـثْـوانـا

إِنّـا مُـنَـادُوكِ يـا لَـيْـلَـى، فَـلا عَـجَـبٌ،
فَـأَنْـتِ والـلَّـهِ دُنْـيـانَـا وأُخْـرانـا

* * *

مـــالي

وقد نظمها الشاعر عام ١٩٤٥م

مـالـي وَلـلـظَّـبْـيِ الـغَـريـرِ الـصَّـغـيـرْ يَـرْقُـصُ نَـشْـوانَ، وَكُـوبـي كَـسـيْـر
بـالأَمْـسِ يَـشْـكُـو لِـي، وَأَرْثـي لَـهُ والـيَـوْمَ لا يَـرْثـي لِـقَـلْـبـي الأَسـيـرْ
راحَ إِلـيـــهِ مُـسْـتَـجـيـراً بِـهِ فـعـادَ مَـخْـذولاً. فَـأَيْـنَ الـمُـجِـيـرْ؟!
طَـرَقْـتَ يـا حُـبُّ فُـؤادي، وَهَـلْ أَنْـتَ بَـشـيـرٌ يـا تُـرى أَمْ نَـذِيـرْ؟!
فَـيـا حَـبـيـبـي وغَـرامـي، لَـظًّـى لَـهـا بِـأَغْـوارِ فُـؤادي زَفـيـرْ
جَـرَّعـتْـنـي الـصّـابَ، وَلَـمْ تَـكْـتَـرِثْ أَوّاهُ مِـنْ صـابِ الـقُـنـوطِ الـمَـريـرْ
أَسْـرَفْـتَ يـا هـذا، وَلَـمْ تَـقْـتَـصِـدْ والـبُـعْـدُ قَـدْ طـالَ، وعُـمْـري قَـصـيـرْ
تَـعـالَ حَـدِّثْـنـي وَلَـوْ سـاعَـةً وَجَـنِّـحِ الـرّوحَ، وذَرْهـا تَـطـيـرْ
أَعِـدْ لَـهـا شَـتَّـى الـرّؤى والـمـنـى وابْـعَـثْ بِـهـا ذِكْـرَ الـرَّبـيـعِ الـنَّـضـيـرِ
وهـاتِ عُـودي، واسْـقِـني، واسْـتَـمِـعْ وبَـعْـدُ، وَدِّعْـنـي الـوَداعَ الأخـيـرْ

* * *

أما بعد، فقد قدمنا نخبة من أشعار «فهد» في الغزل، أتينا بها لنعطي القارىء فكرة واضحة عن الشاعر وغزله وهيامه، ونعتقد أن أكثر هذه الأشعار مستمدَّة من الخيال الشاعري المحض، ولا بأس على الشاعر أن يطلق العنان لمخيلته، تسبح في عوالم زاهية الألوان، رائعة الجمال، كالتي يراها الإنسان في منامه، ولا ضَيْرَ على الشاعر أن ينطلق وراء الكلمات الشعرية، يتصيدها ليعبّر بها عن هذه الرّؤى، وتلك الأحلام التي شاهدها في مخيلته وقت انطلاقها من العالم الواقعي، إلى العوالم الأخرى، حيث الحقّ والخير والجمال.

* * *

أما هذه القصائد الثلاث التالية. فقد استطعنا الحصول عليها بعد الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ولعلَّ هناك مزيداً من شعر هذا الشاعر مطوياً في خفايا الأوراق والكتب، سيلتهمه الفناء مثلما التهم الكثير غيره من أشعار هذا الشاعر البائس.

أسفر الصُّبح (١)

أَسْفَرَ الصُّبْحُ قُمْ نُحَيِّي الصَّباحا
يا مُنى القَلْبِ، واتْرَعِ الأَقْداحا

واصْحُ، وافْتَحْ طَرْفاً مَريضاً صَحيحاً
إنَّ قَلْبي يَهْوَى المِراضَ الصِّحاحا

وأَعِرْ طَلْعَةَ الصَّباحِ ضِياءً
مِنْ مُحَيّاكَ، كَمْ أَعَرْتَ الصَّبَاحا

يا حَبيبي: كَفى مَناماً فَهيّا
نَتَساقى على الرِّمالِ الرّاحا

أَطْفَأَ الصَّحْوُ مِشْعَلي، فاسْكُبِ الزَّ يْتَ وَأَشْعِلْ بِرَبِّكَ المِصْباحا

وأَدِرْها عَليَّ جَهْراً، فإِنَّ الـ ـرّاحَ أَمْسَتْ لِلْعاشِقِينَ مُبَاحا

خَمْرَةً تَمْلأُ النُّفُوسَ سُروراً
واغْتِبَاطاً، وتَطْرُدُ الأَتْراحا

زَعَمُوا أَنَّها فَسَادٌ، فَلَوْلا
أَتْرَعوا جَامَها لَشَامُوا الصَّلاحا

كَذَبُوا، فالفَسادُ ما اقْتَرَفُوهُ
جَهْرَةً، لَمْ يَرَوْا عَلَيْهم جُنَاحا

❀ ❀ ❀

يا مَلاكي، والصَّحْوُ قَصَّ جَناحي
واصْطِباحي مِنْها يَريشُ الجَناحا

---

(١) نشرت في جريدة البحرين بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٣٩م، وأعيد نشرها أيضا في مجلة «البيان» في عددها التاسع - ديسمبر ١٩٦٦م.

اسْقِنيها، فالصَّحْوُ شَرَّدَ أَحْلامَ فُؤادي، ومَا بَلَغْتُ نَجاحا
اسْقِنيها، فالصَّحْوُ بَعْثَرَ آلامي
وأَدْنى العُذَّالَ والنُّصَّاحا
هَا هي (الشَّمْسُ) يا حَبيبي أَطَلَّتْ
قُمْ نُغَنِّي، ونُنْعِشُ الأَرْواحا
فَضِياها الوَهّاجُ ذَهَّبَ خَدَّيْـ
ـكَ وأَنْدى جَبِينَكَ الوَضَّاحا
ونَسِيمُ الصَّباحِ في الرَّوْضِ يَسْري
عَطِراً، مِنْ شَذا عَبيرِكَ فاحا
قُمْ نُغَنِّي مَعاً نَشِيدَ هَوانَا
ونُناجِي الشُّوَيْطِئَ الصّدّاحا
ونُناغي الطّيورَ وَهْيَ عَلى الشّا
طىءِ تَشْدُو وتُعْلِنُ الأَفْراحا
ثُمَّ نَلْهُو عَلى الرِّمالِ كطِفْلَيْـ
ـنِ ونَهْتَزُّ نَشْوَةً وَمَراحا
وإِذا ما افْتَرَشْتَ يا حُلْوُ أَحْضا
ني وصَيَّرْتَ ساعِدَيَّ وِشاحا
نَمْ، وَضَعْ رَأْسَكَ الجَميلَ عَلى صَدْ
ري، لأَجْني شَقائِقاً وأَقاحا

* * *

يا صَغيراً أَطَلَّ مِنْ كُوَّةِ الرُّؤْ
يا عَلى مُهْجَتي، ولاحَ صَباحا

أَنــا بــالـصَّـحْـوِ يـا مَـلاكـي جَـمُـوحٌ
آهِ مـا ضَـرَّ لَـوْ كَـبَـحْـتُ الـجِـمـاحـا
يـا حَـبـيـبـي: والـشَّـمْـسُ فـي كـبـدِ الأُفْـ
ـقِ سَـئِـمْـتُ الـنِّـداءَ والإِلْـحـاحـا
أَزِفَــتْ سـاعــةُ الـرَّحـيــلِ، وَقَــدْ وَدَّعَ
مَـهْـدُ الـصِّـبـا الـظِّـبـا والـمـلاحـا
أَنـا أَخْـشـى عَـلَـيْـكَ مِـنْ أَهْـلِـكَ الـسُّـو
ءِ، فَـهَـلَّا جَـعَـلْـتَـنـي مُـرْتَـاحـا
يـا حَـبـيـبـي: تَـغَـلْـغَـلَ الأَلَـمُ الّـلاذِعُ
فـي مُـهْـجَـتـي، وأَنْـكـا الـجِـراحـا
يــا حَـبـيـبـي: تَـأَصَّـلَ الـدّاءُ بـالـرُّو
حِ وَعَــزَّ الــدَّوا، فَــنَــاحَ وَبَــاحــا
يـا حَـبـيـبـي: تَـمَـرْكَـزَ الـشَّـجَـنُ الـصّـا
رِخُ بـالـقَـلْـبِ عـنْـوَةً واسْـتَـبـاحـا
قُــمْ أَثِــرْ غــافــيَ الــمـخــاوِفِ إِنّــي
أَبَــداً أَعْــشَــقُ الأَســى والــنّــواحــا
قُـمْ أَثِـرْهـا حَـرْبـاً عَـلَـيَّ عَـوانـاً
ثُـمَّ دَعْـنـي مُـعَـذَّبـاً مُـلْـتـاحـا
فَـأَنـا شـاعِـرٌ، خُـلِـقْـتُ لأَشْـقـى
لا لأَلْــقــى سَــعَــادَةً وَفَــلاحــا
خـارَ عَـزْمـي، مُـذْ صـارَعَـتْـنـي الـلَّـيـالـي
ثُـمَّ أَلْـقَـيْـتُ، رَغْـمَ أَنـفـي، الـسِّـلاحـا

ما الـذي أَبْـقَـتِ الـمَـصـائِـبُ مِـنّـي

مِنْ حَـياةٍ، حَـتَّـى أوالـي الـكِـفـاحـا

إيـهِ رُبَّـانَ زَوْرَقـي، هـاكَ قَـلْـبـي

إِنَّـنـي قَـدْ جَـعَـلْـتُـهُ مَـلاّحـا

إِنَّـنـي هَـهُـنـا عَـلـى شـاطِـىءِ الـرَّمْـلِ

أُشَـاكِـي الـنّـوى مَـسـاءَ صَـبـاحـا

وأَنـا هَـهُـنـا مُـقِـيـمٌ عَـلـى الـعَـهْـدِ

أُنَـاجِـي الأَوْهـامَ والأَشْـبـاحـا

مـا أَعَـرْنـا عَـذْلَ الـعَـواذِلِ أُذْنـاً

إِذْ سَـمِـعْـنـا عـواءَهُـمْ والـنّـبـاحـا



حَـوّاء (١)

طالَ النَّوى، يا قُبْلَةَ الأَنْظارِ، فَتَرَفَّقي بالوامِقِ المُتَواري
حَوّاءُ، ما هذا التَّجَنّي بالقلا رُحْماكِ لَسْتُ بِعاشِقٍ صَبّارِ
حَوّاءُ، قَدْ نَشَرَ الظَّلامُ رِداءَهُ هَلّا سَمِعْتِ بِجُنْحِهِ اسْتِغْفاري
فَنَسائِمُ الإِمْساءِ عَنْكِ سَأَلْتُها فَسَلي نَسيمَ الصُّبْحِ عَنْ أَخْباري
حَوَّاءُ، بينَ أَضالِعِي قَلْبٌ بِحُبِّكِ خافِقٌ، لا يعبا بالأَخْطارِ
حَوَّاءُ، بَيْنَ جَوانِحي نارٌ، وَعافَ زِيارَتي مِنْ حَرِّها زُوَّاري
أَوَ ما سَمِعْتِ شَهيقَهَا وَزَفِيرَها يَوْمَ الوَداعِ، فَيا لَها مِنْ نارِ!
حَوّاءُ أَعْشَقُ ثَغْرَهَا فَلَكَمْ تَطَارَحْنا الغَرامَ، وَثَغْرُها خَمّاري
حَوّاءُ هِمْتُ بِصَوْتِها حَتّى غَدَتْ أُذُنايَ تَكْرَهُ نَغْمَةَ الأَوتارِ
حَوّاءُ، يا ذاتَ الجَمالِ، ويَا ضِيا هذا الوُجودِ، وَرَبَّةِ الأَشْعارِ
وَيْلاهُ قَدْ هُجِرَتْ مَجَالِسُ أُنْسِنا وَخَلَتْ مِنَ النُّدَماءِ والسُّمّارِ
لا الرّاحُ بالكاساتِ مُشْرِقَةٌ بها فَتُبَدِّدُ الظَّلْماءَ بالأَنْوارِ
كَلّا، ولا الأَوْتارُ صادِحَةٌ فَتُلْهِمُنا الغِناءَ بِهَدْأَةِ الأَسْحارِ
حَوّاءُ، قَدْ صَمَتَتْ بِلابِلُ رَوْضِنا وسَرى الذُّبولُ بِأَجْمَلِ الأَزْهارِ
لا الوَرْدُ في جَنَباتِهِ مُتَبَسِّمٌ فَيُعَطِّرُ الوَرْدُ النَّسيمَ السّاري
كَلّا، ولا الأَشْجارُ مُورِقَةٌ، فَيَشْـ ـدو الطَّيْرُ فَوْقَ ذَوائِبِ الأَشْجارِ
حَوّاءُ، وادي اللَّهْوِ أَصْبَحَ مُقْفِراً خالٍ مِنَ الأَزْهارِ والأَطْيارِ
لا الرّيمُ، يا حَوّاءُ، سارِحَةٌ بِهِ تَخْتالُ بالآصالِ والأَبْكارِ
كَلّا، ولا الغاداتُ في أَحْضانِهِ يَحْمِلْنَ بالأَيْدي كُؤوسَ عقارِ
يا حُبُّ، بَيْنَ يَدَيْكَ نَفْسي تَشْتَكي أَفَما كَشَفْتَ غَوامِضَ الأَسْرارِ
يا حُبُّ، أَنْتَ ضِيَا الحَياةِ وَسِرُّها مَزِّقْ بِنُورِكَ كُلَّ كُلَّ سِتَارِ
يا حُبُّ، أَحْلامُ الغَرام جَميلَةٌ رُحْماكَ، فَهْيَ قَصِيرَةُ الأَعْمارِ
يا حُبُّ رِفْقاً، فالقُلُوبُ بَرِيئَةٌ والذَّنْبُ للأَسْماعِ والأَبْصارِ
يا حُبُّ، أَنْتَ الصَّارِمُ القَهّارُ، لَسْتُ بِمشْرِكٍ بالواحِدِ القَهّارِ

* * *

---

(١) حصلنا على هذه القصيدة من السيد محمد الرفاعي المستشار في محكمة الاستئناف العليا بالكويت.

التقيا سرًا لكيلا

أَتْــرِعــي الأَقْــداحَ يــا حَــوَّا فــإنَّ الــلَّــيْــلَ عَــسْــعَــسْ
وَيَــنُــمُّ الــوَرْدُ إنْ شَــاءَ إذا الــصُّــبْــحُ تَــنَــفَّــسْ

❀ ❀ ❀

وأَديــري الــكَــأْسَ بــالــلَّــهِ فَــمــا أَعْــطَــشَ قَــلْــبــي
فــابْــنَــةُ الــعــنْــقُــودِ تُــحْــيــي كُــلَّ مَــيْــتٍ، إي وَرَبّــي

❀ ❀ ❀

لا تَــخَــافــي غَــفَــلَ الــوَاشــي ونَــامَ الــرُّقَــبــاءْ
فــاسْــفِــري يــا رَبَّــةَ الــحُــسْــنِ، وعُــنْــوانَ الــوَفَــاءْ

❀ ❀ ❀

لأَرَى الــطَّــرْفَ الــذي كَــمْ صَــرَعَ الــصَّــبَّ احْــوِرارُهْ
وَأَرَى الــخَــدَّ الــذي كَــمْ أَخْــجَــلَ الــوَرْدَ احْــمِــرارُهْ

❀ ❀ ❀

وأَرى الــثَّــغْــرَ الــذي أَحْــلــى مِــنَ الــخَــمْــرِ رُضــابُــهْ
وَأَرَى الــجَــفْــنَ الــذي كَــمْ مَــزَّقَــتْ قَــلْــبــي حِــرابُــهْ

❀ ❀ ❀

وأَرَى الــجِــيــدَ الــذي كَــمْ تَــيَّــمَ الــرّيــمَ جَــمــالُــهْ
وأَرَى الــقَــدَّ الــذي كَــمْ أَدْهَــشَ الــغُــصْــنَ اعْــتِــدالُــهْ

❀ ❀ ❀

عــانِــقــيــنــي، صَــدَقَ الــلَّــهُ «فَــبَــعْــدَ الــعُــسْــرِ يُــسْــرا»
سَــكِــرَتْ رُوحــي، فَــهَــلْ رُوحُــكِ يــا حَــوّاءُ سَــكْــرى؟

❀ ❀ ❀

لَمْ يَرُقْ لِيْ العَيْشُ لَوْلاكِ فَيَا حَوّا أَفيقي
أَنْتِ أُمّي وَأَبي، أَنْتِ خَليلي وَشَقيقي

❞ ❞ ❞

وارْقُصي، فالْقَلْبُ ما بَيْنَ الحَنايا قَدْ رَقَصْ
وَدَعِينا نَنْتَهِزْ، يا رَبَّةَ الحُسْنِ، الفُرَصْ

❞ ❞ ❞

وَضَعي رَأْسَكِ في أَحْضانِ مَنْ يَخْشَى عَلَيْكِ
وأَنْعِمي بالاً، ونَامي فَأَنا طَوْعُ يَدَيْكِ

❞ ❞ ❞

وَهَزارُ الدَّوْحِ غَنَّى فَإذا لاحَ الصَّبَاحْ
فَلْنَنَمْ نَوْماً هَنيئاً وَحَمامُ الأَيْكِ نَاحْ

❞ ❞ ❞

فَلْنُفِقْ كَيْ نَحْتَسي، يا سَلْوَةَ الرُّوحِ، الصَّبُوحْ
وَدَعي الأَزْهارَ والأَطْيارَ، إنْ شَاءَتْ، تَبُوحْ

❞ ❞ ❞

مَنْ رآنا، يا حَياةَ الرُّوحِ، في هَذِي الجُنَيْنَهْ
خالَنَا قَيْساً وَلَيْلَى أَوْ جَميلاً وبُثَيْنَهْ

❞ ❞ ❞

إنْ نَمُتْ، أَيَّتُها العَذْراءُ، إنَّ الحُبَّ خالِدْ
يا مَلاكَ المَوْتِ خُذْها رُوحَ مَعْبودٍ وعَابِدْ

❞ ❞ ❞

أَنا قَيْسٌ في هَواهِا وَهْيَ في حُبِّيَ لَيْلَى
عَاشِقانِ امْتَزَجَا والْتَقَيا سِرّاً لِكَيْلا

❞ ❞ ❞

الوصف في شعره

ﷺ الوصف من أجمل فنون الشعر العربي، وقد بلغ الذّروة في البلاغة والرّوعة والجمال، وقد رأينا الشعراء الفحول يسمون سموّاً في الوصف الشعري، ويصوّرون تصويراً دقيقاً، ما يشاهدونه من محاسن الطبيعة، ومفاتن الجمال، وسموّ الخلق. حتى أننا لنكاد نرى في أشعارهم كثيراً من الصوّر المتحرّكة حين يصفون جمال الطبيعة، أو جمال المرأة، أو الخلق. ويأتي الوصف في كثير من الشعر، لا يتقيّد بباب من أبوابه التي نعرفها، فالغزل وصف، والمديح وصف، والرثاء وصف، وهكذا جميع أبواب الشعر، وقد بلغ شاعرنا «فهد» منزلة لابأس بها في الوصف، كما رأينا، في قصائده السابقة، ولدينا الآن ثلاث قصائد خاصة بالوصف، أثبتناها هنا دليلاً على قوَّته في وصف ما يصف، وعلى خصب خياله وجودة تصويره، وهي قصائد «البلبل» و«الحنين إلى الوطن» و«الجندي في ميدان القتال».

أما قصيدة البلبل فقد نظمها عام ١٩٤٧م، وتحدَّث عن الطائر الغريد «البلبل»، وقد علا غصناً في إقبال الخريف، فأخذ يقصُّ ذكرياته عن الربيع الجميل الباسم، في عذوبة وجمال لا حدَّ لهما، وقد نشرت هذه القصيدة في مجلة (الكتاب) التي كانت تصدرها دار المعارف بمصر، وهي:

البلبل

وَلْهانُ ذو خافِقٍ رَقَّتْ حَواشِيهِ
يَصْبُو، فَتَنْشُرُهُ الذِّكْرى، وتَطْوِيهِ

كَأَنَّهُ، وهوَ فَوْقَ الغُصْنِ مُضْطَرِبٌ،
قَلْبُ المشُوقِ، وقَدْ جَدَّ الهَوى فيهِ

رَأى الرَّبِيعَ وَقَدْ أَوْدى الخَرِيفُ بِهِ
بَيْنَ الطُّيورِ كَمَيْتٍ بَيْنَ أَهْلِيهِ

فَراحَ يُرْسِلُها أَنَّاتِ مُحْتَضَرٍ
إِلى السَّماءِ، وَيَشْكُو ما يُعانِيهِ

لا الرَّوْضُ زاهٍ، ولا الأَكْمامُ باسِمَةٌ
ولا عَرائِسُهُ سَكْرى، فَتُلْهِيهِ

يُجِيلُ ناظِرَهُ فيهِ، ويُطْرِقُ في
صَمْتٍ، فَيُشْجِيهِ مَرْآهُ، وَيُبْكِيهِ

ماذا رَأى غَيْرَ أَعْوادٍ مُبَعْثَرَةٍ
عَلَى هَشِيمٍ، بِهِ وَارى أَمانِيهِ

فَلِلْخَرِيفِ صُراخٌ فيهِ يُذْعِرُهُ
والرِّيحُ تَزْفُرُ في شَتّى نَواحِيهِ

حَيْرانُ، ما انْفَكَّ مَذْهُولاً كَمُتَّهَمٍ
لَمْ يَجْنِ ذَنْباً، وَلَمْ يَنْجَحْ مُحامِيهِ[1]

تُطِلُّ مِنْ كُوَّةِ الماضي عَلَيْهِ، وَقَدْ
أَشْجاهُ حاضِرُهُ، أَطْيافُ ماضِيهِ

---

(١) هذا المعنى جديد جميل.

يَـرْنُـو إِلَـيْـهـا، كَـمـا يَـرْنُـو الـمَـريـضُ، وَمَـا
أَبَـلَّ بَـعْـدُ، إلـى عَـيْـنَـيْ مُـدَاوِيـهِ[1]
فَـيَـسْـتَـمِـرُّ نُـواحـاً كـالـفَـطـيـمِ رأى
ثَدْياً، فَصَاحَ، وأَيْنَ الثَّدْيُ من فيهِ[2].
وإِنْ غَــفَــا رَاحَــتِ الأَحْــلامُ عَــابِــثَــةً
بِـهِ، فَـتُـدْنِـيـهِ أَحْـيـانـاً، وَتُـقْـصـيـهِ
وَكَـمْ تَـراءَتْ لَـهُ مِـنْ خَـلْـفـهـا صُـوَرٌ
يَـخْـتـالُ فـيـهـا الـرَّبـيـعُ الـبِـكْـرُ في تـيـهِ
فـيَـسْـتَـفِـيـقُ، فَـلا الأَغْـصـانُ مُـورِقَـةٌ
كَـلَّا، ولا الـسّـامِـرُ الـشّـادي يُـنَـاجِـيـهِ
فَـيَـسْـكُـبُ الـلَّـحْـنَ أَنَّـاتٍ يَـغُـصُّ بـهـا
وَيْـحَ الـشِّـتـاءِ، فَـمـا أَقْـسـى لـيـالـيـهِ

* * *

وَلّـى الـشِّـتـاءُ فَـوافَـى الـدَّوْحَ بُـلْـبُـلُـهُ
وَجـاءَ آذارُ بـالـبُـشْـرَى، يُـهَـنِّـيـهِ
وأَقْـبَـلَـتْ سَـحَـراً نَـشْـوى نَـسَـائِـمُـهُ
تَـهْـفـو وتَـلْـثُـمُـهُ شَـوْقـاً، فَـتَـشْـفـيـهِ
واسْـتَـقْـبَـلَ الـرَّوْضُ بـالأَطْـيـابِ شـاعِـرَهُ
وَهَـبَّـتِ الـطَّـيْـرُ أَسْـرابـاً تُـحَـيِّـيـهِ

(١) لم أر لأحد قبله استطلاع المريض حاله من عيني مداويه! فهو معنى جديد أيضا، وكم لفهد من معنى جديد!
(٢) لم أر من قبل من شبه المكلوم في نوحه، بالطفل رأى ثديا.

فَأَيْنَ «داوُودُ» مِنْ أَنْغامِ مُطْرِبِهِ؟!
وأَيْنَ (معبدُ) مِنْ أَلْحانِ شاديهِ؟!
جَذْلانُ يَطْفرُ مِنْ غُصْنٍ إلى غُصُنٍ
وَبَسْمَةُ الصُّبْحِ بالإِنْشادِ تُغْريهِ
فَيُوردُ الشِّعْرَ آياتٍ يُرَتِّلُها
مِنْ وَحْيِ (نيسانَ)، والأَوْتارُ تَرْويهِ
الرُّوحُ تَهْفُو لِمُوسيقاهُ في مَرَحٍ
والقَلْبُ يَرْشُفُ أَحْلاماً مَعانيهِ[1]
تَكادُ تَسْمَعُ فيهِ حينَ يُرْسِلُهُ
دَقّاتِ خافِقِهِ، والوَجْدُ يَكْويهِ
وَتَلْمَحُ الفَنَّ في دُنْيا تَرَنُّمِهِ
وتَشْرَبُ السّحرَ خَمْراً في تَغَنّيهِ
سَكْرانُ يَرْقُصُ فَوْقَ الدَّوْحِ مُبْتَهِجاً
والوُرْقُ رَأْدَ الضُّحَى وَلْهى تُصَابيهِ
الفَجْرُ خَمّارُهُ، يَبْدو، فَيَصْبَحُهُ
والرَّوْضُ مَعْشوقُهُ، والأَيْكُ ناديهِ
رَفَّتْ عَلى الوَرْدِ والرّيحانِ شادِيَةً
أَحْلامُهُ، وَبِها خَفَّتْ أغانِيهِ
حَنَا الرَّبيعُ عَلَيْهِ وهوَ في جَذَلٍ
كالطِّفْلِ حينَ يُناغِيهِ مُرَبّيهِ

---

(١) لم أسمع - على ما أذكر - برشف الأحلام للمعنى مناما.

ذَرِ الطَّبيعَةَ، يا هذا، تُدَلِّلُهُ
ذَرْهُ بَأْحضانِها يَشْدُو، وتَسْقيهِ
ذَرْهُ، وَأَفْراخَهُ في العُشِّ مُغْتَبِطاً
بِقُرْبِها ناعماً، دَعْها تُناغيهِ

* * *

وأما قصيدة «فهد» الثانية وهي: الحنين إلى الوطن، فقد نظمها عام ١٩٤٥م، وفاز بها بالجائزة الثانية في المسابقة الشعرية التي نظمتها إذاعة لندن، وقد وصف فيها الحنين إلى الوطن وصفاً بديعاً ممتعاً جميلاً، ووصف مشاعر الإنسان وهو يذكر وطنه، ويهتاج الحب والحنين إليه. وقد قال فيها:

الحَنِينُ إلى الوَطَن

صَدْيانُ، يَغْلي في حَشَاهُ المِرْجَلُ ... تَرْثي الجَنوبُ لَهُ، وتَحْنُو الشَّمْأَلُ
هَيْهاتَ تُلْهيهِ الطُّيورُ بشَدْوِها ... وَيَبُلُّ غُلَّتَهُ الرَّحيقُ السَّلْسَلُ
«كابْنِ الملوّحِ»، لا يَقرُّ قَرارُهُ ... أَبداً إلى لَيْلى يَحِنُّ، وَيَسْأَلُ
يا لائِميهِ سُقِيتُمُ صَابَ الأَسى، ... كُفُّوا، مَتى بَلَّ الأُوامَ الحَنْظَلُ؟
هَيْمانُ، كَمْ ذَكَرَ الحِمى، وَأَقامَهُ ... وَلَهٌ، وَأَقْعَدَهُ الهَوى المُتَغَلْغِلُ
واغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ، أَوْ كَادَتْ، فيا ... لِهَوىً تَطِيبُ بِهِ النُّفوسُ، وتَكْمُلُ
وتَجْودُ بالغالي، وسُحْقاً لامْرِئٍ ... لا يَبْذُلُ الغالي النَّفيسَ، ويَبْخَلُ
بِسَبيلِ مَوْطِنِهِ، وَحُبِّ بلادِهِ ... هذا، ولا عَاشَ الخَؤونُ المُبْطِلُ

* * *

لَهْفانُ، ها هُوَ والظَّلامُ مُخَيِّمٌ ... مُتَلَهِّفٌ في جُنْحِهِ مُتَعَلِّلُ
مُتَعَطِّشٌ، والذِّكرياتُ هَواتِفٌ ... تَهْفو بخافِقِهِ الحَنونِ، وتَنْهَلُ
وَتُعَرْبِدُ الأَحْلامُ فَوْقَ جُفونِهِ ... سَحَراً، ويَسْقيها الهَوى المُسْتَرْسِلُ
يَصْبو، ويَبْعَثُ، والنَّسِيمُ رَسُولُهُ، ... قُبَلاً يَكادُ يَذُوبُ فيها المرْسِلُ

لِمَسارِحٍ، ومَلاعِبٍ، ومَرَاتِعٍ ... ومَرابِعٍ فيها البُدُورُ الكُمَّلُ
شَطَّتْ وعَانَقَتِ الرُّؤى أَطْيافَهاً ... وعَلَيْهِ في وادي الكَرى تَتَنَزَّلُ

***

وَلْهانُ، قَدْ طَبَعَ الحَنينُ بذِهْنِهِ ... صُوَراً، فَدَعْهُ غارقاً يَتَخَيَّلُ
صُوَراً مُجَنَّحَةً بريشَةِ وَهْمِهِ ... تُغْرِي، وتُدْبِرُ في الخَيالِ وتُقْبِلُ
مِنْها أَطَلَّتْ ذِكْرياتٌ حُلْوَةٌ ... بيضٌ، يَقُصُّ رُؤاهُ، وَهْيَ تُؤَوِّلُ
حَفَّتْ بها الآمالُ سَكْرى والمنى ... وَدَنَتْ، فَكادَ يَضُمُّها، فَتُقَبِّلُ
فَهُنا الطُّفولَةُ والصِّبا، وهُنا الهَوى ... وهُناكَ مَلْعَبُهُ، وهَذا المَنْزِلُ
وهُنا الأَحِبَّةُ، وَدَّعُوهُ، ها هُنا ... ومَضَى وَرَاحَ بِحُسْنِها يَتَغَزَّلُ

***

نَشْوانُ، إِذْ أَصْغى بِأُذْنِ خَيالِهِ ... والوَهْمُ يُمْلي، والودادُ يُسَجِّلُ
والوَجْدُ يَرْقُصُ في قَرارَةِ رُوحِهِ ... والشَّوْقُ يَعْزِفُ، والفُؤادُ يُرَتِّلُ
فَشَدا لَهُ نايٌ، وغَنَّى شاعِرٌ ... وَتَرَنَّمَتْ وُرْقٌ، ورَجَّعَ جَدْوَلُ
وتَساءَلَتْ أُمٌّ، وَذَكَّرَ والِدٌ ... وَدَعا أَخو رُوحٍ، وأَمَّنَ مَحْفَلُ
واسْتَفْسَرَتْ أُخْتٌ، ونَادَتْ طِفْلَةٌ ... والكُلُّ مِنْهُمْ شَفَّهُ ما يحْمِلُ
دُنْيا من الأَوْهامِ غابَ سُوَيْعَةً ... فيها، وَعَادَ وَقَلْبُهُ يَتَمَلْمَلُ

***

مُتَفائِلٌ، لا اليَأْسُ يَعْرِفُ مَدْخَلاً ... لِفُؤادِهِ، وهْوَ الشَّجِيُّ، فَيَدْخُلُ
صَرَعَ الشُّكوكَ بِحَزْمِهِ ويَقِينِهِ ... ومِنَ الوَساوِسِ ما يَحزُّ، ويَقْتُلُ
فاسْمَعْهُ يا هذا يُحَيّي مَوْطناً ... في جَانِحَيْهِ لَهُ المَقامُ الأَوَّلُ
وَطَني فَدَيْتُكَ عِشْ، وَدُمْ، واسْلَمْ، وَطِبْ
فَحَمائِمُ السَّلْمِ القَريبِ سَتَهْدِلُ
والمَجْدُ باسْمِكِ يا رُبُوعُ مُسَبِّحٌ ... والفَخْرُ يَهْتِفُ، والزَّمانُ يُهَلِّلُ

***

الجُنْدِيّ في مَيْدانِ القِتال

وَدَّعَ الأَهْلَ، والحِمى، والمَغانِي، مُدْنَفٌ شَفَّهُ هَوى الأَوْطانِ
سَمِعَ الحَقَّ حِينَ نادى: أَلَمْ يَأْنِ؟ فَلَبَّاهُ غَيْرَ ما مُتَواني
وهَفَتْ رُوحُهُ إلى مَذْبَحِ الحَقِّ، وَزُفَّ القُرْبانُ للمَيْدانِ
حَيْثُ إخْوانُهُ، وكَمْ جَمَعَ المَيْدانُ شَمْلَ الإخْوانِ بالإِخْوانِ
باسِمٌ للرُّؤى، وكَمْ أَطْبَقَ الجَفْنَ، فَطافَتْ بِطَرْفِهِ الوَسْنانِ
ولأَشْباحِ وَجْدِهِ رَقَصاتٌ تَحْتَ أَضْلاعِهِ عَلى الخَفَقانِ
وَضِرَامُ الأَشْواقِ في جانِحَيْهِ يَتَلَظَّى عَلى أَعَزِّ الأماني

❖ ❖ ❖

عَشِقَ المَجْدَ، والهَوى فِكْرَةٌ تَنْمو، وَتَسْمو بالرُّوحِ والوِجْدانِ
واجْتَوى الذُّلَّ... كَيْفَ لا، وهْوَ حُرٌّ؟
أَيُطِيقُ الأَحْرارُ عَيْشَ الهَوانِ؟
يا لَهُ اللَّهُ مِنْ هُمَامٍ غَيُورٍ
صادِقِ العَزْم ثابِتِ الإيمانِ
(حَمَلٌ)، قَبْلَ أَنْ تَدُورَ الرَّحى، (لَيْثٌ)، إذا أَوْشَكَتْ، قَوِيُّ الجَنانِ
يَتَغَنَّى - والمَوْتُ مِنْهُ قَريبٌ -
بالمنى، والجُنْدِيُّ رَمْزُ التَّفاني
أَيُّ وَقْعٍ في النَّفْسِ - صاحِ - لِمَرْأى
مُسْتَميتٍ يَخْتالُ في الأَكْفانِ
تَتَراءَى في عَيْنِهِ صُوَرٌ قَدْ أَخْرَسَتْ عَبْقَرِيَّةَ الفَنّانِ
رَسَمَتْها بِريشَةِ الحَزْمِ والعَزْمِ يَدُ الحَقِّ في أَدَقِّ مَعانِ
وإذا ما دَعاهُ قائِدُهُ الباسِلُ لَبَّى بالرُّوحِ، لا باللِّسانِ.
يَتَخَطَّى الصِّعابَ غَيْرَ مُبالٍ بِزَفِيرِ الآلاتِ والنِّيرانِ

وزَئـيـرُ الـحَـديـدِ فـي أُذُنَـيْـهِ شَـدْوُ قـيـثـارَةٍ، ورَجْـعُ مَـثَـانـي
وأَنِـيـنُ الـجَـرْحـى وحَـشْـرَجَـةُ الـمَـوْتـى هُـتـافٌ، لا عَـاشَ كُـلُّ جَـبانِ
ويَـزِيـدُ الـمَـلاّحَ، فـي ثَـوْرَةِ الـيَـمِّ نَـشـاطـاً مَـهَـارَةُ الـرُّبَّـانِ

* * *

دَمُـهُ فـي عُـرُوقِـهِ أَجَّـجَـتْـهُ ثَـوْرَةُ الرُّوحِ، فَـهْـوَ فـي غَـلَـيَـانِ
هـاتِـفٌ صَـارِخٌ بِـهِ، وهْـوَ فـي لَـيْـلٍ مِـنَ الـنَّـقْـعِ بَـيْـنَ سُـحْـبِ الـدُّخـانِ
وَكُـؤُوسُ الـرَّدى يَـطُـوفُ بِـهـا الـهَـوْلُ، فَـلِـلَّـهِ سَـكْـرَةُ الـنُّـدْمـانِ
كُـلَّـمَـا صَـفَّـقَ الـعُـلا لِـشَـهِـيـدٍ، هَـتَـفَ الـمَـجْـدُ لِـلـشَّـهِـيـدِ الـثـانـي
أَيُّ بَـأْسٍ كَـبَـأْسِـهِ، حـيـنَـمـا ثَـارَ بِـوَجْـهِ الأَعْـداءِ كـالـبُـرْكـانِ
ثَـوْرَةٌ زَلْـزَلَـتْ قُـلـوبـاً وأَرْواحـاً، فَـبـاءَ الـعَـدُوُّ بـالـخِـذْلانِ
إِنَّ لِـلْـحَـقِّ صَـوْلَـةً تَـصْـرَعُ الـظُّـلْـمَ، وَتُـودي بـالـبَـغْـيِ والـطّـغْـيـانِ
وَجُـنـوداً تَـمُـدُّهُـمْ قُـوَّةُ الـلَّـهِ، ويَـرْعَـاهُـمُ بِـعَـيْـنِ الـحَـنـانِ
وَجَـلالاً مِـلْءَ الـنُّـفُـوسِ تَـجَـلَّـى بِـثَـبَـاتِ الـشُّـيـوخِ والـشُّـبَّـانِ
وجَـمـالاً حَـوَاهُ أَسْـمـى وِسَـامٍ رَصَّـعَـتْـهُ الـجُـرُوحُ بـالـمُـرْجَـانِ

* * *

إِيـهِ يـاابْـنَ الـحُـرِّيَّـةِ الـبِـكْـرِ، أَبـلَـيْـتَ، فَـإِنْ يَـهْـدِمـوا، فَـأَنْـتَ الـبـانـي
فَـعَـلَـيْـكَ الـسَّـلامُ حَـيّـاً وَمَـيْـتـاً وَتَـقَـبَّـلْ مِـنّـا أَحَـرَّ الـتَّـهـانـي

* * *

قصيدتان جديدتان

وهاتان قصيدتان من أجمل قصائده في الوصف، يصف في القصيدة الأولى (الشّاعِرُ والغروب) حالة الشاعر الباكي في الغروب، وهو إنما يصف حالته هو، وما يعانيه من بؤس وشقاء.

أمّا القصيدة الثانية (على الشاطىء) فيصف فيها الشاطىء، وهدير الموج وصراخه، وهبوب الرّياح العاتية وعويلها، ويفرغ في هذه القصيدة أشجانه وما يعانيه من ألم ممضّ، ويجترّ فيها بعض ذكرياته الماضية الحلوة، التي مرَّت كلمح البصر.

والقصيدتان نشرتا في «مجلة الكويت». الأولى نشرت في العدد الأول منها، والثانية نشرت في العدد الرابع، ومجلة «الكويت» كان يصدرها الزميل يعقوب عبدالعزيز الرشيد، ويحرّرها المرحوم عبدالله العلي الصانع، وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة في شهر حزيران (يونيه) سنة ١٩٥٠م. ولم نطلع على هاتين القصيدتين إلاَّ بعد صدور الطبعة الأولى من كتابنا هذا.

الشاعر والغروب

أَيُّهذا الشّاعِرُ المُغْتَرِبُ الباكي أَصيلا
حَسْبُكَ اللَّهُ تَجَلَّدْ وَاتَّئِدْ وَاهْدَأْ قَليلا
وأَصِخْ لي واتَّخِذْني يا أَخا البُؤْسِ، خَليلا
فَكِلانا لَمْ يَجِدْ إِلَّا إِلى «الآلِ» سَبيلا

...

يا رَفيقي، يا رَسُول الحُبِّ في دُنْيا القُلُوبِ
ما الذي أَشْجاكَ؟ هَلْ سُخْرِيَةُ الآلِ الكَذُوبِ؟
أَمْ شُحُوبُ الشَّمْسِ أَمْ ما تَرَكَتْ بَعْدَ الغُرُوبِ
أَمْ هُجُومُ اللَّيْلِ بالأَشْباحِ في الشّاطِي الصَّخُوبِ

...

كَفْكِفِ الدَّمْعَ، فَمَا أَثْمَنَ دَمْعَ البُؤَساءِ
هُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَزْكى مِنْ دِماءِ الشُّهَداءِ
وادَّخِرْ ما تَرَكَتْ مِنْهُ العَوادي لِلشِّتاءِ
عِنْدَما تَهْتِفُ ذِكْرى الصُّبْحِ في صَمْتِ المَساءِ

...

هَاكَ كُوبي واغْتَبِقْ في مَأْتَمِ الفَصْلِ الغَضُوبِ
عَلَّ في النَّهْلَةِ ما يَنْفي وَلَوْ بَعْضَ الرّيوبِ
والْتَمِسْ لِلنَّفْسِ والقَلْبِ عَزاءً في شُحُوبي
فالخُطُوبُ الغُبْرُ لَمْ تَتْرُكْ بِكَفِّي غَيْرَ كُوبي

...

يا طَريدَ الدَّهْرِ والنَّحْسِ، قَرينَ الشُّعَراءِ
سائِلِ اللَّيْلَ فَبِي ما بِكَ مِنْ داءٍ عَياءِ
وَكِلا الدّاءَيْنِ مِنْ دُنْيا المآسي والعَناءِ

فالأذى والبُؤسُ فيها حَظُّ أَبْناءِ السَّماءِ

❁ ❁ ❁

إنْ تَسَلْني، فَأَنا ابْنُ الرّيبِ مُذْ كُنْتُ صَبيّا
آهِ ما أَشْقى الذي يُوهَبُ حِسّاً شاعِرِيّا
الشَّجى والأَرَقُ امْتَصّا السَّنى مِنْ مُقْلَتَيّا
كَذَبُوا، واللَّهِ لَمْ أُطْفِئْ سِراجي بِيَدَيّا

❁ ❁ ❁

كَمْ رَمى الأَوغادُ - والأَهْدافُ - أَفْذاذٌ كِرامُ
آثَرُوا الصَّمْتَ، وغَبْنٌ أَنْ يُصابُوا وَحَرامُ
وَقَديماً قالَها شاعِرُنا الفَحْلُ الهمامُ
«ما أَنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ مَعْدنُ التِّبْرِ الرَّغَامُ»

❁ ❁ ❁

الأَكاذيبُ - وَقَدْ طالَ سُكُوتي والقُعودُ
أَصْبَحَتْ رائِجَةً، لا عاشَ في النّاسِ الحَسُودُ
يُوقِدُ النّارَ فَيَصْلاها، وتَخْبو، فَيَعُودُ
والأَراجيفُ سِلاحٌ والنَّميماتُ جُنودُ

❁ ❁ ❁

آهِ مِنْ عاصِفَةٍ هَوْجاءَ في نَفْسي الشَّقِيَّهْ
زَلْزَلَتْ قَلْبي، وَأَوْدَتْ بِرُؤاهُ الذَّهَبِيَّهْ
أَنا في طَخْياءَ كَمْ لِلْهَمِّ فيها مِنْ ضَحِيَّهْ
لَمْ تُغَيِّبْ شاعِراً إلّا وَوَافَتْهُ المَنِيَّهْ

❁ ❁ ❁

على الشاطئ

يا نَديمي في صِبايا أنْتَ يا مَلْهى الصّبَايا
أَنْتَ يا مَهْدَ هَواها وَرؤاها وَهَوايا
أنتَ يا مُلْهِمَ قَلْبي الشّعْرَ، جَدَّدتَ أَسايا
وَبعَثْتَ الحُبَّ وا لَهْفي على تِلْكَ البَقايا

* * *

يا سَميرَ الأمْسِ، يا مَنْ فيهِ لَمْ يَخْلُ محلّي
يوْمَ كُنّا نَتَعاطى الرّاحَ سِرّاً، وَنُصَلّي
نَسْتَحي حَتّى مِنَ الأنْجُمِ والبَدْرِ المُطِلِّ
أينَ أمْسي والّتي كم ساءَها بالحُبِّ ذلي؟

* * *

ها هُوَ الشّاطِيءُ فاسْمَعْ أيّها القَلْبُ، هَديرَهْ
وَصُراخَ المَوْجِ في الظّلْماءِ طَوْراً وَزَفيرَهْ
وَعَويلَ الرّيحِ إذْ تَلْطِمُ بالمَوْجِ صُخُورَهْ
مَأْتَمٌ ثارَ بِهِ العَقْلُ على الرّوحِ الأسيرَهْ

* * *

أيّهذا الهائِجُ الصّاخِبُ، أوْقَدْتَ الضِّراما
وَمِنَ الآثارِ والأطْيافِ ما يُذْكي الغَرَاما
أنا عَطْشانُ وَكَمْ مِنْ نَبَأٍ بَلَّ أواما
فَعَنِ السّمْراءِ خَبِّرْني، وأَقْرِئْها السَّلاما

* * *

ها هُنَا عاهَدْتُ (هِنْداً) بَعْدَمَا حَرَّرْتُ نَفْسي
ها هُنا بالحُبِّ والنَّشْوَةِ قَدْ غَيَّبْتُ نَحْسي
وهُنا في غَيْهَبِ الأَتْراحِ قَدْ وارَيْتُ أُنْسي
وهُنا أَبْكَيْتُ (هِنْداً)، فاحْفِرُوا إنْ مُتُّ رَمْسي

* * *

هذهِ الصَّخْرَةُ، كَمْ في ظِلّها وَقْتَ الظَهِيرَهْ
جَلَسَتْ مُنْشِدَةً شَادِيَةً (هِنْدُ) الصَّغيرَهْ
وعَلى تِلْكَ وَهَذي في لَيالينا الأخيرَهْ
كَمْ نَشَرْنا مِنْ بِساطٍ وشَرِبْنا بالكَبِيرَهْ

• • •

وَعَلى هاتيكَ، والشَّمْسُ بِأَحْضانِ المغيبِ..
بُحْتُ قَبْلَ القُبْلَةِ الأولى بحُبّي لِلْحَبِيبِ
وعَرُوسُ الشِّعْرِ كَمْ طافَتْ بِذيّاكَ الكَثيبِ
وعَلَيْهِ (هِنْدُ) كَمْ غَنَّتْ لُحُونَ العَنْدَلِيبِ

• • •

إنَّ لي عِنْدَكَ لَحْناً هاتِهِ يا مَوْجُ هَاتِهْ
مِنْ لُحُونٍ هَتَفَ الصَّيْفُ بِها في أُمْسِياتِهْ
فَهْيَ لِلْقَلْبِ وَكَمْ رَتَّلَها في صَلَواتِهْ
أَنَا في مَعْبَدِهِ، قَدْ صُغْتُها مِنْ عَبَراتِهْ

• • •

كُنْ ضَنيناً أَيُّها اللَّيْلُ بِسِرّ قَدْ أَذاعَهْ
تائِهٌ يَبْحَثُ في جُنْحِكَ عَنْ كَنْزٍ أَضَاعَهْ
هُوَ كالمَلَّاحِ، حينَ الْتَهَمَ اليَمُّ مَتاعَهْ
وانْبَرى للرّيحِ والمَوْجِ فَلَمْ تُغْنِ الشَّجاعَهْ

• • •

يا لَيالي القُرْبِ والإلْهام بالماضي القَريبِ
كَمْ تَراءَى لي عَلى ذِكْراكِ مِنْ طَيْفِ حَبيبِ
فَطَغى الشَّوْقُ، وَقَدْ يُلْهي النَّوى بَعْضَ القُلُوبِ
ما أَنَا بَعْدَكِ، بالحاسي وبالشّادِي الطَّرُوبِ

• • •

يا نَدامى، قَدْ تَحَدَّى الهَمُّ في قَلْبي المداما
هَاكَ كَأْسي، هَاكَ يا ساقي، وَعُذْراً يا نَدامى
وَذَرُوني أَجْرَعُ الصَّابَ، وأَسْتَوْحي الظّلاما
فَأَسِيرُ القَيْدِ يُصْلي كَأْسَهُ ناراً إِذاما

❝ ❝ ❝

يا فَتَاةَ الأَمْسِ، واشَوْقي لأَمْسي وَفَتاتِهْ
وَهَواءُ اليَوْم قَدْ هَبَّ بِقَلْبي مِنْ سُبَاتِهْ
وإِلى الشّاطِيءِ والأَمْسِ مَضى في حَسَناتِهْ
عُدْتُ مَحْمُولاً عَلى أَجْنِحَةٍ مِنْ ذكْرَياتِهْ

❝ ❝ ❝

عَوْدَةٌ طافَ بِها العاشِقُ، يا (هِنْدُ)، وَجالا
يَسْأَلُ الشّاطِيءَ والأَمْواجَ لَيْلاً والرِّمالا
والدُّجى والنَّجْمَ والرِّيحَ جَنُوباً وَشمالا
وَلَكَمْ حَيّا بِهِ طَيفاً وَكَمْ ناجى خَيالا

❝ ❝ ❝

يا فَتاتي، حَسْبُ مَنْ نَاداكِ في الفَصْلِ المُخِيفِ
حَسْبُ مَنْ في كَهْفِهِ، يا رَبَّةَ القَصْرِ المُنِيفِ،
حَسْبُهُ مِنْ «هِنْدِهِ» في ثَوْرَةِ الحُبِّ العَنيفِ
قُبْلَةٌ، يُغْرِقُ في خَمْرَتِها هَمَّ الخَرِيفِ

❝ ❝ ❝

فَتَعالَيْ فَزَئِيرُ الرِّيحِ بالوَصْلِ صداحُ
واصْطِخابُ المَوْجِ شَدْوٌ، وَدُمُوعُ المُزْنِ رَاحُ
لا تَقُولي نَسِيَ الماضي، وفي الحَيِّ مِلاحُ
أَنْتِ قِيثاري وكَأْسي وسَمائِي والْجَناحُ

❝ ❝ ❝

ألوان أخرى من شعره

■ «لفهد» شعر قليل في المدح، ومن شعره في المدح قصيدة قالها، ورفعها إلى أمير الكويت الشيخ عبدالله السالم الصَّباح، بمناسبة تولّيه زمام الحكم في الكويت، وهي قصيدة ممتازة جيّدة، وقصيدة أخرى عنوانها «تحية واعتراف»، وقد أهداها إلى أحد أصدقائه وهو صاحب هذه الدراسة، وقصيدة «السَّلام عليك»، وقد بعث بها إلى أحد أدباء البصرة، رداً على تحيَّته الشعرية للشاعر «فهد».

«ولفهد» أيضا تخميس في بعض أبيات لشاعر العرب الأكبر «أبي الطّيب المتنبّي»، وتشطير لبعض أبيات لأحمد شوقي، من قصيدته «يا جارة الوادي»، . ومقطوعة غزلية رقيقة، مطلعها «ما لي وللظبي الغرير الصغير».

وله شعر آخر كثير، في شتّى فنون الشعر وأغراضه، ضاع مع ما ضاع من تراثنا الأدبي القديم والحديث، ولعلّ ألسنة النار التهمته مع ما التهمت من هذه العصارات الروحية الشعرية.

وقد أثبتنا هنا ما أمكننا الحصول عليه من شعره الكثير، للتاريخ، ووفاء لحقّ هذا الشاعر البائس، الذي لا قى كلّ ما في هذه الحياة من بؤس وشقاء، ولعلنا نستطيع في المستقبل أن نجد لدى أدبائنا وشعرائنا، من محبّي الشاعر، ومقدّري شعره، بعض روائعه وآثاره. فنسجّلها له في طبعة أخرى، إن شاء الله.

فمن ذلك قصيدة «أهلاً وسهلاً بالرَّبيع» التّالية، التي نظمها الشاعر يحيّي فيها أمير الكويت، الشيخ عبدالله السالم الصباح بمناسبة تولّيه زمام الحكم في الكويت سنة ١٩٥٠م.

أهلاً وسهلاً بالربيع

جاءَ الرَّبيعُ، وأَنْتَ رَاقِدْ قُمْ، واشْدُ، يا رَبَّ القَصائِدْ
مَا لِلْبَلابِلِ حينَ يَبْتَسِمُ الصَّباحُ - ولِلْمَراقِدْ؟
لَكَ في الرِّياضِ أَسِرَّةٌ لا كالأسِرَّةِ والوَسائِدْ
قُمْ حَيِّهِ فيها وَصُغْ بِبَهائِهِ أَسْنى الفَرائِدْ
غَرَّاءُ يُغْضي النَّيِّرانُ لِضوئِهَا قَبْلَ الفَراقِدْ
والدُّرُّ في الأَصْدافِ قَبْلَ الدُّرِّ في جيدِ الخَرائِدْ
تَرْوي مَحَاسِنَها الكَوَاكِبُ لِلْعَرائِسِ والنَّوَاهِدْ
غَرِّدْ، فَكَمْ أَطْرَبْتَ مَعْبُوداً، وكَمْ جَنَّحْتَ عابِدْ
أَسْكِرْ بِها «الوادي» على فَرَحِ الأقارِبِ والأباعِدْ
وَدَعِ الحُداةَ يُرَقِّصُونَ بِها الدَّراري في الفَدَافِدْ
وذَرِ الخَليجَ بِها يُعيذُ عَرُوسَهُ مِنْ كُلِّ حاسِدْ
وأَضِفْ إلى الغُرَرِ الخَوالِدِ حِلْيَةً تَسْبي الخَوالِدْ
مِنْ دُرِّكَ الغَالي، وغَالي الدُّرِّ يُهْدى لِلأَماجِدْ
والشّاعِرُ الحُرُّ الأَبِيُّ يَصُونُهُ، والسّوقُ كاسِدْ
والشِّعْرُ ما هَفَتِ النُّفُوسُ لَهُ، وبَعْضُ الشِّعْرِ فاسِدْ
والشِّعْرُ ما اضْطَرَمَ الشُّعورُ بِهِ، وإِلَّا فَهْوَ بارِدْ
والشِّعْرُ في الأَشْرافِ حَيٌّ خالِدٌ، والمَالُ نافِدْ
ولآلِئُ الوِجْدانِ ظُلْمٌ أَنْ تُصَاغَ لِغَيْرِ ناقِدْ
والصّائِغُ المَوْهُوبُ تَلْمَعُ في قَلائِدِهِ قَلائِدْ

❖ ❖ ❖

أَهْلاً وسَهْلاً بالرَّبيعِ، بِمَنْ بِهِ دَنَتِ الشّوَارِدْ
ولِكُلِّ مُلْتاحٍ صَفَتْ شَتَّى المَناهِلِ والمَوارِدْ
أَهْلاً «بِعَبْدِ اللَّهِ» أَهْلاً بالمَفاخِرِ والمَحامِدْ

بِفَتَى الكُوَيْتِ، وَذُخْرِها وأَمِيرِها الشَّهْمِ المُساعِدْ

* * *

أَهْلاً وسَهْلاً بالمَنارِ وبالمآرِبِ، والمَقاصِدْ
أَهْلاً، ويا بُشْرى المَدارِسِ، والمَكاتِبِ والمَعاهِدْ
بَعْدَ الشّواكي، والبَواكِي، والسَّوارِي، والقَواصِدْ
يا فَرْحَةَ الشُّعَراءِ في ظُلْمِ الفَوادِحِ والشَّدائِدْ

* * *

مَوْلايَ، يا أَمَلَ «العَزيزَةِ»، وابْنَها الحُرَّ المُجاهِدْ
يا مَنْ بِرِفْعَةِ قَدْرِهِ بَعْدَ السُّها باهَتْ عُطارِدْ
ولِحُبِّهِ بِقُلوبِنا ونُفُوسِنا أَبْقى المَعابِدْ
وبِمَدْحِهِ هَتَفَ الزَّمانُ، وَكَمْ أَصاخَ وَخَرَّ ساجِدْ
يا كَوْثَراً يَشْفي، وَلا يَلْتاحُ بَعْدَ الوِرْدِ وَارِدْ
يا نِعْمَةً لِلَّهِ، لَمْ تُجْحَدْ، وما في الشَّعْبِ جاحِدْ
بالأَمْسِ شَيَّعْنا الفَقِيدَ بِدَمْعِنا، وَبِما نُكابِدْ
واليَوْمَ بَيْنَ يَدَيْكَ نُلْقي بالأَعِنَّةِ والمَقاوِدْ
فَخُذِ الزِّمامَ، وَسِرْ بِنا فالسَّعْدُ بَسَّامٌ وَصاعِدْ
سِرْ أَيُّها الفَذّ الهُمامُ، فَأَنْتَ فينا اليَوْمَ وَاحِدْ
ولَدَيْكَ عَزْمٌ، بالمَصاعِبِ يَسْتَخِفُّ وبالمَكايِدْ
وَلأَنْتَ أَدْرى بالطَّريقِ، وبالحَواجِزِ والمَصايِدْ
وَلأَنْتَ أَعْرَفُ «يا ابْنَ سَالِمَ» بالسِّياسَةِ وَالأَساوِدْ
ولأَنْتَ أَعْلَمُ بالحُقُولِ، وما تَدُرُّ وبالحَواصِدْ
ولأَنْتَ أَخْبَرُ مِنْ سِوَاكَ بِمَنْ عَلا بَعْضَ المَقاعِدْ
ما كَانَ أَغْنى المُقْلَةَ الكَحْلاءَ عَنْ تِلْكَ المَرَاوِدْ

* * *

يا رُبَّ ريحٍ طَوَّحَتْ بِسَفِينَةٍ والبَحْرُ راكِدْ
وحَمامَةٍ لِلسِّلْمِ قَصَّ جَناحَها طَمَعُ المَحايِدْ
وصَريعِ كَأْسٍ في السَّريرِ وكَلْبُهُ رَيّانُ راقِدْ
فَإِذا أَفاقَ حَسا الصَّبوحَ، وَأَلْفُ طَرْفٍ مِنْهُ ساهِدْ
ولَرُبَّ عَقْدٍ طارِفٍ لا تَشْتَريهِ بِسِلْكِ تالِدْ
والنّارُ في المِصْباحِ غَيْرُ النّارِ في جَوْفِ المَواقِدْ
وهَوى الدَّراهِمِ إِنْ تَأَصَّلَ عِلَّةٌ، كَهَوى المَوائِدْ
والزهدُ يوجَدُ في السَّماءِ، وقَدْ يَكُونُ الذئبُ زاهِدْ
هذا، وباسْمِ اللَّهِ كَمْ أُحْبُولَةٍ نُصِبَتْ لِصَائِدْ
والدِّينُ مِنْ نِعَمِ السَّماءِ، وباسْمِهِ الصَّيّادُ رَاغِدْ
وأَبو التَّعَصُّبِ والعُقوقِ «الجَهْلُ»، وَهْوَ أَبُو المَفاسِدْ
والعِلْمُ نِبْراسٌ عَلى أَضْوائِهِ تُجْنى الفَوائِدْ
فَإِلى الأَمَامِ، إلى الأَمامِ بِنا، ولا عُذْرٌ لِقاعِدْ
وإلى الصِّراطِ المُسْتَقِيمِ وَلَنْ تَرى في القَوْمِ حَائِدْ
والنّارُ مَثْوى مَنْ يَحيدُ ومَنْ يَشِذُّ عَنِ القَواعِدْ
واللَّهُ بِالْمِرْصادِ يُخْزِي كُلَّ شَيْطانٍ وَمَارِدْ
وَعَلى التَّكاتُفِ والتَّفاني كُلُّنا جُنْدٌ يُعاهِدْ
وَلَكَ التَّهاني مِنْ صَميمِ قُلُوبِنا، يا خَيْرَ قائِدْ
ولِذُخْرِنا «آلِ الصَّباحِ»، وَإِنَّهُمْ نِعْمَ السَّواعِدْ
ولَنا بعيدِ جُلوسِكَ المَيْمونِ أَعْيادٌ عَوائِدْ

* * *

يابْنَ الأُباةِ وَلِلْمَجالِ فُحُولُهُ، ولَكَ الشَّواهِدْ
كُلٌّ يَطِيرُ «وَلِلْبُزَاةِ» سَمَاؤُها، وكَذا الهَداهِدْ
مَوْلايَ لا أَشْكُو الزَّمانَ، وكَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ حَاقِدْ

كَــلَّا، وَلا أَخْــشــى الــمَــبــاضِــعَ، وَهْــيَ تُــدْمــي، والــمَــبــارِدْ
كَــلَّا وَلَــمْ آسَــفْ عــلــى «بَصَرِي»، وَلَسْتُ بِكُمْ بِفاقِدْ
لِــي فِــيــكُــمُ عَــيْــنٌ، بــهــا بِــكُــمُ أَلُــوذُ مِــنَ الــحَــواسِــدْ

* * *

يــاابْــنَ «الــصَّــبــاحِ» ومــا ابْــنُــهُ إِلَّا «الــضّــيــاءُ» لِــكُــلِّ قــاصِــدْ
دُمْ لِــلْــكُــوَيْــتِ ابْــنــاً لَــهَــا بَــرّاً، وعِــشْ لــلــشَّــعْــبِ وَالِــدْ
لــلــشّــيــبِ مِــنّــا والــشّــبــابِ، فَــكُــلُّــنــا «سَــعْــدٌ» وَ«خَــالِــدْ»
هــاكَ الــيَــمِــيــنَ عــلــى الــمَــحَــبَّــةِ والــوَلا، والــلَّــهُ شَــاهِــدْ

* * *

تحيةٌ واعترافٌ

مهداة إلى صديقي الشاعر
الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري

ذَري الـقَـلْـبَ يَـطْـوي حُـبَّـهُ، ويُـوارِيـهِ
ذِريـهِ، فَـقَـدْ أَقْـصى هَـواكِ أمـانـيـهِ

ومِنْ كَـفِّكِ الـصَّـهْـبَـاءُ صَـابٌ، فَـأَتْـرِعـي
- عَدِمْتُكِ - كَأْسي، واغْرُبي لا تُديريهِ

فَـلَـسْـتُ عَـلى الـحُـبِّ الـقَـتيـلِ بـآسِـفٍ
فَـحُـبٌّ كَـهـذا لا تُـطـاقُ مَـسـاويـهِ

ولَـسْـتُ عَـلـى أَمْـسـي وَغَـرْسـي بِـنَـادِمٍ
وَتَـبّـاً لِـقَـلْـبٍ كَـاذِبِ الـحُـبِّ يُـغْـريـهِ

دَعـيـنـي، وَهـاتـي يـا هَـلُـوكُ رَسَـائِـلـي
فَـإِنَّ رَبـيـبَ الإِثْـمِ خَـابَـتْ مَـسـاعِـيـهِ

وهَـاكِ الـذي بـالأَمْـسِ كُـنْـتُ أَضُـمُّـهُ
إلى مُـهْـجَتِي الـحَرّى، وكُنْتُ أُفَدِّيهِ

خُـذيـهِ، فـفـي طَـيّـاتِـهِ لَـكِ صُـورَةٌ،
وَدَمْعٌ، وَبَعْضُ الـدَّمْعِ خُرْسٌ مَعانيهِ

وَلـي فـيـهِ، يـا أَفْـعـى، دُمُـوعٌ بُـعَـيْـدَ مـا
أَثارَ ابْنُ جَنْبي فارْعَوى، ما سَأُخْفيهِ

ويـا شَـبَـحَ الـمَـوْتِ اذْهَـبـي وتَـصَـيَّـدِي
عَسى وَلَعَلَّ السَّهْمَ يُودي بِراميهِ

❀ ❀ ❀

حَنانَيْكَ، يا سَاقي الطِّلا، أَصُبَابَةٌ
تَبُلُّ الصَّدى، والحَيُّ عَطْشانُ شَاديهِ
إِذَنْ هاتِ هاتيكَ الزُّجاجَةَ، واسْقِني
ومِثْلي مَدِينٌ بالْحَيَاةِ لِسَاقيهِ
أَغِثْني، فَفي رُوحي لُحُونٌ حَبيسةٌ
وفي الصَّدْرِ ما فيهِ، أَغِثْني لأُبْديهِ
ويَا أَيُّها اللاّحي، وَكَأْسِيَ في يَدي
مَنارٌ لِنَفْسي، وَهْيَ تَخْبِطُ في التِّيهِ
أَأَتْرُكُ كَأْسي، وَالفُؤادُ رَبيبُها
وَهَيْهاتَ يَنْسى الْقَلْبُ فَضْلَ مُرَبِّيهِ

* * *

أَرَبَّ الرَّقيقِ الجَزْلِ أَلْفُ تَحِيَّةٍ
وَمِثْلُكَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبي أُحَيِّيهِ
وأَرْفَعُ إِعْجابي وَشُكْرِيَ خَالِصاً
لَهُ، واعْتِرافي صَادِقاً، وَأُهَنّيهِ
وَمِثْلُكَ أُهْديهِ القَريضَ مُهَذَّباً
وَلِمْ لا، وأَنْتَ الرّاقِصاتُ قَوافيهِ
تَغَنّيْتَ في الوادي، فَأَسْكَرْتَ نَشْأَهُ
وَأَطْرَبْتَ دَانِيهِ، وَرَقَّصْتَ قاصِيهِ
وَرُحْتَ عَلى الأَحْلامِ في الرَّوْضِ نائِحاً
فأَبْكَيْتَ في فَصْلِ الرَّبيعِ قَماريهِ
وَبِتَّ تَبُثُّ الوَجْدَ والشَّوْقَ زَهْرَهُ
فَيَلْقى الضُّحى، والدَّمْعُ مِلْءُ مآقيهِ

وَكَمْ نَبَّهَتْ شَكْواكَ في الدَّوْحِ بُلْبُلاً
فَشاطَرَكَ الشَّكْوى، ونارُكَ تَكْويهِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ وِجْدَانِكَ الحَيِّ صَرْخَةٌ
بَعَثْتَ بِها مَيْتاً، وَأَيْقَظْتَ ما فيهِ
وَكَمْ عَبْرَةٍ أَرْسَلْتَها إِثْرَ عَبْرَةٍ
لَمَسْتَ بِها جُرْحاً تَناساهُ آسيهِ
وَكَمْ لَكَ مِنْ أُغْنِيَّةٍ شَفَتِ الصَّدى
وَمِثْلُكَ، عَبْدَ اللَّهِ، تَشْفي أَغانِيهِ

* * *

فَتَى الهَاتِفاتِ الواثِباتِ شَوادِياً
وَيا مَنْ بِأُفْقِ الفَنِّ لاحَتْ دَراريهِ
فَدَيْتُكَ، طالَ الصَّمْتُ والرَّكْبُ حائِرٌ
وخَارَتْ قِوى حاديهِ، مُذْ تاهَ هَادِيهِ
بِرَبِّكَ أَطْلِقْها لُحُوناً مُثِيرَةً
تُحَرِّكُ في القَلْبِ الشُّعُورَ وتُذْكِيهِ
فَكَمْ صُغْتَها، والدُّرُّ صَعْبٌ مَنالُهُ،
عُقوداً بِها الوَادي فَخُورٌ «بِرامِيهِ»
عُقُوداً بِها باهى النُّجُومَ وصَانَها
وَما كُلُّ غَوّاصٍ تُصَانُ لآلِيهِ
أَخي كَمْ دَعاني الشِّعْرُ، والفِكْرُ شارِدٌ
فَلَمْ أَسْتَطِعْ، والآنَ لَبَّيْتُ داعيهِ
فَمِنْ غَوْرِ قَلْبي هَاكَها عَسْكَرِيَّةً
مُجَنَّحَةً، والشّاعِرَ الحُرَّ أُهْديهِ

* * *

لَكَ اللَّهُ

سَبَاكَ الجِيدُ والقَدُّ   وَتِلْكَ العَيْنُ والخَدُّ

وذاكَ الخَصْرُ والرِّدْفُ   وذاكَ الصَّدْرُ والنَّهْدُ

وهاتيكَ الحَواجِبُ والجَبِينُ، وشَعْرُها الجَعْدُ

ومَبْسَمُها بِما فيهِ   فَأَيْنَ الخَمْرُ والوَرْدُ؟!

وأَيْنَ الغِيدُ مِنْ لَيْلاكَ والآرامُ والمُرْدُ؟!

وَأَيْنَ الشَّمْسُ والبَدْرُ؟!   وَأَيْنَ الطَّيْرُ والرَّنْدُ؟!

سَبَتْكَ، وَكَمْ مِنْ شَاعِرٍ أَوْدى بِهِ الوَجْدُ

سَبَتْكَ، وَأَسْرَفَتْ بِدَلالِها، والأَهْلُ كَمْ وَدُّوا

سَبَتْكَ بِحُسْنِها لِتَرُوحَ مَجْذُوباً، وَلا تَغْدو

سَبَتْكَ بِحُسْنِها، والحُبُّ   فيهِ الصَّابُ والشَّهْدُ

فَجِدٌّ قَبْلَهُ مَزْحٌ   وَمَزْحٌ بَعْدَهُ الجِدُّ

وبُعْدٌ قَبْلَهُ قُرْبٌ   وَقُرْبٌ بَعْدَهُ البُعْدُ

فَأَصْبَحْتَ بِها كَلِفاً   قَليلَ الصَّبْرِ، (يا فَهْدُ)

وأَضْناكَ الشَّجى المُرُّ   بِتَهْيامِكَ والصَّدُّ

وأَرْمَضَ رُوحَكَ الشَّوْقُ   ولَيْسَ مِنَ النَّوى بُدُّ

فَلَمْ تَشْغَلْكَ خَوْلَةُ، لا،   وَلا هِنْدٌ ولا دَعْدُ

وحَظُّكَ مِنْ هَواها الغَمُّ والتَّبْرِيحُ والسُّهْدُ

فَلا رِفْقٌ وَلا عَطْفٌ   وَلا عَهْدٌ وَلا وَعْدُ

أَلَمْ يَأْنِ لَها أَنْ تَرْحَمَ المَجْنُونَ، أَمْ بَعْدُ

* * *

لَكَ اللَّهُ، إذا سَرَتِ الصَّبا أَوْ لَعْلَعَ الرَّعْدُ

ونَـادَيْـتَ: بِـرُوحـي أَنْـتِ يـا لَـيْـلَـى، ويَـا نَـجْـدُ
وأَبْـكَـيْـتَ ابْـنَـةَ الـدَّوْحِ بِـشَـكْـواكَ، وَمـا يَـبْـدو
وَأَقْـعَـدَكَ اضْـطِـرابُ الـنَّـفْـسِ فـي الـظَّـلْـماءِ والـجَـهْـدُ
كَـأَنَّـكَ قَـلْـبُ هـاتـيـكَ الـقَـطـاةِ، وَقَـدْ نَـأى الـوِرْدُ
فَـهَـلْ لامَـكَ فـي حُـبِّـكَ إِلَّا ذلـكَ الـوَغْـدُ
فَـدَعْ عَـنْـكَ الـقُـنـوطَ فَـكُـلُّ جَـزْرٍ بَـعْـدَهُ مَـدُّ

* * *

أَخـي (حَـسَـنٌ)، لِـيَ الـعُـذْرُ إِذا مـا قَـصَّـرَ الـرَّدُّ
فَـقَـدْ كَـفَّـنْـتُ قِـيـثـاري وَكَـأْسـي، مُـذْ كَـبا الـجَـدُّ
فَـلا الـصَّـهْـبـاءُ صَـهْـبَـاءٌ وَلا الأَوْتـارُ إِذْ تَـشْـدو
فَـأُفْـقُ الـنَّـفْـسِ مُـرْبَـدٌّ وَوَجْـهُ الـعَـيْـشِ مُـسْـوَدُّ
أَيَـشْـقـى الـلَّـيْـثُ وا لَـهَـفِـي عَـلَـيْـهِ، وَيَـسْـعَـدُ الـقِـرْدُ
وَلا أَطْـوي الـدَّيـاجـي صَـارِخـاً، إِنّـي إِذَنْ عَـبْـدُ
فَـلا الـمِـدْفَـعُ بـالـمُـجِـدِي إِذا لَـمْ يَـصْـدُقِ الـجُـنْـدُ
ولا الـجَـيْـشُ بِـزَحّـافٍ إِذا مـا أَطْـرَقَ الـبَـنْـدُ
ولا بـالـبَـيْـضِ والـعَـسَـلِ الـمُـصَـفَّـى يُـدْرَكُ الـمَـجْـدُ
فـيـا أَرْضُ خُـذيـنـي، وَابْـلَـعِ «الـعَـسْـكَـرَ» يَـا لَـحْـدُ

* * *

أَخـي «حَـسَـنٌ»، لِـيَ الـعُـذْرُ إِذا مـا اضْـطَـرَبَ الـرَّدُّ
فَـقَـدْ أَهْـدَيْـتَـنـي عِـقْـداً نَـفـيـسـاً دُونَـهُ الـعِـقْـدُ
فَـشُـكْـراً والـسَّـلامُ عَـلَـيْـكَ وَاشْـدُ، فَـخِـدْنُـكَ الـسَّـعْـدُ

* * *

حوار بين الشاعر فهد العسكر والأديب أحمد السيد عمر

هذه القصيدة «الخمرية»، نشرها الأستاذ الشاعر: أحمد السيد عمر في كتاباته بجريدة «الهدف»، التي كانت تصدر عن جريدة الوطن، ومعها حوار جرى بينه وبين الشاعر فهد العسكر، حيث ذكر الأستاذ أحمد بأن الشاعر طلب منه عدم نشرها وعدم إذاعتها للناس، في ذلك الوقت، وهذا هو الحوار:

«لقد تجنى الذين قالوا: إن فهد العسكر كافر ملحد. واستدلالهم على ذلك من قصائده الغزلية التي أغلبها - إن لم تكن كلها - من شحطات خياله الخصب، ومن قصائد أخرى صارخة متهجمة على التقاليد البالية في زمانه.

وأقسم بالله، إن هذا الحوار التالي، دار فيما بين فهد وبيني في أحد الأيام.

قلت له مازحًا: كيف تغيرت يا فهد من شاب متدين مغرق في إيمانه بالله ومؤد لكل الفرائض الإسلامية تقريبًا إلى متطرف في هجومه على التقاليد ورجال الدين وتارك لكل العبادات؟

فأجابني على الفور:

- السبب يا أحمد هم بعض رجال الدين -

فاستغربت قوله، وقلت: إنك مخطىء في هذا، فرجال الدين يدعون إليه، ويأمرون الناس بالمعروف، وينهون عن المنكر، فكيف يردوك إلى عكس ذلك؟

أجاب: إن رجال الدين عندنا لا يعيشون هذا العصر، وإنما يمثلون أجدادهم ربما قبل أربعة قرون، تصور أن خطبة الجمعة الأولى في

المساجد مأخوذة نصاً وروحاً من كتاب أصفر قديم ألفه أحد الأئمة قبل أربعمائة عام، والخطبة الثانية التي تليها على الفور، أحفظها عن ظهر قلب لكثرة تردادها، وأظنك تحفظها مثلي.

قلت نعم، وهي التي يبدَؤها الخطيب بقوله:

«الحمد لله - الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إرغامًا لمن جحد وكفر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر. أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله وأطيعوه، وأنيبوا إليه وراقبوه، واعلموا أن الله صلى على نبيه قديماً، فقال في حقه إجلالاً وتعظيماً، إن الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيها الذين آمنوا، صلوا عليه وسلموا تسليما». وأردت أن أكمل الخطبة فاستوقفني، وقال: لا داعي لذلك فإني أحفظها مثلك، واستطرد: تصور يا أحمد إن خطبة العيد - عوضاً عن أن تتناول مشاكل المجتمع - لا تتحدث إلا عن فريضة الصوم وأجره وثوابه وخلوف فم الصائم إلى غير ذلك مما يتصل فقط بهذه العبادة، وخطبة عيد الأضحى، لا تتحدث إلا عن قصة إبراهيم عليه السلام، وهمه ذبح ابنه اسماعيل قبالة الكعبة وإنقاذه من لدن رب العالمين بالذبح العظيم، تصور إنني لم أجلس إلى أحد من رجال الدين إلا وحديثه عن نواقض الوضوء وأحكام الصلاة واجتهادات الأئمة في أحكامهم على قضايا جانبية لا تتصل إلا بالعبادات وأدائها، ثم تصور، إنَّ بعض قضاتنا الشرعيين يحرفون أحكامهم، ويقضون بما يتلاءم ومركز المدعِي، أو المدعَى عليه، إلى غير ذلك من الأمور التي نراها ونسمع عنها، مما تزهق له النفس ويضيق به الصدر حتى لكأنه يتصعد حرجاً في السماء، وأؤكد لك يا أحمد وأقسم بالله العظيم إنني لا أنكر وجود الله سبحانه، فالأدلة عليه لا حصر لها ويكفي أن يتفكر الإنسان في هذا الكون، في هذا الملكوت العظيم وألغازه الهائلة، والذات الإنسانية فيما تدرك، ومحاولتها التعرف على ما لا تدرك

بهذا الدماغ الصغير المحير للألباب، أقول يكفي أن يتفكر الإنسان في كل ذلك، ليعرف أن للكون مدبراً حكيماً عليماً قادراً على كل شيء.

وإيماني بمحمد ورسالته لا حد له، وإعجابي بهذا الإنسان الخارق كأعظم رجل في الدنيا، بدأ من الصفر في بيئة هي ذاتها كلها صفر، وحقق للعرب والإسلام ما لم يقم به أحد لا قبله ولا بعده، وأتى للبشر بدستور إلهي (القرآن) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن جوهر الإسلام هو في الدعوة إلى العلم والمعرفة والتطور النافع والأخلاق الحميدة والسلوك الاجتماعي الصالح، والعدل والمساواة والإخاء والعطف والمحبة وصلة الرحم، والإنفاق في وجوه الخير والتفكير الفلسفي في ملكوت الله سبحانه، وفيما أنعم على البشر من آلاء ونعم لا حصر لها.

والقرآن العظيم، هذا الكتاب الإلهي المعجز، إني أقرأه بكل ترو وإمعان، وأكرر قراءته فلا أسأم ولا أمل، إنَّ به موسيقى إلهية عذبة تجل عن الوصف، وتطرب لها الأذن، وينشرح لها الصدر، تصور أنك تقرأ قصة موسى وفرعون عشرات المرات فلا تملّها، لأن آياتها ترد بذات المعاني لأحداثها، ولكنها بكلمات وجمل مختلفة منسقة مسبوكة كأروع ما يكون التنسيق والسبك، وقل مثل ذلك في القصص الأخرى مكررة وغير مكررة. أضف إلى ذلك آيات الحكم والأمثال والفلسفات والأوامر والنواهي والأحكام والتشريعات والأخلاقيات، التي لو نهجها المسلمون لكانوا في أفضل حال، أنظر إلى هذه الآية مثلا **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه، وهو ألد الخصام﴾**.

أيستطيع أي جهبذ في اللغة العربية أن يعطيك صورة للمنافق بمثل هذه الجملة القصيرة، وبمثل هذا التعبير الرائع، وهذا السبك المتقن؟ إن حروف الآية وكلماتها لكاللؤلؤ المنضود.. ثم انظر إلى هذه الآية مثلا:

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون﴾.

وهنا تبسمت ضاحكاً من قوله، وقاطعته قائلاً: إنك تضرب على النغمة التي تعجبك، لأنك من عشاق بنت النخيل وطالما تغنيت بها في أشعارك، وهذه الآية نزلت في مكة، وتعتبر منسوخة بآيتي الاجتناب والنهي عن شرب الراح اللتين نزلتا في المدينة، فقال:

ما ذكرت صحيح، ولكنني أستغرب كيف تنسخ آية تمجد شيئاً من صنع الله الذي أتقن كل شيء؟ فقلت: إنما أعني الجانب الذي يتعلق بالسكر، وأحسست بأننا سندخل في جدل عقيم، آثرت معه أن نقف عند هذا الحد، ولكي أغير مجرى الحديث، قلت له:

إني شخصياً موقن بأنك غير كافر ولا ملحد، ولا تنقم إلا على بعض الضالين من هؤلاء الذين اتخذوا الدين سلماً إلى مآربهم، وظنوا أنهم بأساليبهم البالية سائرون على النهج الصحيح ومقنعون لغيرهم باتباعهم، وإني لأرجو أن تشنف مسمعي بآخر ما لديك عن بنت النخيل:

وهنا اعتدل فهد في جلسته وقال: اكتب...

فكتبت...

عابُوا على بِنْتِ النَّخِيلِ بَياضَها
وَمَذاقَها، فَلَوَوا بجيدِ نَفارِ
وتَشَبَّبُوا بعصِيرِ كَرْمٍ أَصْفَرٍ[1]
قَدْ شَبَّهُوهُ تَبَجُّحاً بِنُضارِ[2]

---

(١) يقصد الوسكي.
(٢) الذهب.

فأَجَبْتُهُمْ، والغَيْظُ مِلْءُ جَوانِحي
بُعْداً لَكُمْ مِنْ شارِدي الأَفْكارِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْري النَّخيلُ بِما لَها
مِنْ رائِعِ الآياتِ والأَسْرارِ
أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْري بِطيبِ نِتَاجِها
لَمْ تَعْلُ شامِخَةً عَلى الأَشْجارِ
أَوَ لَمْ تَرَوا لِلْكَرْمِ[1] كَيْفَ حَنا لَها
وَجَثا مِنَ الإِجْلالِ والإِكْبارِ؟
إِنْ كانَ عَيْباً في الكُؤوسِ بَيَاضُها
فاللَّيلُ لا يَحْلُو بِلا أَقْمارِ
أَوْ كانَ مُرّاً باللِّسانِ مَذاقُها
فالدَّاءُ لا يَشْفي بِغَيْرِ مُرَارِ
هِيْمُوا بِأَصْفَرِكُمْ فَأَنْتُمْ أَهْلُهُ
وحَذَارِ مِنْ تَدْنِيسِ تِلْكَ حَذَارِ
تِلْكَ الَّتي لَوْ بايَتَتْ مُتَزَهِّداً
لَنَسى الجِنانَ وَلَمْ يَخَفْ مِنْ نَارِ
يَسْخُو مُعاقِرُها فَتَلْقَى عِنْدَهُ
سَيَّانِ قَدْر الفِلْسِ والدِّيْنارِ
وَتُريْهِ هَامَ الشَّمْسِ أَدْنَى بغْيَةً
واللَّيثَ في أَجَماتِهِ كالْفَارِ!

---

(١) شجرة العنب.

إنـي لأَشْـرَبُـهـا عَـلـى شَـدْوِ الـمُـنَـى
والـدِّيـكُ يَـتْـلُـو سُـوْرَةَ الأَسْـحـارِ

وعَـلـى طُـيـوفِ الـذِّكْـرَيـاتِ بِـخـاطِـري
وَعَـلـى صُـداحِ الـعُـوْدِ والـقِـيْـثـارِ

حَـوْلِـي صِـحـابٌ كـالـنُّـجـومِ يُـسَـاجِـلـو
نـي بـالـغِـنـاءِ وَرائِـعِ الأَشـعـارِ

بِـيْـضُ الـوُجُـوهِ ثُـغُـورُهُـم بَـسَّـامَـةٌ
شَـبُّـوا عَـلـى الإِخْـلاصِ والإِيْـثـارِ

لا الـسُّـكْـرُ أَفْـرَدَهُـمْ طِـبـاعـاً، لا، وَلَـمْ
يَـخْـرُجْ بِـهِـمْ بِـغَـرَابَـةِ الأَطْـوارِ

سُـكْـرٌ بِـظَـرْفٍ يَـنْـتَـهِـي بِـهُـمُ إلـى
مُـلْـحِ الـدَّعَـابَـةِ لا إلـى اسْـتِـهْـتـارِ

تَـلْـقَـى تَـهَـتُّـكَـهُـمْ عَـلَـيْـهِ سَـجِـيَّـةً
لَـمْ تَـبْـتَـذِلْـهُـمْ لِـلْـخَـنـا والـعـارِ

وَطَـرُ الـكِـرامِ مِـنَ الـمُـدَامَـةِ نَـشْـوَةٌ
تَـسْـمُـو بِـهِـمْ عَـنْ عـالَـمِ الأَكْـدارِ

عَـنْ عَـالَـمٍ مـا فـيـهِ غَـيْـرُ مُـنـافِـقٍ
أَوْ كـاذِبٍ أَو خَـادِعٍ خَـتَّـارِ[1]

❁ ❁ ❁

وأَعْجَبتني هذه القصيدة، فقلت له مازحا:

لو أرسلت هذه القصيدة إلى شركة «مسيح» في العراق، لربما كافأك

---

(١) غدار.

مجلس إدارتها ببرميل من بنت النخيل الجيدة ذات الست عشرة «حقة» مستكي، تكفيك لعام أو أكثر!!

فرد علي متبرمًا:

إني أنظم الشعر ولا أستجدي به، وعلى فكرة احفظ هذه القصيدة لنفسك، ولا تذعها في الناس.

- وواقع الأمر أن فهد العسكر، رحمه الله، كان ذا أنفة وشمم وإباء لا يستجدي بشعره، وإذا كانت هناك بعض القصائد له، امتدح فيها الملك عبدالعزيز آل سعود، والمرحوم عبدالله السالم عشية توليه الإمارة، وبارى الشعراء في مسابقة لإذاعة لندن في موضوع «الجندي في ميدان القتال»، فلم يكن هدفه إلا إبراز شاعريته الفذة في الكويت باختياره بعض المناسبات، من أمثال ما ذكرت، وهذا حق من حقوقه، كما هو حق مجتمعه. فالفنان الأصيل ليس ملك ذاته بل للمجتمع أجمع.

وتحضرني هنا قصة طريفة للمرحوم فهد، فقد كان قبل أن يتولى، غفر الله له، عبدالله السالم الحكم في البلاد، يسكن في شقة قميئة داخل المدينة، وكنت وقتها أعمل موظفا في دائرة المالية، وحين زرته ذات يوم، قال لي: إنه علم بأن احتفالا سيقام في الكويت بمناسبة تولي الأمير عبدالله السالم دست الإمارة، وإنه مزمع رفع قصيدة لسموه بهذه المناسبة، فقلت له: وأنا كذلك في سبيل إعداد قصيدة أيضًا.

وقبل ميعاد الاحتفال بثلاثة أيام. سلمني قصيدته الدالية الرائعة لأوصلها إلى سكرتارية الإمارة، وفعلا قدمتها لها، في حينه، مع قصيدتي أيضا، وبعد الاحتفال طلبتني السكرتارية، ودفعت إليَّ ثلاثمائة ربية مكافأة لفهد، ومائتي ربية مكافأة لي، وطلبت مني أن أسلم مكافأة فهد له بيده، لعلمها بصلتي الوثيقة به، ولتعذر خروجه إلى الناس.

وحين أتيته سلمته المكافأتين (الخمسمائة ربية)، وقلت له: إن هذا المبلغ مكافأة على كل قصيدتك العصماء، فشكرني وأردف: وماذا عن قصيدتك؟ فقلت - كاذبا - إنني لم أسلمها لشكي في جودتها، ولم أشعر وقتها بأني صاحب منة أو فضل عليه، فقد كان هو أحوج مني إلى هذا المبلغ.

«وفهد رحمه الله كان عزيزًا علي، وستبقى ذكراه عزيزة علي حتى النهاية».

* * *

وهذه مجموعة من القصائد التي عثرت عليها بين أوراقي القديمة، وبعد صدور الطبعات الأربع السابقة من هذا الكتاب.



يَا أَخَا الرُّوح

في ذمة اللـه شباب زائل وأمل
ضائع.. وإلى اللقاء يا صديقي

كتب شاعرنا «فهد» القصيدة الآتية، عندما علم بنبأ انتحار صديقه وزميله «عبدالله السعدون» الذي أقدم على شنق نفسه في حالة ثورة نفسية، ويأس شديد من هذه الحياة، وكان «عبدالله السعدون» شاباً متبرّماً من الأوضاع التي تعيشها الكويت، وكان رفيقاً لشاعرنا «فهد» متأثراً به وبنظراته إلى الحياة، ولهذا فقد حزن عليه «فهد» حزناً شديداً ورثاه بهذه القصيدة:

يـا أَخَـا الـرُّوح مَـنْ يَـبُـلُّ أُوَامـي   يا لَحُزْني، وَأَنْتَ تَحْتَ الرّجامِ
مَنْ لِقَلْبي وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْيَأْسُ، ونَفْسي الثَّكْلى، ورُوحي الظّامي
آهِ مَنْ لي بِلَمِّ شَمْلِ القَوافي   فَأَنا لَمْ يَعُدْ بِكَفِّي زِمَامِي
رَبَّةَ الشِّعْرِ، هاتِ ما شِئْتِ مِنْهُ   واطْلَعي يا عَرائِسَ الإِلْهامِ
أَسْعِفيني بِهِ، فَلَسْتُ بَقَنّاصٍ فَأَصْطادُهُ، وَبُلّي أُوَامي
أَسْعِفيني بِهِ لأَرْثي رَفيقاً   غَيَّبوهُ تَحْتَ الحَصا والرّغامِ
واصَديقاهُ، واحَنِيني إِلَيْهِ   واشْتِياقي وَحَرْقَتي وَهُيامي
يا أَخَا الرُّوحِ آهِ ما ضَرَّ لَوْ وَدَّعْتَني، أَوْ خَصَصْتَني بالسَّلامِ
يا أَخَا الرُّوحِ، كَيْفَ أَصْدَرَتِ الأَقْدارُ حُكْماً عَلَيْكَ بالإِعْدامِ؟!
كَيْفَ نَفَّذْتَهُ بِنَفْسِكَ يا هذا بِلا رَهْبَةٍ ولا إِحْجامِ؟!
واصَديقاهُ، آهِ بَلْ كَيْفَ يَصْفُو العَيْشُ لي، يا لَقَسْوَةِ الأَحْكامِ؟!
كَيْفَ يَحْلو لِيَ المقامُ بِدار الغَدْرِ والغِشِّ والفَنا والسّقامِ؟!
كَيْفَ تَحْسُو كَأْسَ الرَّدى، قَبْلَ أَنْ أَشْرَبَهُ، وَهْوَ غايَتي وَمُرامِي؟!
لَيْتَها إِذْ سَقَتْكَ هذا غبُوقاً   أَصْبَحَتْني الدّنْيا بِكَأْسِ الحِمامِ

لَهْفَ نَفْسي عَلى شَبابٍ نَضيرٍ كَفَّنُوهُ وَاحَرَّ قَلْبي الدّامي
لَهْفَ نَفْسي على المرُوءَةِ والإخْلاصِ والنّبْلِ والشُّعُورِ السّامي
ذَبُلَ الغُصْنُ، وَهْوَ غُصْنٌ رَطيبٌ وَذَوى الزَّهْرُ، وَهْوَ بالأَكْمامِ
وطَوَيْتُ البِساطَ مُذْ غَيَّبُوهُ فَدَعُوني، يا مَعْشَرَ اللُّوَّامِ
حَطِّمُوا العُودَ والكُؤوسَ، فلا حَاجَةَ بالعُودِ أَوْ كُؤوسِ المُدَامِ
واصْرِفُوا عَنّي النّدامى، فَقَدْ عُطِّلَ نَادي الغَرام والأَنْغامِ
يا صَديقي، أَمَا سَمِعْتَ نُوَاحي كَنُواحِ الرَّضيعِ يَوْمَ الفِطامِ
وأَنيني، أما سَمِعْتَ أَنيني؟ دُونَهُ يا أَخِي أَنِينُ الحَمامِ

* * *

واصَدِيقاهُ، واحَنِيني إلَيْهِ واشْتِياقي وَحَرْقَتِي وَهُيَامِي
لَيْتَهُمْ إذْ رَمَوْهُ بالضَّعْفِ ذاقُوا بَعْضَ ما ذَاقَهُ من الأيّامِ
وادَّعَوْا أَنَّهُ الجَبَانُ، أَمِنْهُمْ واحِدٌ قَابَلَ الرَّدى بابْتِسام؟
فَمِنَ الظُّلْم أَنْ يُعَذَّبَ حُرٌّ ويَعِيشَ اللِّئَامُ بَعْدَ الكِرَامِ
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ تَمُوتَ، وَما حَقَّقْتَ حُلْماً، وَا ضَيْعَةَ الأَحْلامِ

* * *

وَا صَدِيقاهُ، وَا حَنِيني إلَيْهِ واشْتِياقي وَحَرْقَتِي وهُيامي
حَطَّمَتْ جِسْمَهُ صُرُوفُ اللَّيالي وَرَمَتْهُ بالبُؤْسِ دُنْيا الطّغامِ
وسَقَتْهُ صَابَ القُنوطِ دهاقاً إي وَرَبّي، أَلْجَامَ بَعْدَ الجَامِ

* * *

وَا صَدِيقاهُ، وَا حَنِيني إلَيْهِ واشْتِياقي وَحَرْقَتي وَهُيامي
كُنْتُ أَشْكو إلَيْكَ آلامَ نَفْسي حَوْلَ ذاكَ الشّاطي بِجُنْحِ الظّلامِ
فَتُواسِي وَما تَمَلُّ المَواسَاةَ، فَأَرْتاحُ نَاسِياً آلامي
كَمْ سَبَحْنا مَعاً، وَنَحْنُ نَشَاوى بِسَمَاءِ الخَيالِ والأَوْهامِ
وسَهَرْنا مَعاً وَنِمْنا وَقُمْنا وَجَلَسْنا العامَ بَعْدَ العَامِ
وقَتَلْنا مَعَ الزَّمانِ لَيالي الصَّيْفِ بالشَّدْوِ أَوْ لَذيذِ الكَلامِ

ولَـهَـوْنـا عَـلـى الـرِّمـالِ مَـعَ الـصَّـحْـبِ إلـى أَنْ يَـحـيـنَ وَقْـتُ الـمَـنـامِ
يـا لَـهـا مِـنْ ذِكْـرى تُـؤَجِّـجُ فـي الْـقَـلْـبِ ضِـرامـاً، ويـا لَـهُ مِـنْ ضِـرَامِ

❁ ❁ ❁

وَا صَـدِيـقـاهُ، وَا حَـنـيـنـي إلَـيْـهِ واشْـتِـيـاقـي وَحَـرْقَـتـي وَهُـيـامـي
فـاضَ كَـأْسـي وَخَـارَ عَـزْمـي وأَعْـلَـنْـتُ خُـضـوعـي لِـلْـيَـأْسِ واسْـتِـسْـلامـي
لَـسْـتُ أَسْـطـيـعُ رَدَّ صَـرْفِ الـلَّـيـالـي أَنـا أَغْـمَـدْتُ رَغْـمَ أَنْـفـي حُـسـامـي

❁ ❁ ❁

وَا صَـدِيـقـاهُ وَا حَـنِـيـنـي إلَـيْـهِ واشْـتِـيـاقـي وحَـرْقَـتـي وهُـيَـامـي
يـا صَـدِيـقـي الـشَّـهـيـدُ، نَـمْ نـاعِـمَ الْـبَـالِ ودَعْـنـا نَـعِـيـشُ كـالأَنْـعَـامِ
نَـمْ، فَـيَـوْمـي الأَخـيـرُ لَـيْـسَ بِـنَـاءٍ فَـمَـتَـى، يـا تُـرَى، يُـصِـيْـبُ الـرَّامـي
نَـمْ، فَـإنَّ الـمَـقـامَ بـالـقَـبْـرِ خَـيْـرٌ لِـلْـكَـرِيـم الأَبِـيِّ بَـيْـنَ الـلِّـئـامِ
فَـعَـلـى رُوحِـكَ الـبَـرِيـئَـةِ، عَـبْـدَالـلَّـهِ، أَلْـفـا تَـحِـيَّـةٍ وسَـلامِ

❁ ❁ ❁

وهذه قصة فتاة شابة قضت ظروفها القاسية أن يرغمها أهلها على الزواج من رجل طاعنٍ في السن، لا لشيء إلّا لغناه المادي، وكانت هذه الفتاة تهوى وتحبّ شاباً في سنّها، إلّا أن عيبه عدم غناه، فحجبها أبوها وأمها عنه، ثم أجبراها على الزَّواج من عجوز، الأمر الذي دفعها إلى أن تلقي بنفسها في البحر، وتلاقي ربّها بين أمواجه العاتية، لتتخلص مما تعانيه من بؤس وشقاء.

الشَّبابُ للشَّبابْ

قَاتَلَ اللّهُ أُمَّهَا وَأَبَاها

غَـادَةٌ حَـطَّـمَ الـفُـؤَادَ بُـكـاهـا لَـيْـتَ شِـعْـري، مَـا بـالُـها مَـا دَهـاها؟
قَـدْ حَـبَـاهـا الـلَّـهُ الـجَـمَـالَ وَلَـكِـنْ لَـمْ يَـصُـنْـهُ، يـا لَـيْـتَـهُ مَـا حَـبَـاهـا
وَقَـفَـتْ حَـوْلَ ذَلِـكَ الـشّـاطِـىءِ الـرَّمْـلِـيِّ لَـيْـلًا، تَـبُـثُّـهُ شَـكْـواهـا
واسْـتَـحـالَ الإِعْـوالُ فـيـهـا أَنـيـنـاً حـيـنَ جَـفَّـتْ مِـنْ فَـرْطِـهِ مُـقْـلَـتَـاهـا

تَلْطُمُ الصَّدْرَ تارَةً وتَشقُّ الجَيْبَ أُخرى، حَتَّى إذا أَعْياها
سامَرَتْ أَنْجُمَ السَّماءِ، ونَاجَتْ بِسُكُونِ الدُّجَى الهِلالَ أَخَاها
مَلأَ اليَأْسُ قَلْبَها، يا لَحُزْني، والأَسى شَفَّ رُوحَهَا وَبَراها
وَتُنَادِي، والنّاسُ لاهونَ عَنْها يا إلهي، هَلَّا أَجَبْتَ نِداها
لا قَريبٌ حَنَا عَلَيْها، وَلا خِلٌّ، شَفِيقٌ بِحُزْنِها، واساها
فَتَحَ اللَّيْلُ صَدْرَهُ (لِثُرَيّا) وَبَكى المَوْجُ رَحْمَةً لِصِباها
أَدَهاها مِنَ الهَوى ما دَهاني فَقَلاها حَبِيبُها واجْتَواها
أَمْ رَماها كَما رَماني زَماني بِعَواديهِ، لَيْتَهُ ما رَماها

* * *

فَحَداني إلى الفَتاةِ شُعُورٌ لاقَتِ الرّوحُ مِنْهُ ما أَضْناها
فَحَثَثْتُ الخُطى إلَيْها بِجُنْحِ اللَّيْلِ، والنّاسُ نُوَّمٌ، لأَراها
فَإِذا بي أمامَ عَذْراءَ تَحْكي الوَرْسَ، مِنْ فَرْطِ حُزْنِها، وَجْنَتَاها
فَدَعَتْني إلى الدّنُوِّ إلَيْها بَعْدَ لأْيٍ، واغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاها
حَيْثُ شاهَدْتُ هَيْكلاً مِنْ عِظامٍ حَطَّمَتْهُ الأَقْدارُ، ما أَقْسَاها
نَظْرَةٌ قَطَّعَتْ نِياطَ فُؤَادي إنْ تَسَلْنِي يا صَاحِ عَنْ عُقْباها
جَرَّعَتْها الأَيّامُ صَاباً مَريراً وَسَقَتْني، فَكَيْفَ لا أَرْعاها؟!
وَنَسَى قَلْبِيَ الحَزِينُ أَسَاهُ بَعْدَ ما شاطَرَ الفَتاةَ أَسَاها
كَفْكَفَتْ دَمْعَها، وَكَفْكَفْتُ دَمْعي وسَأَلْتُ العَذْراءَ عَمّا دَهَاها
فَشَكَتْ ظُلْمَ أُمِّها وَأَبيها قاتَلَ اللَّهُ أُمَّهَا وَأَباها

* * *

حَمَّلاهَا، وَيْلاهُ، عِبْئاً ثَقيلاً رَزَحَتْ تَحْتَهُ، فَلِمْ حَمَّلاها
أَرْغَماها عَلى الزَّواجِ بِشَيْخٍ ذي ثَرَاءٍ، مِنْ أَجْلِ ذا أَرْغَمَاها
حَدَّدَا مَوْعِدَ الزِّفافِ فَجَاءَتْ تَنْدُبُ الحَظَّ حينَ خابَ رَجَاها
وَجْهُ ذاكَ الشَّيْخِ المُجَعَّدُ أَلْقى الرُّعْبَ في قَلْبِها، وَأَطْفَا سَنَاها

أَمِنَ العَدْلِ أَنْ تُزَفَّ ثُرَيّا لِعَجُوزٍ، فَأَيْنَ أَيْنَ فَتَاها؟!
فَمِنَ الظُّلْمِ أَنْ تُشَاطِرَهُ العَيْشَ، وَقَدْ كَانَ مَصْدَراً لِشَقاها
وَمِنَ الظُّلْمِ أَنْ تُسَاقَ إلى مَنْ صَوْتُهُ لا تُطِيقُهُ أُذُناها
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ تُلامِسَ خَدّاً ذا غُضونٍ، كَخَدِّهِ، خَدَّاها
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ يُداعَبَ في كَفٍّ نَحِيلٍ، كَكَفِّهِ، نَهْداها
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ تُقَبِّلَ ثَغْراً خاوِياً، مِثْلَ ثَغْرِهِ، شَفَتاها
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ تَرِفَّ عَلى فودَيْ عَجُوزٍ «كَحَامِدٍ» خُصْلَتاها
وَمِنَ الغَبْنِ أَنْ يُطَوِّقَ جِيداً مُعْرِقاً، مِثْلَ جِيدِهِ، سَاعِداها
هَلْ رَأَيْتُمْ وَرْقَاءَ هَامَتْ بِنَسْرٍ وَسَمِعْتُمْ بِوَكْرِهِ نَجْوَاها
أَوْ رَأَيْتُمْ غَزَالَةً عَشِقَتْ، يا قَوْمُ، ذِئْباً، وَطَوَّقَتْهُ يَدَاها

* * *

هَيَّأَ الشَّيْخُ يا إِلَهِي نَعْشاً مِنْ حَنايا ضُلُوعِهِ لِصِبَاها
ثُمَّ رَاحَ العَجُوزُ يَنْسِجُ أَكْفانَ ثُرَيّا مِنْ لِحْيَةٍ أَرْخاها
وَمِنْ أَحْضانِهِ أَعَدَّ لَهَا قَبْراً، وَهذا ما اخْتَارَهُ أَبَواها
رَبِّ رُحْماكَ بالفَتَاةِ وَرِفْقاً فَكَفاها ما حَمَّلاهَا كَفَاها

* * *

أَنْهَكَ الذُّلُّ جِسْمَهَا وَهْيَ في مُقْتَبَلِ العُمْرِ، لَمْ تُحَقِّقْ مُنَاها
خَسِرَتْ «خالداً» رَفيقَ صِبَاهَا وَعَلى نَبْذِ «خَالِدٍ» أَكْرَهَاها
عاهَدَتْهُ عَلى الزَّواجِ، فَلَمْ تَهْوَ سِوَاهُ، وَما أَحَبَّ سِواها
هِيَ لَوْلاهُ لَمْ يَلَذَّ لَهَا العَيْشُ، وَمَا عاشَ خالِدٌ لَوْلاها
«خالِدٌ» ذلكَ الفَتَى الطَّيِّبُ القَلْبِ النَّبيلُ الشُّعُورِ، لا يَنْساها
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ الفَتَاةَ التي كَمْ أَعْرَبَتْ عَنْ إِخْلاصِها وَوَفاها؟!
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ الفَتاةَ التي لَمْ يَرَ في هذِهِ الدّنا إلَّاها؟!
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ التي وَدَّعَتْهُ بِبُكاها، وَأَوْدَعَتْهُ حَشَاها؟!

كَيْفَ يَنْسَى، تِلْكَ التي يَذْرِفُ الدَّمْعَ إذا ما مَرَّتْ بِهِ، ذِكْراها؟!
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ التي كَمْ وَكَمْ ضاهى بِإِخْلاصِها العَظيمِ وبَاهى؟!
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ التي تَتَرامى بَيْنَ أَحْضانِهِ، وتَشْكُو هَواها؟!
كَيْفَ يَنْسى تِلْكَ التي كَمْ وَكَمْ، بَلْ كَمْ، وَرَوَّى غَلِيلَهُ مِنْ لماها؟

* * *

هِيَ بالأَمْسِ غادَةٌ ذاتُ دَلٍّ يَمْلأُ النَّفْسَ غِبْطَةً مَرْآها
هِيَ بالأَمْسِ وَرْدَةٌ تُنْعِشُ الأَرْواحَ، بَلْ يُسْكِرُ القُلُوبَ شَذاها
هِيَ بالأَمْسِ دُمْيَةٌ تَبْعَثُ الإيمانَ بالْقَلْبِ، جَلَّ مَنْ سَوَّاها
وَهِيَ اليَوْمَ هِيْكَلٌ مِنْ عِظامٍ قاتَلَ اللَّهُ أُمَّهَا وأَباها

* * *

طَلَعَ الفَجْرُ وافْتَرَقْنا، وَلَمْ أَدْرِ، أَتَسْطِيْعُ حَمْلَها قَدَماها
أَرْغَمَتْني عَلى التَّخَلُّفِ عَنْها إِيْ وَرَبِّي، وخَلَّفَتْني وَراها
بَأبي، غادَةٌ تَسِيرُ الهُوَيْنا حَوْلَ ذَاكَ الشّاطِي تَجُرُّ رِدَاها
وَبِأُمِّي، عَذْرَاءُ حَطَّمَتِ الأَوْصابُ في مَيْعَةِ الشَّبابِ قِوَاها
وَبِرُوحي، هَيْفاءُ تَهْتَزُّ، لا تِيهاً، وَلَكِنْ مِنْ فَرْطِ ما قَدْ عَرَاها
تَتَخَطَّى الصُّخُورَ حَتَّى إذا ما خارَ عَزْمُ الفَتاةِ أَلْقَتْ عَصَاها
وَقَفَتْ حَوْلَ ذلكَ الصَّخْرِ كالتِّمْثالِ، فاهْتَزَّ هِزَّةً مِنْ بُكاهَا
ظَمِئَتْ رُوحُها، ولَمْ تَرَ كَأْساً غَيْرَ كَأْسِ الرَّدى، تَبُلُّ صَدَاها
سَكَنَتْ رُوحُها إلى خاطِرٍ مَرَّ بها رَغْمَ أَنَّهُ أَدْمَاها
ثُمَّ صاحَتْ: لَبَّيْكَ، والبَحْرُ سَاجٍ لَيْتَ شِعْري مَنِ الذي نَادَاها
أَدَعاها الرَّدى، فَلَبَّتْ نِدَاهُ أَمْ دَعَتْهُ، يا لَيْتَهُ ما دَعَاها
رَفَعَتْ وَجْهَهَا ونَادَتْ: إلهي قَدْ دَعَتْكَ العَذْراءُ، فاقْبَلْ دُعاها
رَأَتِ العَيْشَ في جَوارِكَ أَمْناً فاجْعَلِ الخُلْدَ يا إلهي قِرَاها
حَسَتِ الكَأْسَ وَهْيَ صَابٌ مَريرٌ لا تَلُمْها، فَكَمْ مُحِبٍّ حَسَاها

إيهِ يا مَذْبَحَ الهَوى هَا هِيَ الرُّوحُ، فَخُذْها مِنْ بَائِسٍ أَهْدَاها
وَوَداعاً يا سُؤْلَ قَلْبي وَدَاعاً مِنْ فَتَاةٍ لَمْ تَرْوِ مِنْكَ ظماها
مِنْ فَتَاةٍ فَدَتْك بالرُّوحِ، فاحْفَظْ عَهْدَها، وانْتَظِرْ، فَسَوْفَ تَرَاها
أَرْسَلَتْ نَظْرَةً إلى البَحْرِ، لَمْ يَعْرِفْ سِوى البَحْرِ، وَيْحَهُ، مَغْزاها
أَعْقَبَتْها بِصَرْخَةٍ رَدَّدَ الأُفْقُ - وَقَدْ خَيَّمَ السُّكُونُ - صَداها
نَكَثَتْ شَعْرَها، فَرَاحَ نَسِيمُ الفَجْرِ يَلْهو بِهِ، ويَلْثُمُ فاها
حَمَلَتْهُ إلى رَفيقِ صِبَاها قُبَلاً لَوْ سَمِعْتَ مُوسيقاها
حَجَبَتْ وَجْهَهَا بِكِلْتَا يَدَيْها لا عَنِ المَوْتِ حِينَما وَافَاها
بَلْ عَنِ الشَّمْسِ أُخْتِهَا، إذْ أَطَلَّتْ لَوْ رَأَتْ وَجْهَهَا هَوَتْ مِنْ سَمَاها
فَتَحَ البَحْرُ، والشُّوَيْطِيءُ بَاكٍ، لِثُرَيّا أَحْضانَهُ، فاحْتَواها

* * *

يا ثُرَيّا قَضَوْا عَلَيْكِ، فَوَاهاً يا ثُرَيّا على شَبَابِكِ، وَاها
أُعْفُ يا رَبِّ عَنْ ثُرَيّا فَهذا ما جَنَوْهُ، لا ما جَنَتْهُ يَدَاها
قَتَلُوها أَبٌ وأُمٌّ وَزَوْجٌ آهِ لَوْ مَاتَ هَؤلاءِ فِدَاها
رَبِّ رُحْمَاكَ بالحَبيبِ إذا ما عَادَ، والشَّوْقُ شَفَّهُ لِلِقَاها
كَمْ فَتَاةٍ يا رَبِّ أَسْعَدَها الحُسْنُ، وَهذي جَمَالُها أَشْقَاها

* * *

تحيّةٌ واعتذارٌ

■ عندما فازت إحدى قصائد شاعرنا «فهد» في المسابقة الشعرية التي نظمتها إذاعة (لندن) للمتسابقين، أراد المعتمد البريطاني أن يسلّم إليه الجائزة في حفل يحضره أمير الكويت الشيخ أحمد الجابر، ورئيس مجلس المعارف وأعضاؤه، إلَّا أن الشاعر اعتذر عن الحضور، وبعث بهذه القصيدة التي يعتذر فيها عن حضوره:

يا مَنْ صَهَرْتُ لَهُمْ شُعُوري   فَجْراً عَلى شَدْوِ الطُّيورِ
وتَأَلّقِ البَسَماتِ مِنْ   ثَغْرِ الصَّبَاحِ المُسْتَنِيرِ
وَطَوَافِ أَحْلام الحَمائِمِ والبَلابِلِ بالزُّهُورِ
وَرَفيفُها بالأُفْقِ، وَهْيَ مُضَمَّخاتٌ بالعُطُورِ
نَشْوى، سَقاها الفَجْرُ، فَهْيَ مُعَرْبِداتٌ في الأَثيرِ
وَسَكَبْتُهُ مِنْ غَوْرِ وجْداني وأَعْماقِ الضَّمِيرِ
بِقَصِيدَةٍ واللَّهُ يَعْلَمُ وَحْدَهُ ما في الصُّدُورِ
أَوْحى بها حُبّي لِمَوْطِنيَ العَزِيزِ ولِلأَمِيرِ

■ ■ ■

يامَنْ صَهَرْتُ لَهُمْ شُعُوري   فَجْراً عَلى شَدْوِ الطُّيورِ
بِاللَّهِ مَعْذِرَةً فَدَيْتُكُمُ عَلى عَدَمِ الحُضُورِ
قَدْ حِيلَ بَيْنَ الماءِ والعَطْشَانِ في حَرِّ الهَجيرِ
باللَّهِ قِفْ حَيِّ المَعارِفَ بالتَّنْظِيمِ وبالنَّثيرِ
بِفَرائِدٍ تَشْدُو بِفَضْلِ رَئيسِهَا الحُرِّ الغَيُورِ
وَصِحَابِهِ الأَمْجادِ أَعْضاءِ المَعارِفِ والمُدِيرِ
وأَشْكُرْ أَسَاتِذَةً سَمَوْا   بَشَبيبَةِ الشَّعْبِ الشَّكُورِ
فالشَّعْبُ مَدْيُونٌ لَهُمْ   بِثَقافَةِ النَّشْءِ الفَخُورِ

وارْفَعْ لِمُعْتَمَدِ الحُكُومَةِ خالِصَ الشُّكْرِ الوَفيرِ
إنّي لَمُغْتَبِطٌ بِما أَبْداهُ نَحْوِي مِنْ شُعُورِ
فاليَوْمَ جائِزَةٌ وَقَبْلَ اليَوْمِ أُخْرى في سُطُورِ
بِرِسَالَةٍ قَدْ جَنَّحَتْ قَلْبي، فَطَارَ مِنَ السُّرورِ
فارْفَعْ لَمُعْتَمَدِ الحُكُومَةِ خالِصَ الشُّكْرِ الوَفِيرِ
واسْتَقْبِلِ الأَمَلَ الوَحِيدَ عَلى زَغارِيدِ البَشيرِ
واقْطِفْ لَنا وَرْدَ المُنى مِنْ رَوْضِهِ الزّاهِي النِّضيرِ
وانْظُمْ، فَدَيْتُكَ، مِنْهُ إكْليلاً عَلى نَفْحِ العَبيرِ
واهْبِطْ بِهِ دَسْمانَ، في رَأْدِ الضُّحَى، فَخْرَ القُصُورِ
واهتِفْ لِمَوْلانا الأَمِيرِ الأَوْحَدِ الفَذِّ الخَبيرِ

❧ ❧ ❧

في دُنيا الخيال

يا لَيْتَني فَوْقَ الغُصُونِ حَمَامَةٌ لأَنُوحَ بالآصَالِ والأَسْحارِ
عَلّي أرى في الرَّوْضِ مِنْ يُفْضي إليَّ بِسِرِّهِ، وأَبُثُّهُ أَسْرَاري
أَوْ أَنَّني بَيْنَ النَّسَائِم نَسْمَةٌ لأُبَشِّرَ الأَطْيارَ في آذارِ
وأَطُوفَ بَعْدَ الأَرْضِ آفاقَ السَّمَا لأَرَى مَكانَ حَبيبيَ المُتَواري

• • •

يالَيْتَني بَيْنَ الوُرودِ فَراشَةٌ تَرْوي الصَّدى مِنْ أَكْؤُسِ الأَزْهارِ
حَتَّى إذا شَفَتِ الغَلِيلَ تَعَطَّشَتْ لِلْمَوْتِ، وانْدَفَعَتْ بِجَوْفِ النّارِ
أَوْ أَنَّني يا فَجْرُ قُبَّرَةٌ أُرَفْرِفُ في جَنَاحِي بالفَضَاءِ العاري
لأُرَدِّدَ النَّغَماتِ سَكْراناً بِخَمْرِ الحُسْنِ، قَبْلَ تَأَلُّقِ الأَنْوارِ

• • •

يا لَيْتَني بَيْنَ الرَّوابي رَبْوَةٌ خَضْرَاءُ مُشْرِقَةٌ عَلى الوِدْيانِ
لأَكُونَ مِنْبَرَ كُلِّ طَيْرٍ صَادِحٍ وَيَكُونَ سَفْحي مَسْرَحَ الغِزْلانِ
أَوْ أَنَّني وَسْطَ الحَدائِقِ جَدْوَلٌ يَنْسابُ بَيْنَ الوَرْدِ والرَّيْحانِ
لِتُرَفْرِفَ الأَطْيارُ فَوْقَ مِياهِهِ سَكْرى، تُرَجِّعُ أَعْذَبَ الأَلْحانِ

• • •

يا لَيْتَنِي طَيْرٌ، لأَسْبَحَ في الفَضا وَأَؤُوبَ مُغْتَبِطاً مَعَ الأَطْيارِ
أَوْ بُلْبُلٌ لأُشَنِّفَ الأَسْمَاعَ بالنَّغَم الرَّقِيقِ عَلى ذُرَى الأَشْجارِ
أَوْ أَنَّني لِلْعُودِ أُمْسِي رِيشَةً لِتَمُرَّ بي الأَيْدي عَلى الأَوْتارِ

---

(١) حصلنا على هذه القصيدة من السيد محمد الرفاعي المستشار في محكمة الاستئناف العليا بالكويت.

لأَبُثَّها شَكْوى الهَوى، فَلَعَلَّها تَرْثي لِحَالِ العَاشِقِ المُخْتارِ

* * *

يا لَيْتَنِي، يا لَيْتَني قمْرِيَّةٌ لأَئِنَّ بالإِصْباحِ والإِمْساءِ
عَلّي أُثيرُ بِقَلْبِ كُلِّ مَلِيحَةٍ عَطْفاً عَلى البُؤْسَا مِنَ الشُّعَراءِ
أَوْ أَنَّني وَسْطَ الرِّياضِ خَميلَةٌ لأُعَطِّرَ الأَجْواءَ بالأَشْذاءِ
أَوْ وَرْدَةٌ، صاغَ الرَّبيعُ جَمالَها لِتَرُشَّني الأَصْبَاحُ بالأَنْداءِ

* * *

فَلَكَمْ تَراءَى لِي الخَيالُ حَقيقَةً فَيَخالُني الرّائي صَريعَ عُقَارِ
فَأُفِيقُ مَذْهُولاً وَأَهْتِفُ مَنْ أَنا؟ فَأُجَابُ: مَجْنُونٌ بِعُقْرِ الدّارِ
يا حُبُّ بَيْنَ يَدَيْكَ نَفْسي تَشْتَكي أَفَما كَشَفْتَ غَوامِضَ الأَسْرارِ؟
يا حُبُّ أَحْلامُ الغَرامِ جَمِيلَةٌ رُحْماكَ، فَهيَ قَصِيرَةُ الأَعْمارِ

* * *



تخميسات

■ أولع الشاعر بتخميس بعض القصائد التي كان يعجب بها، فقام بتخميس بعض أبيات من قصيدة «أبي الطيّب المتنبّي» (عيد بأية حال عدت يا عيد)، وكذلك بعض قصائد أحمد شوقي. ونثبتها في هذا الكتاب لكي يطلع عليها القارىء.

تخميس أبيات لأبي الطيب المتنبي

يـا عِـيـدُ عُـدْتَ، فَـأَيْـنَ الـرَّوْضُ والـعُـودُ؟
وَا لَـهْفَ نَفْسي، وَأَيْنَ الرّاحُ والغِيدُ؟
بَـلْ أَيْـنَ أَحْـبـابُ قَـلْـبـي، والـمَـواعِـيـدُ
«عِـيـدٌ بـأَيَّـةِ حـالٍ عُـدْتَ يـا عِـيـدُ؟
بِما مَضى، أَمْ لأَمْرٍ فيكَ تَجْديدُ»؟

■ ■ ■

قَـلْـبـي أَسِـيـرٌ، وَرَبِّ الـبَـيْـتِ، عِـنْـدَهُـم
قَدْ حِيلَ - وَاحَسْرَتا - بَيْني وَبَيْنَهُمُ
أَيْنَ الـمُـواسونَ؟ فاضَ الكَأْسُ، أَيْنَ هُـمُ؟
«أَمّـا الأَحِـبَّـةُ فَـالْـبَـيْـداءُ دُونَـهُـمُ
فَـلَيْتَ دُونَـكَ بِـيداً دُونَهَـا بِـيدُ»

■ ■ ■

أَوّاهُ ضَاعَفَ أَحْزانِي شَرابُكُمَا
شَتَّانَ شَتَّانَ ما بَيْني وَبَيْنَكُما
فَخَبِّرانِي بِحَقِّ اللَّهِ، رَبِّكُما
«يَا سَاقِيَيَّ أَخَمْرٌ في كُؤُوسِكُما
أَمْ في كُؤُوسِكُمَا هَمٌّ وتَسْهِيدُ»

•••

يا لَلتَّعاسَةِ، لا الأَوْتارُ تُطْرِبُني
بِشَدْوِهَا، لا، وَلا الأَنْغامُ تُؤْنِسني
فَيا نَدامى أَمِنْكُمْ مَنْ يُخَبِّرُني
«أَصَخْرَةٌ أَنا؟ ما لِي لا تُحَرِّكُني
هَذِي المدامُ، ولا تِلْكَ الأغارِيدُ»

•••

بالأَمْسِ كانَتْ قُطُوفُ الوَصْلِ دَانِيَةً
واليَوْمَ أَضْحَتْ لِتَعْسِ الحَظِّ قَاصِيَةً
وضَاعَ عُمْري وَمَا حَقَّقْتُ أُمْنِيَةً
«إِذا أَرَدْتُ كُمَيْتَ الخَمْرِ صَافِيَةً
وَجَدْتُها، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ»

•••

يَوْمي كَأَمْسي، وأَمْسِي أَسْوَدٌ وَغَدي
يا دَهْرُ خَفِّفْ، كَفى مَا ذُقْتُ، لا تَزِدِ
ويا رِفاقِي، اعْذُروني إِنْ نَفَضْتُ يَدِي
«لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبي وَمِنْ كَبِدي
شَيْئاً تُتَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلا جِيدُ»

•••

فَكَمْ شَكَوْتُ، وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ أَحَدا
يُصْغِي، فَأَبْكي، وَهَلْ تَرْوِي الدُّمُوعُ صَدى
وَعِشْتُ لا أَرْتَجي مالًا وَلا وَلَدا
«وَكُنْتُ أَرْوَحَ مِثْرٍ خازِناً وَيَدا
أَنَا الغَنِيُّ، وَأَمْوالي المَواعِيدُ»

* * *

وَعِشْتُ بَيْنَ أُناسٍ لا وُعُودُهُمُ
تَشْفِي غَليلًا، ولا تُغْني عُهُودُهُمُ
عُمْيٌ، وأَطْماعُهُمْ أَمْسَتْ تَقُودُهُمُ
«جُودُ الرِّجالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ
مِنَ اللِّسانِ، فَلا كانُوا وَلا الجُودُ»

* * *

تخميس يا شراعًا

خَفَقَانُ الفُؤَادِ وَيْحِي بِصَدْري
كَهَدِيرِ الأَمْواجِ مِنْ بَعْدِ هَجْرِي
فَالْقِ مَرْسَاكَ، وانْتَشِلْني بأَجْري
«يا شِراعاً وَرَاءَ دَجْلَةَ يَجْرِي
في دُمُوعي تجَنَّبَتْكَ العَوَادي»

• • •

صِدْتَ قَلْبي ريمَ الفُراتَيْنِ صَيْدا
كِدْتَ بي بَعْدَ صَيْدِ قَلْبي كَيْدَا
فَهَواهُنَّ آهِلٌ في السُّوَيْدَا
«سِرْ عَلى المَاءِ كالمَسِيحِ رُوَيْدَا
وَاجْرِ في اليَمِّ كالشُّعَاعِ الهَادي»

• • •

هُنَّ عَذَّبْنَ مُهْجَتي تَعْذِيبا
فَحِمامي أَرَاهُ مِنّي قَريبا
سِرْ بِيُمْنٍ، وُقِيْتَ يَوْماً عَصِيبا
«وأْتِ قاعاً كَرَفْرَفِ الخُلْدِ طيبا
أَوْ كَفِرْدَوْسِهِ بَشَاشَةَ وَادِي»

• • •

فَإذا لاَحَ أَخْضَراً مُسْتَطِيلا
زَاهِراً، والطُّيُورُ تَعْلُو النَّخِيلا
بِمُرُوجٍ تَزْهُو، تَرَيَّثْ قَلِيلا
«وانْظُرِ الشَّطَّ بالملاهي أَصِيلا
هَلْ مِنَ الغِيدِ رَائِحٌ أَوْ غَادِي»

• • •

وَإِذا مـا أَتَـيْـتَ مِـنْـهُ بِـقُـرْبِ
لأَرَاهُـنَّ قَـبْـلَ أَقْـضِـيَ نَـحْـبِـي
ورَأَيْـتَ الـمِـلاحَ فـي شَـكْـلِ سِـرْبِ
«قِفْ، تَـمَهَّـلْ، وَخُـذْ أَمانـاً لِقَـلْـبِي
مِـنْ عُـيُـونِ المَها وَرَاءَ السَّـوَادِ»

❀ ❀ ❀

عـارِيـاتٌ يَـسْـبَـحْـنَ وَسْـطَ الـغَـدِيـرِ
خـارِجَـاتٌ مِـنْـهُ لِـقَـطْـفِ الـزُّهُـورِ
رَاكِـضَـاتٌ مَـعـاً وَرَاءَ الـطُّـيُـورِ
«لابِـسـاتٌ جَـلابِـبـاً مِـنْ حَـرِيـرِ
بِهـواهُـنَّ قَـدْ فَـقَـدْتُ رَشَـادِي»

❀ ❀ ❀

هُـنَّ ذَكَّـرْنَـنِـي مَـواقِـفَ تَـشْـفِـي
يَـوْمَ مِـنّـا الـثُّـغُـورُ تَـلْـهُـو بِـرَشْـفِ
نَـقْـتُـلُ الـوَقْـتَ بَـيْـنَ لَـهْـوٍ وَقَـصْـفِ
«وَقِـيَـانٍ عَـلـى نَـشِـيـدٍ وَعَـزْفِ
وشَـرابٍ عَـلى طَـعَـامٍ وزادِ»

❀ ❀ ❀

نَـشْـرَبُ الـخَـمْـرَ سَـائِـغـاً سَـلْـسَـبِـيـلا
ثُـمَّ نَـتْـلُـو سِـفْـرَ الـهَـوى تَـرْتِـيـلا
إتَّـخَـذْنَـا الـخـبـارَ دَوْحـاً ظَـلِـيـلا
«عَـنْ وُشَـاةٍ لَـقَـدْ أَضَـلّـوا الـسَّـبِـيـلا
ذَاكَ سُـؤْلِي بَلْ ذَاكَ كُـلُّ مُـرَادِي»

❀ ❀ ❀

مَعْ أُنَاسٍ تَرْجُو العُرُوبَةُ مِنْهُمْ
عِزَّهَا، والأُسُودُ تَفْرَقُ إِنْ هُمْ
ذُكِرُوا تَأْخُذُ المَسَرَّةَ عَنْهُمْ
«والنُّوَاسِيُّ والنّدامى أَمِنْهُمْ
سَامِرٌ يَمْلأُ الدُّجَى أَوْ نَادِ»

* * *

شَعْبُ مَلْكِ العُرُوبَةِ الفَذِّ أَعْنِي
بَطَلِ الرّافِدَيْنِ نَجْلِ الحُسَيْنِ
فَيْصَلٍ مَنْ أَقَامَ فِي عُشْرِ قَرْنِ
«أُمَّةً تُنْشِيءُ الحَيَاةَ وتَبْنِي
كَبِنَاءِ الأُبُوَّةِ الأَمْجَادِ»

* * *

ذَاكَ سِفْرُ التّارِيخِ تَلْقَاهُ يَشْدُو
بِمَسَاعٍ حَمِيدَةٍ لا تُعَدُّ
قَدْ بَنَى صَرْحَ سُؤْدُدٍ لا يُهَدُّ
«خَطَرَتْ فَوْقَهُ المَهَابَةُ تَعْدُو
في غُبَارِ الآبَاءِ والأَجْدادِ»

* * *

أُمَّةٌ أَدْرَكَتْ مُنَاهَا بِمَلْكِ
وَتَبَارَتْ، والشُّهْبُ تَزْهو بِفُلْكِ
ضَحِكَتْ بَعْدَما غَدَتْ قَبْلُ تَبْكِي
«تَحْتَ تَاجٍ مِنَ القَرَابَةِ والمُلْكِ
عَلَى فَرْقِ أَرْيَحِيٍّ جَوَادِ»

* * *

مَــنْ عَــلا عَــرْشُــهُ عَــلــى الــجَــوْزَاءِ
وَرَقــى جَــدُّهُ لِــسَــبْــعِ سَــمَــاءِ
وَزَكَــا أَصْــلُــهُ مِــنَ الــشُّــرَفَــاءِ
«مَلِكُ الشَّطِّ والْفُراتَيْنِ والْبَطْحَاءِ
أَعْظِمْ بِفَيْصَلٍ والْبِلادِ»

❀ ❀ ❀

تخميس يا جارة الوادي

إنّـي بِـحُـبِّـكِ كَـمْ عَـذُولٍ لامَـنِـي
كَـمْ مَـرَّةٍ بـالـنَّـوْمِ طَـيْـفُـكِ زارَنِـي
شَـرَكُ الـجَـمَـالِ لَـقِـيـتُـهُ فـاصْـطـادَنـي
«يـا جَـارَةَ الـوادي طَـرِبْـتُ وَعَـادَنِـي
ما يُشْبِهُ الأَحْلامَ مِنْ ذِكْرَاكِ»

❁ ❁ ❁

إيَّـاكِ والـهِـجْـرانَ فـاتِـنَـةَ الـوَرى
أَخْشى مِنَ الهِجْرانِ، أَلْتَحِفُ الثَّرى
قَـسَـمـاً بِـرَبِّ الـبَـيْـتِ مِـثْـلَـكِ لَـنْ أَرى
«مَثَّلْتُ بالذِّكْرى هَوَاكِ وَفي الكَرى
والذِّكْرَيَاتُ صَدى السِّنِينَ الحَاكي»

❁ ❁ ❁

أُخْـتَ الـغَـزالَـةِ، هَـلْ أَراكِ بِـخَـلْـوَةٍ
يَـوْمـاً مِـنَ الأَيّـامِ، هَـلْ مِـنْ زَوْرَةٍ؟
إِنْ كُـنْـتِ عَـاقَـبْـتِ الـمُـحِـبَّ بِـجَـفْـوَةٍ
«فَـلَـقَـدْ مَـرَرْتُ عَـلى الـرِّيَـاضِ بِـرَبْـوَةٍ
غَنَّاءَ كُنْتُ حِيَالَها أَلْقَاكِ»

❁ ❁ ❁

تـالـلَّـهِ، مـا أَحْـلـى الـلِّـقـا بَـعْـدَ الـنَّـوى
قَبْلَ اللِّقاءِ تَحَطَّمَتْ مِنّي القوى
لَـمّـا انْـتَـهـى أَمَـدُ الـفِـرَاقِ وَمَـا حَـوى
«لَمْ أَدْرِ ما طِيبُ العِنَاقِ عَلى الهَوى
حَتّى تَرَفَّقَ سَاعِدي، فَطَواكِ»

❁ ❁ ❁

هذا المُهَنَّدَ، لَسْتُ جَارٍ[1] مُعْتَدي
أَنَسِيتِ يَوْمَ جَعَلْتُ خَدَّكِ مَسْجِدي
«وَتَأَوَّدَتْ أَعْطافُ بانِكِ في يَدِي
واحْمَرَّ مِنْ خَفَرَيْهِمَا خَدَّاكِ»

❁ ❁ ❁

يا ظَبْيَةَ الوَادِي، وَنَاهِبَةَ الحِجَى
أَنَسِيتِ يَوْمَ بَعَثْتِ في قَلْبي الرَّجَا
أَنَسِيتِ يَوْمَ أَتَيْتُ في غَسَقٍ سَجَا
«وَدَخَلْتُ في لَيْلَيْنِ، فَرْعِكِ والدُّجى
ولَثَمْتُ كالصُّبْحِ المُنَوَّرِ فَاكِ»

❁ ❁ ❁

داعَبْتُهَا، فَاسْتَضْحَكَتْ، وتَمايَلَتْ
وَضَمَمْتُها، فَتَرَنَّحَتْ، وتَباعَدَتْ
أَفَتَذْكُرِينَ إِذِ الصُّدُورُ تَقَارَبَتْ
«وَتَعَطَّلَتْ لُغَةُ الكَلامِ، وخَاطَبَتْ
عَيْنَيَّ في لُغَةِ الهَوى عَيْنَاكِ»

❁ ❁ ❁

قَسَماً بِحُسْنِكِ، وَهْوَ حُسْنٌ مُفْرَدٌ
قَسَماً بِشَعْرِكِ، وَهْوَ فَاحِمُ أَسْوَدُ
قَسَماً بِخَدِّكِ، بالحَيَا مُتَوَرِّدُ
«لا أَمْسِ مِنْ عُمْرِ الزَّمَانِ ولا غَدُ
جُمِعَ الزَّمَانُ فَكَانَ يَوْمَ لِقَاكِ»

❁ ❁ ❁

---

(١) هكذا وردت.

تخميس خدعوها

لِيَ طَرْفٌ لَمْ يَدْرِ مَا الإِغْفَاءُ
وَفُؤَادٌ عَاثَتْ بِهِ الأَدْوَاءُ
يَوْمَ وَلَّتْ يَقُودُهَا الرُّقَبَاءُ
«خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسْنَاءُ
والغَوَانِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ»

* * *

صِحْتُ، لَمّا حَانَ الفِراقُ وَحُمّا،
وَيْكِ بالحُبِّ أَشْبِعِينِيَ ضَمَّا
أَنْكَرَتْنِي، وَأَوْسَعَتْنِي ذَمّا
«أَتُرَاهَا تَنَاسَت اسْمِيَ لَمّا
كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الأَسْمَاءُ؟»

* * *

يا تُرى هَلْ فُؤَادُهَا يَتَأَلَّمْ
بَعْدَما حِيلَ بَيْنَهَا والمُتَيَّمْ؟
فاسْأَلُوها لأَيِّ شَيْءٍ لأَعْلَمْ
«إِنْ تَرَانِي تَصُدُّ عَنِّي كَأَنْ لَمْ
تَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ»

* * *

يَوْمَ جَاءَتْ، فَقُلْتُ: جُنَّ الظَّلامُ
لا تَخَافِي إِنَّ الوُشَاةَ نِيَامُ
فَرَنَتْ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ، والغَرَامُ
«نَظْرَةٌ فَابْتِسَامَةٌ فَسَلامُ
فَكَلامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ»

* * *

مَـنَـحَـتْـنِـي مِـنْ ثَـغْـرِهـا الـحُـلْـوِ مـنَّـا
وَهَـبَـتْـنـي، وَلَـمْ تَـزَلْ تَـتَـثَـنَّـى
قُـبْـلَـةً، وَهْـيَ كُـلُّ مـا أَتَـمَـنَّـى
«يَـوْمَ كُـنّـا ولا تَـسَـلْ كَـيْـفَ كُـنَّـا
نَتَسَاقى مِنَ الهَوى مَا نَشَاءُ»

▲ ▲ ▲

يَـوْمَ قَـالَـتْ: أَلْـعَـيْـشُ لَـيْـسَ يَـطِـيـبُ
يـا حَـبِـيـبي، لِـمَـنْ جـفَـاهُ الـحَـبِـيـبُ
فَـخُـذِ الـعَـهْـدَ فـالـصَّـبَـاحُ قَـرِيـبُ
«وَعَـلَـيْـنـا مِـنَ الـعَـفَـافِ رَقِـيـبُ
تَـعِـبَـتْ فِي مِـرَاسِـهِ الأَهْـواءُ»

▲ ▲ ▲

يَـوْمَ قُـمْـنَـا وَأَدْبَـرَتْ، فَـتَـعـالَـتْ
مِـنْ فُـؤادي الـتَّـنَـهُّـداتُ، وآلَـتْ
ثُـمَّ لَـمَّـا اطْـمَـأَنَّ قَـلْـبي، وَمَـالَـتْ
«جاذَبَتْني ثَوْبَ العصيِّ، وقالَتْ:
أَنْـتُـمُ الـنَّـاسُ أَيُّـهـا الـشُّـعَـرَاءُ»

▲ ▲ ▲

فَـبِـخَـمْـرِ الـجَـمَـالِ أَنْـتُـمْ سُـكَـارى
لا تَـزالُـونَ، لَـيْـلَـكُـمْ والـنَّـهَـارا
واتَّـخَـذْتُـمْ حُـبَّ الـغَـوانِـي شِـعَـارا
«فـاتَّـقُـوا الـلَّـهَ فـي قُـلُـوبِ الـعَـذارى
فـالـعَـذارى قُـلُـوبُـهُـنَّ هَـواءُ»

▲ ▲ ▲

تخميس قصيدة
علموه كيف يجفو فجفا (١)

تَخِذَ الحُزْنُ فُؤادِي مَألفاً مِنْ وُشاةٍ عَكَّروا ما قَدْ صَفَا
وَيْحَهُمْ لمّا رَأوا مِنْهُ الوَفى «عَلَّمُوهُ كَيْفَ يَجْفُو فَجَفا
ظالِمٌ لاقَيْتُ مِنْهُ مَا كَفى»

■ ■ ■

اغْتَالَ قَلْبي، يَا لَهُ مِنْ جَائِرِ وَأَرانِي دَمَهُ فِي نَاظِري
وَعَجِيبٌ كُلُّ ذا مِنْ هَاجِري «وَإذا مَثَّلْتُهُ في خَاطِري
صَفَّقَ القَلْبُ إلَيْهِ وَهَفَا»

■ ■ ■

أَخْبِرُوا مَنْ صَدَّ عَنّي وغَوى لَسْتُ أَسْلُوهُ، وَإِنْ طَالَ النَّوى
رَغْمَ ما قَاسَيْتُ مِنْ جَورِ الجَوى «أَنا سَهْرانُ عَلى عَهْدِ الهَوى
لَمْ أَنَمْ، وَهْوَ بِعَهْدِي مَا وَفا»

■ ■ ■

لَسْتُ بالسَّالِي وَلا بالصَّابِرِ فَحَبيبي لَمْ يَزَلْ في خَاطِري
آهِ مَا قَوْلُكُمُ بالنّافِرِ «أَنا لَوْ نادَيْتُهُ يَا هَاجِري
هذهِ رُوحِي فَخُذْها، ما احْتَفى»

■ ■ ■

---

(١) زارني الأخ الكريم، اللِّواء يوسف بدر الخرافي وكيل وزارة الداخلية، مساء يوم الأحد الموافق ١٩٩٦/٣/٢م في ديوانيتنا، وقدم لي الأشطر الناقصة من تخميس شاعرنا الفقيد فهد صالح العسكر لقصيدة أحمد شوقي (علموه كيف يجفو فجفا)، وكانت منشورة ناقصة في كل طبعات الكتاب السابقة، ونكملها الآن في هذه الطبعة الخامسة، شاكرين للأخ الفاضل هذه البادرة، ونتمنى له موفور الصحة والسعادة والتوفيق.

مَنْ لِصَبٍّ باتَ مَنْهُوكَ القِوى   دَاؤُهُ اسْتَعْصى، وَأَضْناهُ الجَوى
هَكَذا يَعْمَلُ بالصَّبِّ النَّوى   «فَصِفَا لي يا خَليلَيَّ الدَّوَا
وَأرى الحِيلَةَ أَنْ لا تَصِفَا»

❁ ❁ ❁

بِحُقُوقِ الحُبِّ يَدْري مُجْحِفُ   وَبِتَعْذِيبي حَبيبي مُسْرِفُ
لَمْ أَزَلْ وَالوَجْدُ رُوحِي مُتْلِفُ   «مُسْتَهَامٌ في هَوَاهُ مُدْنَفُ
أَتَرَضَّى مُسْتَهاماً مُدْنَفَا»

❁ ❁ ❁

هَلْ يُقَاسِي ما أُقَاسِي أَحَدُ؟   فَعَسى الآمالُ يُحْيِيهَا غَدُ
ويَفِي بالوَعْدِ ظَبْيٌ مُفْرَدُ   «صَحَّ لِي في السِّرِّ مِنْهُ مَوْعِدُ
ثُمَّ ما صَدَّقْتُ حَتَّى أَخْلَفَا»

❁ ❁ ❁

تخميس سلوا كؤوس الطلا

طَافَ السُّقَاةُ بِها، مَا كانَ أَشْهَاهَا
فَيا نَدامى، أراحٌ أَمْ حُمَيّاها؟

فَقَدْ تَضَوَّعَ في الكاساتِ رَيّاهَا
«سَلُوا كُؤُوسَ الطّلا هَلْ لامَسَتْ فاهَا؟
واسْتَخْبِرُوا الرّاحَ هَلْ مَسَّتْ ثَنَايَاهَا»؟

❧ ❧ ❧

هَيْهاتَ أَنْسى، وَمَا لَيْلى بِناسِيَةٍ
سُوَيْعَةً جَمَعَتْنا فَوْقَ رابِيَةٍ

حَتَّى إذا سَمِعَتْ تَرْجيعَ «شادِيَةٍ»
«باتَتْ عَلى الرَّوْضِ تَسْقِيني بِصافِيَةٍ
لا لِلسّلافِ وَلا لِلْوَرْدِ رَيّاهَا»

❧ ❧ ❧

وكَاشَفَتْني - وَلَمْ تَمْلِكْ عَواطِفَها -
بِحُبِّهَا، فَنَفَتْ نَفْسي مَخاوِفَها

والكَأْسُ مِنْ غِلَّةٍ لَمْ تُغْنِ رَاشِفَها
«ما ضَرَّ لَو جَعَلَتْ كَأْسي مَرَاشِفَها
وَلَوْ سَقَتْني بِصَافٍ مِنْ حُمَيَّاهَا»

❧ ❧ ❧

فَيَا لَلَوْعَةِ قَلْبي مِنْ تَبَرّمِهَا
وَيَا لَحَرْقَةِ رُوحِي مِنْ تَجَنُّبِها

فَـهَـلْ لَـهَـا مَـأْرَبٌ مَـنْ لِـي بِـمَـأْرَبِـهَـا؟
«هَـيْـفَـاءُ كـالْـبَـانِ يَـلْـتَـفُّ الـنَّـسِـيـمُ بِـهَـا
وَيَلْفتُ الطَّيْرَ تَحْتَ الوَشْيِ عِطْفَاهَا»

❀ ❀ ❀

تَـغْـزُو الـقُـلُـوبَ وَلا خَـوْفٌ وَلا نَـدَمٌ
وَكَـمْ هُـنَـاكَ جَـرى دَمْـعٌ، وَسَـالَ دَمٌ

حَـوْراءُ عَـذْرَاءُ مَـا زَلَّـتْ بِـهَـا قَـدَمٌ
«حَـدِيـثُـهـا الـسِّـحْـرُ، إِلَّا أَنَّـهُ نَـغَـمٌ
جَـرَتْ عَـلى فَـمِ دَاوُدٍ فَـغَـنّـاهـا»

❀ ❀ ❀

وذَاتُ طَـوْقٍ شَـكَـتْ، والْـقَـلْـبُ طَـارَحَـهـا
وَقَـطَّـعَـتْ كَـبِـدي، الـلَّـهُ سَـامَـحَـهـا

يـا لَـيْـلُ قُـلْ لِـي - فَـصَـعْـبٌ أَنْ أُفَـاتِـحَـهـا -
«حَـمَـامَـةُ الأَيْـكِ مَـنْ بالشَّـجْـوِ صَـارَحَـهَـا؟
وَمَنْ وَراءَ الدُّجَى بالشَّوْقِ ناجَاهَا»؟

❀ ❀ ❀

بَـكَـتْ، لَـهـا الـلَّـهُ، واسْـتَـبْـكَـتْ وَمَـا كَـتَـمَـتْ
وَوَقْـدَةُ الـوَجْـدِ فـي أَعْـمـاقِـهـا اضْـطَـرَمَـتْ

واسْـتَـعْـرَضَـتْ صُـوَرَ الـمـاضـي، وَمُـذْ وَجَـمَـتْ
«مَـدَّتْ إلـى الـلَّـيْـلِ جـيـداً نـافِـراً، وَرَمَـتْ
إِلَيْهِ أُذْنـاً فَـحَـارَتْ فـيهِ عَـيْـنَاهَـا»

❀ ❀ ❀

يا لَيْلُ رِفْقاً بِها رِفْقاً، فَما نَكَثَتْ
عَهْداً لأَحْبابِها كَلَّا، ولا حَنَثَتْ

فَكَمْ بِجُنْحِكَ عَنْ أَحْلامِهَا بَحَثَتْ
«وَعَادَها الشَّوْقُ لِلأَحْبابِ، فَانْبَعَثَتْ
تَبْكِي، وَتَهْتِفُ أَحْياناً بِشَكْواها»

❁ ❁ ❁

يا سَاقِيَ الرّاحِ، أَحْشَائي قَدْ الْتَهَبَتْ
يا ضَارِبَ العُودِ، أَفْكاري قَد اضْطَرَبَتْ
إِنّي لَفِي مَأْتَمٍ، والسّاعَةُ اقْتَرَبَتْ
«يا زَهْرَةَ الأَيْكِ، أَيّامُ الهَوى ذَهَبَتْ
كالحُلْمِ وَاهاً لأَيّامِ الهَوى وَاهَا»

❁ ❁ ❁

تشطير

«يا جَارَةَ الوَادي طَرِبْتُ وَعَادَني»

مَا زَادَني شَوْقاً إلى مَرْآكِ

فَقَطَعْتُ لَيْلِي غَارِقاً نَشْوَانَ في

«ما يُشْبِهُ الأَحْلامَ مِنْ ذِكْرَاكِ»

«مَثَّلْتُ في الذِّكْرى هَوَاكِ وفي الكَرَى»

لَمّا سَمَوْتُ بِهِ، وَصُنْتُ هَوَاكِ

وَلَكَمْ عَلى الذِّكْرى لِقَلْبي عَبْرَةٌ

«والذِّكْرَياتُ صَدى السِّنِينَ الحَاكي»

«وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلى الرِّياضِ بِرَبْوَةٍ»

كَمْ رَاقَصَتْ فيها رُؤَايَ رُؤَاكِ

خَضْرَاءَ قَدْ سَبَتِ الرَّبيعَ بدلِّهَا

«غَنَّاءَ كُنْتُ حيَالَها أَلْقَاكِ»

«لَمْ أَدْرِ ما طِيبُ العِنَاقِ عَلى الهَوى»

والرَّوْضُ أَسْكَرَهُ الصّبَا بِشَذَاكِ

لَمْ أَدْرِ، والأَشْواقُ تَصْرَخُ في دَمي

«حَتّى تَرَفَّقَ سَاعِدي، فَطَوَاكِ»

«وتَأَوَّدَتْ أَعْطَافُ بانِكِ في يَدِي»

سَكْرى، وَدَاعَبَ أَضْلُعِي نَهْدَاكِ

أَيْنَ الشَّقائِقُ مِنْكِ حِينَ تَمايَلا

«واحْمَرَّ مِنْ خَفَرَيْهِما خَدَّاكِ؟!»

«وَدَخَلْتُ في لَيْلَيْنِ، فَرْعِكِ والدُّجَى»
والسُّكْرُ أَغْرانِي بِمَا أَغْرَاكِ

فَطَغَى الهَوى، وتَنَاهَبَتْكِ عَواطِفي
«وَلَثَمْتُ كالصُّبْحِ المُنَوَّرِ فَاكِ»

«وَتَعَطَّلَتْ لُغَةُ الكَلامِ، وَخَاطَبَتْ»
قَلْبِي بِأَحْلَى قُبْلَةٍ شَفَتَاكِ

وَبَلَغْتُ بَعْضَ مَآرِبي، إِذْ حَدَّثَتْ
«عَيْنَيَّ في لُغَةِ الهَوى عَيْنَاكِ»

«لا أَمْسِ مِنْ عُمْرِ الزَّمَانِ وَلا غَدٌ»
بِنَوَاكِ آهِ مِنَ النَّوَى رُحْمَاكِ

سَمْرَاءُ يا سُؤْلي وَفَرْحَةُ خَاطِري
«جُمِعَ الزَّمَانُ، فَكَانَ يَوْمَ لِقَاكِ»

❀ ❀ ❀

قصائد أخرى

■ كان فهد العسكر شاعراً كثير الإنتاج، وكان إنتاجه يصبُّ انصباباً على تصوير حياته البائسة، ويعكس بكل وضوح حياة مجتمعه الذي كان يعيش فيه. وكان المجتمع الكويتي مجتمعاً صغيراً محدوداً محافظاً. وبعدما انطلق فهد من تأقلمه، واندفع خياله الواسع الخصب إلى عالم أرحب، لم يجد مناصاً من الضيق الذي يحيط به يميناً وشمالاً، فظلّ في محبسه هذا يرسل قصائده شكوى مرّة، وألماً مُمِضّاً وتمزّقاً أليماً، وكان هَمّه أن يصوّر حياته هذه، ومعاناته من مجتمعه وبيئته، ثم من نفسه التي تراكمت عليها الآلام والأحزان، وأودت به إلى عالم الظّلام الذي ضرب حوله نطاقاً، وفصله فصلاً تاماً عن الطبيعة وجمالها، الطبيعة التي كان يغرق فيها همومه المتراكمة الثقيلة، ولم يجد شيئًا يخفّف هذه الآلام المتراكمة الثقيلة، غير ذلك الدّاء الذي طالما اتّخذه دواءً يخفّف به آلامه الممضّة، وأحزانه القاسية:

صَهَرْتُ في قَدَحِ الصَّهْباءِ أَحْزاني
وَصُغْتُ مِنْ ذَوْبِها شِعْري وأَلْحَاني
وَبِتُّ في غَلَسِ الظّلْماءِ أُرْسِلُها
مِنْ غَوْرِ رُوحِي، وَمِنْ أَعْماقِ وجْداني

وكانت هذه الصّور الشعرية التي يعكس فيها هذه المعاناة تنتشر هنا وهناك، بعضها يكتب له البقاء فيبقى، وبعضها يصيبه الفناء فيموت.

إنَّ المجموعة التي أوردناها في الطبعة الثانية من هذا الكتاب تمثّل جزءاً قليلاً من صوره الشعرية الكثيرة التي ضاع منها ما ضاع، وبقي ما بقي إلى أن يشاء الله، ويمكننا من العثور على ما بقي منها للإمساك به وضبطه قبل أن يصيبه الفناء فيفنى. ولعلَّ أصدق دليل على ما نقول، هو الطبعة الثانية من هذا الكتاب، إذا ما قارنّاها بالطبعة الأولى منه، التي صدرت عام ١٩٥٦م، حيث عثرنا على كثير من قصائده التي لم تنشر في الطبعة الأولى الصغيرة، وأضفناها إلى الطبعة الثانية التي صدرت عام ١٩٧٠م، وهذه الطبعة الثانية لم تكد تصدر حتى تلقَّفها الناس، وراحوا يقرأون ما فيها من شعر وجداني جميل، يؤثِّرُ في النَّفس تأثيراً بالغاً، والشعر الوجداني الصادق هو الذي يؤثِّر في النفس. ولم يمض وقت قليل حتى نفدت الطبعة الثانية، وما زال كثير من الناس يسأل عن الكتاب، ويلحّ في السّؤال إلى أن هيأ الله تعالى هذه الفرصة لإصدار طبعة ثالثة له. وستضمّ هذه الطبعة الثالثة مجموعة من شعره وجدت منشورة في جريدة (صوت البحرين)، التي كان يصدرها المرحوم عبدالله الزايد في البحرين، وقد عثر عليها الأديب البحريني، الأستاذ حمد المناعي، وأشار إليها في مقاله النَّفيس الذي نشره في مجلة (صدى الأسبوع) الصادرة يوم الثلاثاء الموافق ١٠ آب (أغسطس) ١٩٧١م في البحرين، والذي كتبه بمناسبة مرور عشرين عاماً على وفاة رائد الرّومانسية في الخليج، فهد العسكر - كما سَمّاه - ولم أكد أطّلع على هذا المقال النّفيس، حتَّى كتبت إليه راجياً تزويدي بنسخة من كلّ قصيدة من القصائد التي عثر عليها، فتفضل مشكوراً بإرسالها إليّ، وها هي أنشرها في هذه الطبعة الجديدة، لكي يطّلع عليها محبو شعره ومقدروه، ولكي تحفظ للتاريخ، وتضاف إلى مجموعة أشعاره الغنائية الراقصة.

لعلَّ هناكَ المزيد من شعره الذي ما زال حيّاً باقياً. لكنّنا لمّا نعرف بعد مكانه، وقد يكون بعضه منشوراً في بعض المجلّات أو الجرائد، وقد يكون بعضه راقداً في بعض الرّفوف والمكتبات، أو مدسوساً في بطون الكتب وبين الأوراق لدى بعض النّاس.

وكانت بعض الصحف في البلاد العربية قد نشرت الكثير من قصائده وأشعاره، لا سيَّما بعض صحف العراق من مجلات وجرائد، لكنَّنا مع الأسف الشَّديد لم نعرف أسماء الصحف التي نشرت بعض قصائده، على أننا - مهما كلفنا الأمر - سنظلّ نبحث عن قصائده في شتى هذه الصّحف، وسنظلّ نتتبَّع المصادر التي يمكن الحصول منها على آثاره لكي نحفظها للتاريخ.

وهذه هي القصائد التي عثر عليها الأستاذ المناعي، والتي تفضّل بإرسالها إليّ مشكوراً، أنشرها في هذه الطبعة مرتبة حسب تواريخ نشرها في (جريدة البحرين) للمرحوم عبدالله الزايد، وقد رأيت أن أثبتها في هذه الطبعة في فصل خاص بها تمييزاً لها عن القصائد المنشورة في الطبعة الثانية، وتسهيلاً للباحث المحقِّق الذي يريد دراسة حياة هذا الشاعر، والمفارقات التي مرَّت بها، ومعرفة تاريخ العثور عليها، وبغية إيضاح أنَّ هناك الكثير من شعر هذا الشاعر لم يصل إلينا بعد، وقد يكون بعضه قريباً حولنا، لكنَّنا لم نهتد إليه حتَّى الآن. وربَّما تفضَّل نفر من محبّي الشعر، ومقدِّري قيمته، ومن الذين تهمّهم خدمة الأدب العربي، ومن عشاق شعر هذا الشاعر، بإعادة جرد مكتباتهم وأوراقهم، علَّهم يعثرون على بعض قصائده وآثاره الأدبية، فيزوّدوننا بها لإضافتها إلى آثاره الأدبية حتى لا يقضي عليها العدم، كما فعل الأستاذ الفاضل حمد المناعي، حينما زوّدنا بهذه المجموعة الطيّبة النَّفيسة التي كتب لها البقاء، وزفّت إلى هذه الطبعة الثالثة من هذا الكتاب. ومن يدري، فلعلَّنا نتمكن من العثور على الكثير من شعره، لا سيّما ذلك الذي نشره في بعض الصحف العربية، أو أودعه لدى بعض أصحابه ومحبّيه، أما ذلك الذي حُكم عليه بالإعدام، فقد أُعدم، ولفَّه العدم، وكنت أعلم أن بعض المجلّات الأدبية التي كانت تصدر في العراق، كانت تطلب منه بعض ما يكتب من شعر، وتنشر ما يزوّدها به. وكان بعض أصحابه ومحبّيه ينسخ ما كان يسمعه منه من شعر جديد،

ويحتفظ به، بل إنه - رحمه الله - كان يبثّ همومه بقراءة ما يكتبه من قصائد جديدة أمام محبّيه وأصحابه، الذين يتجمعون حوله، ليسمعوا المزيد من أغانيه، فبعضهم كان يحفظ ما يسمع ويسجله، وبعضهم كان يسجّل ما يسمع أثناء قراءة الشاعر شعره، وتنتقل هذه القصائد بين الناس الذين يستهويهم الشعر، ويطربون له، فإلى هؤلاء جميعًا - إن وجدوا - نتقدّم بالرَّجاء للحفاظ على ما يحتفظون به من أشعار «فهد العسكر». خدمة للأدب والتاريخ، وخدمة لتاريخ حياة الشاعر ومجتمعه.

* * *

لا الأُنسُ أُنسٌ
وَلا الأفراحُ أفراح

قصيدة مهداة إلى الشاعر الأديب الأستاذ عبدالرحمن المعاودة، نشرت في العدد ١١٤ من جريدة «البحرين» ١٢ ربيع الثاني ١٣٦٠هـ - ٨ مايو ١٩٤١م

لا الأُنْسُ أُنْسٌ، ولا الأَفْراحُ أَفْراحُ
كَلَّا! ولا الرّاحُ راحٌ بَعْدَما انْزَاحُوا

مَضَوْا، وَمَا بُحْتُ عَنْ سِرِّ الهَوى لَهُمُ
وَمَا أَبانُوا لِيَ الشَّكْوى، وَما بَاحُوا

يا صَاحِ، لا كَفْكَفَتْ كَفّايَ بَعْدَهُمْ
دَمْعِي، عَلى أَنَّ دَمْعَ العَيْنِ فَضّاحُ

مَنَحْتُهُمْ كُلَّ مَا شَاءَ الغَرامُ، وَلا
غَرابَةٌ، فَصَريعُ الكَأْسِ مَنّاحُ

يَا قَوْمُ، نَفْسيَ سَالَتْ لَوْعَةً وَأَسى
هَلّا عَذَرْتُمْ أُهَيْلَ العِشْقِ، إِذْ نَاحُوا

بِاللَّهِ مَعْذِرَةً، فَالدَّهْرُ جَرَّعَني
صابَ القُنُوطِ، وَمَنْ يُسْقَاهُ نَوّاحُ

شَقِيتُ بِالحُبِّ، لا عَاشَ السَّعِيدُ بِهِ
إِنَّ الشّقا بِالْهَوى لِلْغَيْبِ مِفْتَاحُ

يا صَاحِ، لَسْتُ بِمُرْتَاحٍ، فَأَشْرَبُها
صِرْفاً، وَأَشْدُوا مَتى يا صَاحِ أَرْتاحُ

كُلُّ الأَخِلَّاءِ في لَهْوٍ وَفي طَرَبٍ
وَحَسْبُهُمْ مِنْكَ عِيدانٌ وَأَقْداحُ

وَحَسْبُ قَلْبي آلامٌ مُبَرِّحَةٌ
خُرْسٌ، وَلِلْوَجْدِ زَنْدٌ فيهِ قَدّاحُ
لِي مِنْ دُمُوعِيَ صَهْباءٌ أَبِلُّ بِها
غَلِيلَ قَلْبي، وَدَمْعِي المُنْهَمي (راحُ)
يا خِلُّ، والرّوحُ بالآفاقِ هائِمَةٌ
تَرْجُو العَزاءَ، وَكَمْ في الجَوِّ أَرْواحُ
سَلِ الأَصائِلَ والأَسْمارَ مُلْتَمِساً
عَسى تُجِيبُكَ أَمْساءٌ وأَصْباحُ
كَمْ أَغْمَضَ الجَفْنُ والأَحْلامُ شارِدَةٌ
عَنْهُ، وَتَدْنُو خَيالاتٌ وَأَشْباحُ
أَوّاهُ لا بَهْجَةُ الأَيّامِ في نَظَرِي
حُسْنٌ، وَلَيْسَ بها زَهْوٌ وَأَفْراحُ
كُفُّوا المَلامَ فآمالِي مُحَطَّمَةٌ
شَيَّعْتُها بالْبُكا فالطَّرْفُ سَحّاحُ
وَهكذا الحُبُّ شَوْقٌ مُلْحِفٌ وَأَسى
مُضْنٍ، وَدَمْعٌ، وَهَمٌّ فيهِ مِلْحَاحُ
جَدَّ الهَوى بَعْدَما شَطَّ المَزارُ، وَقَدْ
ظَنَنْتُ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الحُبَّ مَزّاحُ
يا رَوْضَةَ الوَصْلِ، لا الأَطْيارُ ساجِعَةٌ
وَلا عَبِيرُكِ بالأَجْواءِ فَوّاحُ
ولا النَّدِيمُ طَرُوبٌ بَعْدَما سَكَتَتْ
ولا السَّمِيرُ - رَعاكِ اللَّهُ - مِمْراحُ

ولا ابْـنَـةُ الـكَـرْمِ بـالـكـاسَـاتِ ضَـاحِـكَـةٌ
كَـلَّا، ولا الـعُـودُ بـالأَسْـحَـارِ صَـدَّاحُ

فَـهَـلْ يُـطِـيـلُ رَبـيـعُ الـوَصْـلِ غَـيْـبَـتَـهُ
أَمْ لا، فَـتَـحْـتَـضِـنُ الـعُـشَّـاقَ أَدْواحُ

إغْـفَـاءَةُ الـدَّهْـرِ لَـوْ طَـالَـتْ لـمـا عَـبَـثَـتْ
بِـنَا الـصُّـرُوفُ، وصَـرْفُ الـدَّهْـرِ يَـجْـتـاحُ

يـا مَـرْتَـعَ الـرّوحِ، يـا مَـلْـهـى طُـفُـولَـتِـنـا
إنّـي إلَـيْـكَ - وَرَبِّ الـبَـيْـتِ - جَـنّـاحُ

وَكَـيْـفَ لا، يـا مَـلاذَ الـعـاشِـقِـيـنَ، وَلـي
قَـلْـبٌ لأُفْـقِـكَ خَـفّـاقٌ وَسَـبّـاحُ

مَـتَـى عـلـى رَمْـلِـكَ الـفِـضّـيِّ تَـجْـمَـعُـنَـا
عَـلـى الـمَـحَـبَّـةِ والإِخْـلاصِ أَفْـرَاحُ

مَـعْ إخْـوَةٍ فـي ضِـفـافِ الـنَّـهْـرِ قَـدْ نَـزَلُـوا
فَـمَـنْ لِـرُوحِـي وَقَـلْـبي بَـعْـدَما رَاحُـوا؟!

يـا مَـنْ شُـغِـفْـتُ بِـهِ، لا حُـسْـنُ صُـورَتِـهِ
أَغْـرَتْ فُـؤادي، فَـإنَّ الـحُـسْـنَ يَـنْـزَاحُ

رُحْـمـاكَ طَـالَ الـسّـرى، والـلَّـيْـلُ مُـعْـتَـكِـرٌ
فـاسْـفِـرْ، فَـوَجْـهُـكَ وَضّـاحٌ وَلَـمّـاحُ

حَـامَ الـفُـؤَادُ كَـمـا حَـامَ الـفَـراشُ، ولَـمْ
يَـزَلْ، وَطَـلْـعَـتُـكَ الـغَـرّاءُ مِـصْـبـاحُ

مَـوْلايَ زَوْرَقُ حُـبّـي كَـيْـفَ تُـغْـرِقُـهُ
فَـأَنْـتَ رُبَّـانُـهُ والـقَـلْـبُ مَـلاّحُ

❁ ❁ ❁

يا فتاتي أوّاه فالصيف ولّى[1]

نشرت في العدد ١٣٤ من جريدة «البحرين» - ٥ رمضان ١٣٦٠هـ - ٢٥ سبتمبر ١٩٤١م

مَـنْ لِـرُوحـي فَـلا الـرَّحِـيـقُ رَحِـيـقُ
وَلِـقَـلْـبـي فَـلا الـرَّفـيـقُ رَفـيـقُ؟

يـا مَـلاكِـي، أَوّاهُ (أَغْـرِبَـةُ) الـبَـيْـنِ
تَـعَـالـى نَـعِـيـبُـهـا والـنَّـعِـيـقُ

يـا عَـرُوسَ الـخَـيـالِ، والـصَّـيْـفُ وَلّـى
تـارِكـاً فـي الـنُّـفُـوسِ مـا لا تـطِـيـقُ

شَـجَـنٌ صـادِحٌ وَشَـوْقٌ مُـلِـحٌّ
وَجِـراحٌ لَـمْ تَـنْـدَمِـلْ وَحُـروقُ

آهِ شَـفَّ الـحَـنِـيـنُ رُوحِـي وَأَضْـنَـى الـ
ـوَجْـدُ قَـلْـبِـي، وإِنَّـهُ لَـخَـلِـيـقُ

يـا مُـنَـى الـقَـلْـبِ قَـدْ خَـلا شَـاطِـئُ الـرَّمْـ
ـلِ فَـلا عَـاشِـقٌ ولا مَـعْـشُـوقُ

وَريـاحُ الـخَـرِيـفِ تَـعْـصِـفُ فـي الأُفْـ
ـقِ تِـبـاعـاً وَرَعْـدُهُ والـبُـرُوقُ

بَـعْـدَمـا كـانَ، يـا شَـقِـيـقَـةَ رُوحـي،
مِـلْـؤُهُ الـشّـدْوُ، إِذ يُـدارُ الـرَّحِـيـقُ

لا الأَخِـلاّءُ - يـا فَـتـاتـي - فَـرِيـقـا
نِ، فَـريـقٌ يَـحْـسُـو، وَيَـلْـهُـو فَـريـقُ

لا، ولا العودُ في سُكونِ الدُّجى يَشْـ
ـدو فَيَعْلُو الهتافُ والتَّصْفِيقُ

لا، ولا أَكْؤُسُ الطّلا مُتْرعاتٌ
حَفَّها في دُجى الظَّلامِ بَريقُ

آهِ ما أَعْظَمَ المُصابَ! تَعالَيْ
شارِكِيني الأسى، فَحُزْني عَميقُ

يا فَتاتِي عَرائِسُ الوَحْيِ والإِلْـ
ـهامِ غابَتْ، مَتَى يَكُونُ الشُّرُوقُ؟

كُسِرَ العُودُ، والنّدامى مَعَ السُّمَّـ
ـارِ رَاحُو، وَحُطِّمَ الإِبْرِيقُ

جَفَّ كَأْسِي، فَلا الصَّبْوحُ صَبوحٌ
بَعْدَ صَحْبي، وَلا الغَبُوقُ غَبُوقُ

فَتَعالَيْ إلى الشُّوَيْطِيءِ وَهْناً
طارِحيهِ الغَرامَ، فَهْوَ مَشُوقُ

وَلْنُرِقْ دَمْعَنا عَلى رَمْلِهِ الصّـ
ـادي ونَشْكُو الهَوى، وَلِمْ لا نُرِيقُ؟!

شَبَّ - واحَسْرَتاهُ - بَيْنَ ضُلُوعي
مُنْذُ أَنْ غِبْتِ، يا مُنَايَ، حَرِيقُ

مَزَّقَ النَّفْسَ مِنْ لَظاهُ زَفِيرٌ
يُلْهِبُ القَلْبَ حَرُّهُ وَشَهيقُ

يا غِذاءَ الفُؤادِ يا فَرْحَةَ النَّفْـ
ـسِ، تَعالَيْ، فَإِنَّ عَهْدي وَثِيقُ

بِأَبي ثَغْرُكِ الجَميلُ فَلِلْقَلْبِ
رَفيفٌ حِيالَهُ وَخُفوقُ

وَمُحَيّاكِ يا فَتاتي وَفيهِ
أُقْحُوانٌ وَنَرْجِسٌ وشَقيقُ

مَبْسِمٌ مُشْرِقٌ وَوَجْهٌ طَليقٌ
وخِصالٌ غُرٌّ وَطَبْعٌ رَقيقُ

وَجَبينٌ زاهٍ وَخَدٌّ أَسيلٌ
وَعُيونٌ نَشْوى وَقَدٌّ رَشيقُ

يا فَتاتي، سَكِرْتُ مِنْ غَيْرِ خَمْرٍ
فَمَتى يا حَياةَ رُوحي أَفيقُ؟

يا فَتاتي، إنّي لَدَيْكِ رَقيقٌ
وَمِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُهانَ الرَّقيقُ

يا فَتاتي، إنّي ضَلَلْتُ وَضاعَ الـ
قَلْبُ مِنّي، فَأَيْنَ أَيْنَ الطّريقُ؟

يا فَتاتي، إنّي غَرِقْتُ فَهَلْ مِنْ
مُنْقِذٍ؟ كَمْ وَكَمْ يُنادي الغَريقُ

يا فَتاتي، إنّي أُسِرْتُ وَكَمْ هَـ
ـبَّ لِعَذْلي - واحَسْرَتاهُ - طَليقُ

يا فَتاتي، إنّي مَسُوقٌ - حَنانَيْـ
ـكِ - إذا ما أَتَى إلَيْكِ المسوقُ

يا فَتاتي، رُحْماكِ، إنّي شَقِيٌّ
فاسْعِديني، وَإنَّني لَحَقيقُ

يـا فَـتـاتـي، حَـمَّـلْـتِـنـي فَـوْقَ مـا أَسْـ
طِـيـعُ، رُحْـمـاكِ، إِنَّـنـي لا أُطـيـقُ
لا حَـبـيـبٌ أَشْـكُـو إِلَـيْـهِ فَـيَـرْثِـي
لِـشَـكـاتـي، وَلا صَـديـقٌ صَـدُوقٌ
لا، ولا وَالِـــدٌ يَـــرِقُّ، ولا أُمٌّ
فَـتَـحْـنـو، ولا شَـقـيـقٌ شَـفُـوقُ
قَـدْ سَـقـانـي الـغَـرَامُ سُـمّـاً زُعـافـاً
لَـكِ مـا ذُقْـتُـهُ وَمـا سَـأَذُوقُ
يـا عَـروسَ الإلْـهـامِ يـا مَـصْـدَرَ الـوَحْـ
يِ، هَـلُـمّـي، فَـإِنَّ عَـهْـدي وَثِـيـقُ
أَنـا حَـلَّـقْـتُ، ثُـمَّ قَـصَّ جَـنـاحـي
يـا مَـلاكـي، دَهْـرٌ ظَـلُـومٌ عَـقُـوقُ
فَـأَرِيـشـيـهِ كَـيْ أُحَـلِّـقَ فـي جَـ
وِّ الأَمـانـي مـارَاقَـنِـي الـتَّـحْـلِـيـقُ

❁ ❁ ❁

يا حبيبي
إليك وجهت وجهي

نشرت في العدد ١٣٥ من جريدة «البحرين»
١٢ رمضان ١٣٦٠هـ - ٢ أكتوبر ١٩٤١م

أَيْ وَعَيْنَيْكَ، فاضَ كَأْسُ غَرامي
يا حَبيبي، وما بَلَغْتُ مَرامي

يا حَبيبي، تِلْكَ الدِّعَايَاتُ لَمْ تَرْوِ
- وَرَبِّي - صَدَى فُؤادي الظَّامي

يا أَسيلَ الخَدَّيْنِ - باللَّهِ - هَبْ لِي
قُبْلَةً مِنْ لماكَ، واشْفِ أُوامي

بِحُقوقِ الحُبِّ المبَرّحِ إرْحَمْ
وَتَصَدَّقْ بها عَلى المُسْتَهامِ

يا حَبيبي، رُحْماكَ، أَنْهَكَنِي الصَّحْوُ
وفي ثَغْرِكَ الجَميلِ مدامي

أَمِنَ العَدْلِ أَنْ تُجَرِّعَني الصَّابَ
دُهاقاً جاماً على إثْرِ جامِ

وَأُقاسِي مِنَ الضَّنا والسّقامِ
ما أُقاسِي، وأَنْتَ تَلْهُو أَمامي

يا حَبيبي وَلِلْفُؤادِ طَوافٌ
فارْعَهُ حَوْلَ ثَغْرِكَ البَسَّامِ

يا حَبيبي، إلَيْكَ فَوَّضْتُ أَمْري
رَغْمَ أَنْفِ الوُشاةِ واللّوّامِ

هـاكَ قَـلْـبـي، وَهَـاكَ عَـقْـلـي وَرُوحـي
يـا مَـلاكِـي، وَخُـذْ إِلَـيْـكَ زِمـامـي
أَنْـتَ أَلْـهَـمْـتَـنـي الـقَـريـضَ، فَـأَنْـصِـتْ
لِـنَـشـيـدي، يـا مَـصْـدَرَ الإِلْـهـامِ
واصْـغِ، يـا مُـنْـيَـتـي ومِـشْـعَـلَ رُوحـي،
بِـسُـكُـونِ الـدّجـى إلـى أَنْـغـامـي
ساهِـراً حَـوْلَ شـاطِـىءِ الـرَّمْـلِ وَحْـدي
نـادِبـاً شـاكِـيـاً بِـجُـنْـحِ الـظَّـلامِ
وأُنـادِي: والْـقَـلْـبُ ذَابَ، وَجَـفَّ الـ
كَـأْسُ، أَيْـنَ الـطِّـلا؟ وَأَيْـنَ غُـلامـي؟
وإِذا مـا بَـدا الـصَّـبـاحُ، وَبُـحَّ
الـصَّـوْتُ مِـنّـي، وسَـالَ جُـرْحـي الـدّامي
أَدْبَـرَ الـلَّـيْـلُ حَـامِـلاً زَفَـراتـي
وأَنـيـنـي وتَـارِكـاً آلامـي
يـا حَـبـيـبـي، إِلَـيْـكَ وَجَّـهْـتُ وَجْـهـي
أيْ وَعَـيْـنَـيْـكَ، طِـيـلَـةَ الأَعْـوامِ
كَـيْـفَ لا، والـجَـمـالُ فـيـكَ تَـجَـلَّـى
وَبِـهِ قَـدْ عَـبَـدْتُ رَبَّ الأَنـامِ
لَـكَ ثَـغْـرٌ يَـفْـتَـرُّ عَـنْ بَـسَـمـاتٍ
ضَـوْؤُهـا أَيْـقَـظَ الـشُّـعـورَ الـسّـامـي
بَـسَـمـات مـا افْـتَـرَّ مَـبْـسَـمُـكَ الـوَرْ
دِيُّ عَـنْـهـا، إِلَّا وَطَـأْطَـأْتُ هـامـي

تَـتَـجَـلَّـى بِـهـا الـبَـراءَةُ والـطُّـهْـرُ
وَهَــذا وَتِــلْــكَ سِــرُّ غَــرامــي
(وَحَــديــثٌ) كَــمْ هَــزَّ أَوْتــارَ رُوحــي
(ودَلالٌ) أَلَــذُّ مِــنْ أَحْــلامــي
(وَطـبـاعٌ) أَرَقُّ مِـنْ بَـسْـمَـةِ الـفَـجْـرِ
(وَصَـوْتٌ) يُـزْري بِـشَـدْوِ الـحَـمـامِ
(وَمُـحَـيّـا) مَـلائِـكـيٌّ جَـمـيـلٌ
فـي فَـضـا الـرُّوحِ لاحَ بَـدْرَ تَـمـامِ
وَبِــروحــي، (رُوحٌ) أَخَــفُّ وأَنْــقــى
مِـنْ رَحـيـقِ الـصَّـبـاحِ بـالأَكْـمـامِ
(وَقَــوامٌ) أَيْــنَ الأمــالــيــدُ مِــنْــه
بـالـتَّـثَـنِّـي، أَجْـمِـلْ بِـهِ مِـنْ قَـوامِ
يـا حَـبـيـبَ الـفُـؤادِ زِدْنِـي غَـرامـاً
بِـخُـضُـوعـي لَـدَيْـكَ واسْـتِـرْحـامي
أَنْــتَ تَــدْري بَــأَنَّــنــي بِــكَ صَــبٌّ
لَـسْـتُ أَعْـمـى، يـا أَيّـهـا الـمُـتَـسـامي
أَصْـدِرِ الـحُـكْـمَ إِنَّ حُـكْـمَـكَ عَـدْلٌ
أَنـا راضٍ لَـوْ جُـرْتَ بـالأَحْـكـامِ
يـا حَـبـيـبـي، حَـتّـامَ أَكْـتُـمُ حُـبّـي
أيْ وَعَـيْـنَـيْـكَ، فـاضَ كَـأْسُ غَـرامـي

عذارى الشاطئ

نشرت في العدد ٢٣٦ من جريدة «البحرين» الصادر في ١٠ رمضان ١٣٦٢هـ - ٩ سبتمبر ١٩٤٣م

حَسْبُ الغواني أَنَّهُنَّهْ
حَطَّمْنَ قَلْبي، حَسْبُهُنَّهْ

وبَدا نحوسٌ في الهَوى
لمّا تَأَلَّقَ سَعْدُهُنَّهْ

فَمَلَكْنَ إحْساسي عَلَيَّ
فَطَافَ قَلْبي حَوْلَهُنَّهْ

صَدْيانُ لا يَشْفي صَدا
هُ سِوى اللّمى، يا لَيْتَهُنَّهْ

قُلْ لِلْمَريضاتِ الجُفُو
نِ: رُوَيْدَكُنَّ رُوَيْدَكُنَّهْ

اللَّهَ، في مُهَجٍ بَرا
ها، يا عَذارى، حُبُّكُنَّهْ

اللَّهُ أَعْطاكُنَّ، فالدّنْـ
يَا وَزينَتُها لَكُنَّهْ

رِفْقاً بِأَفْئِدَةِ الشَّبا
بِ، فَقَدْ شَجاها صَدُّكُنَّهْ

حامَتْ - كَما حَامَ الفَرَا
شُ - عَلى شَقيقِ خُدُودِكُنَّهْ

لَـــمّـــا تَـــبَـــدّى ســـرْبُـــهُـــ
نَّ، اصْـطـادَ قَـلْـبـي سِـرْبُـهُـنَّـهْ
لَـــمْ أَدْرِ، وَا لَـــهَـــفــي عَـــلــى
لَـيْـلايَ، هَـلْ هِـيَ بَـيْـنَـهُـنَّـهْ؟
فَـــنَـــســيــتُ رَبّـــي، كَـــيْــفَ لا،
وَسَـــجَـــدْتُ إِجْـــلالاً لَـــهُـــنَّـــهْ
والـــشّـــاطِـــىءُ الـــرَّمْـــلِـــيُّ صَـــ
فَّـقَ هـاتِـفـاً فَـرِحـاً بِـهُـنَّـهْ
والـــمَـــوْجَ دَاعَـــبَ، حَـــيـــنَـــمـــا
عَـــانَـــقْـــنَـــهُ، أَرْدافَـــهُـــنَّـــهْ
يَـــا لَـــيْـــتَـــهُـــنَّ عَـــرَفْـــنَـــنِـــي
يـــا صَـــاحِ، إِذْ غَـــازَلْـــتُـــهُـــنَّـــهْ
مـــا خَـــطْـــبُـــهُـــنَّ نَـــفَـــرْنَ مِـــنّـــ
ي حِـيـنَـمـا كَـاشَـفْـتُـهُـنَّـهْ
أَوَ مَـــا عَـــلِـــمْـــنَ بِـــأَنَّ لـــي
قَـــلْـــبـــاً يُـــقَـــدِّسُ طُـــهْـــرَهُـــنَّـــهْ

❧ ❧ ❧

احفروا لي قبراً على شاطئ البحر

نشرت في العدد ٢٣٩ من جريدة «البحرين»
أول شوال ١٣٦٢هـ - ٣٠ سبتمبر ١٩٤٣م

لَيْسَ عِيداً بَلْ مَأْتَمٌ يا صِحَابي
فَامْلأُوا الكَأْسَ إِنْ أَرَدْتُمْ عَذابي

إشْرَبُوا الرّاحَ، يا نَدامى، هَنِيئاً
وَدَعُوني أَحْسُو مَريرَ الصّابِ

إِنَّ شَدْوَ الأَوْتارِ يُشْجِي فُؤَادي
وتُثِيرُ الأَسى كُؤوسُ الشَّرابِ

يا رِفاقَ الصّبا دَعُوني، فَلا يُجْدي
قَتيلاً، لَوْمي، كَفانِيَ مَا بي

أَنا رُوحٌ تَنُوحُ طَوْراً عَلى الأَرْ
ضِ وَطَوْراً عَلى مُتُونِ السّحابِ

أَنا في هَذِهِ الحَياةِ غَرِيبٌ
بائِسٌ تائِهٌ وَراءَ الضَّبابِ

أَنا في الحُبِّ، يا رِفاقي، شَقِيٌّ
وَسَعيدٌ، وَا فَرْحَتي وَاكْتِئابي

أَنا صَدْيانُ، يا لَتَعْسِ نَصيبي
أَنا سَهْرانُ، يا لَطُولِ انْتِحابي

أَنـا وَلْـهـانُ، مَـنْ لِـقَـلْـبـي وَرُوحـي؟
أَنـا حَـيْـرانُ، يـا أُولـي الأَلْـبـابِ

أَنـا سَـكْـرانُ مـا شَـرِبْـتُ مـدامـاً
فـاسْـأَلـونـي، وأَنْـصِـتـوا لِـجَـوابـي

يـا رِفـاقـي، لا تَـحْـفِـرُوا لـي - إذا مـا
مُـتُّ شَـوْقـاً - قـبـراً بـقَـفْـرٍ يَـبَـابِ

احْـفُـروا لـي قَـبْـراً عَـلـى شـاطِـيءِ الـبَـحْـرِ
لَـعَـلَّ الأمْـواجَ تَـبْـكـي شَـبـابـي

وادْفُـنـونـي بَـيْـنَ الـصُّـخُـورِ عَـسـى يَـهْـ
ـدأُ رَوْعـي وَثَـوْرَتـي واضْـطِـرابـي

يـا صُـخُـورَ الـشّـاطِـيَ، بِـرَبِّـكَ، إنْ مَـرَّ
عَـلـى مَـرْقَـدي، هُـنـا، أَحْـبـابـي

خَـبِّـريـهـمْ عَـمّـا لَـقِـيـتُ مِـنَ الـهَـمِّ
وشَـتَّـى الآلامِ والأَوْصـابِ

سـاءَهُـمْ أَنْ أَعـيـشَ صَـبًّـا أُنـاغـيـهِـمْ
بِـأَشْـعـاري الـرِّقـاقِ الـعِـذابِ

وأَنـا شـاعِـرٌ، خُـلِـقْـتُ لأَشْـدو،
لا لأَتْـلُـو الـقُـرْآنَ فـي الـمِـحْـرابِ

فَـهَـلِ الـحُـبُّ والـتَّـغَـزُّلُ ذَنْـبٌ
آهِ، وَاضَـيْـعَـةَ الـمُـنـى والـرِّغـابِ

فَلأَمُتْ في سَبيلِهِمْ ناعِمَ البا
لِ، لَعَلّي أَرْتاحُ تَحْتَ التُّرابِ

يا لَيالي الصَّيْفِ الجَميلَةِ قَدْ عُدْ
تِ، فَأَيْنَ الصّبا، وأَيْنَ التَّصابي؟!

أَيْنَ بِنْتُ الكُرومِ، أَيْنَ حَبيبي
أَيْنَ كَأْسي، بَلْ أَيْنَ منّي صِحابي؟!

كَمْ تَعَلَّلْتُ بالأماني، وهَلْ يَشْـ
ـفي غَليلَ الظّمْآن لَمْعُ السَّرابِ؟!

سائِلي الرَّمْلَ والصُّخُورَ وَمَوْجَ البَـ
ـحْرِ عَنّي، يا مَنْيَةَ الأَتْرابِ

أَنا حَطَّمْتُ رَغْمَ أَنْفي يَراعي
يا لَحُزْني، وَقَدْ طَوَيْتُ كِتابي

ثُمَّ كَسَّرْتُ بَعْدَ ذلكَ إِبْريـ
ـقي وَعُودي، وَلَمْ أَدَعْ أَكْوابي

يا صِحابي، وَيْلاهُ، اسْتَأْسَدَ الثَّعْلَبُ
واسْتَنْعَجَتْ أُسودُ الغابِ

والهِزَبْرُ الهَصُورُ أَصْبَحَ كَبْشاً
خاضِعاً رَغْمَ أَنْفِهِ لِلْكِلابِ

وقَضى نَحْبَهُ هَزاريَ لمّا
أَصْبَحَ الرَّوْضُ مسرحاً لِلْغُرابِ

وَجَنـاحُ الـحَـيـاةِ مِـنّـي مَـهِـيـضٌ
وَجَـوادي فـي حَـلْـبَـةِ الـسَّـبْـقِ كـابـي

يـا صِـحـابـي، والـدَّهْـرُ قَـدْ رَفَـعَ الـعَـبْـدَ
وَسَـامَ الأَحْـرارَ سُـوءَ الـعَـذابِ

بَـعْـدَمـا طـارَدَ الـرّؤوسَ وَأَقْـصـا
هُـمْ وغَـصَّ الـمَـيْـدَانُ بـالأَذْنـابِ

* * *

أَشْجاكَ يَوْمَ العِيدِ مَا أَشْجانِي

نشرت في العدد ٢٤٠ من جريدة «البحرين»
الصادر في ٨ شوال ١٣٦٢هـ - ٧ أكتوبر ١٩٤٣م

ذِكْــرَى أَثَــارَتْ غــافِــيَ الأَحْــزانِ
أَشْجَاكَ يَـوْمَ الـعيدِ ما أَشْجانـي

شَــجَــنٌ مُــمِــضٌّ صَــارِخٌ، وكــآبَــةٌ
خَـرْسـاءُ، يـا لَـلْـبُـؤْسِ والـحِـرْمـانِ

يـا لَـلـتَّـعـاسَـةِ، لا حَـبـيـبٌ أَرْتَـجـي
مِـنْـهُ الـوِصـالَ، ولا أَخٌ واسَــانـي

صَـدَعَـتْ صَـبَـاحَ الـعِـيـدِ كَـأْسِـي زَفْـرَةٌ
أَطْـلَـقْـتُـهـا مِـنْ قَـلْـبِـيَ الـحَـرّانِ

حَـتَّـى إذا سـالَ الـصَّـبُـوحُ وَدِدْتُ لَـوْ
أَنّـي اغْـتَـبَـقْـتُ بِـدَمْـعِـيَ الـهَـتّـانِ

وَكَـذَلِـكَ اسْـتَـبْـدَلْـتُـهُ، وَظَـنَـنْـتُ أَنَّ
الـخَـمْـرَ تُـطْـفِـيءُ غِـلَّـةَ الـصَّـدْيـانِ

فَـشَـرِبْـتُـهـا صِـرْفـاً، وَلَـمْ أَسْـكَـرْ، وَلَـمْ
أَطْـرَبْ، وزادَ الـحُـزْنُ كـأسِـي الـثّـانـي

أَنـا لا أُغَـنِّـي أَيُّـهـا الـسّـاقـي، ومـعـ
ـذِرَةً إذا مـا نُـحْـتُ، يـا أَقْـرانـي

كُـلُّ امْـرِىءٍ مِـنْـكُـمْ يُـضَـاحِـكُ كَـأْسَـهُ
طَـرَبـاً، وكَـأْسي - وَيْـحَـهُ - اسْتَبْكاني

وشَرِبْتُمُ، وَطَرِبْتُمُ، ما كانَ أَسْـ
ـعَدَكُمْ بأكْؤُسِكُمْ، وما أَشْقاني
كُفّوا المَلامَ، فَلَسْتُ أَوَّلَ بائِسٍ
يَسْتَبْدِلُ الأَفْراحَ بالأَحْزانِ
إلْحاحُكُمْ يُدْمي فُؤادي، فاقْبَلُوا
عُذْري، وَيُؤْلِمُ عتبكُمْ وجْداني
لا أَشْكُرَنَّ مُهَنِّئي بالعيدِ، بَلْ
شُكْري الجَزيلُ لِمَنْ بِهِ عَزّاني
واللَّهِ لا نَفْسي بِهِ هَنَّأْتُها
كَلّا، ولا أَهْلي ولا إِخْواني
إلّاكَ، يا بَدْري، فهاكَ تَهانِئي
بالعيدِ مِنْ أَعْماقِ قَلْبي العاني
يا مَنْ حَفِظْتُ عُهُودَهُ، وَأَضاعَ عَهْـ
ـدي، واسْتَجَبْتُ نِداءَهُ، وعَصانِي
وَمَنَحْتُهُ حُبّي، فَأَدْبَرَ ساخِراً
مِنّي، وَأَشْمَتَ حاسِدي، وَجَفاني
أوَ ما عَلِمْتَ بأَنَّ هَجْرَكَ سامَنِي
سُوءَ العَذابِ، وَشَفَّني، وَبَراني
وأَنا فَدَيْتُكَ شاعِرٌ، حَسْبي - مِنْ الدُّ
نْيا وَمَا فيها - فَتًى يَرْعانِي
أسْقِيهِ آونَةً، وَيَسْقِينِي، وَإِنْ
ناغَيْتُهُ بِقَصائِدي، ناغانِي

وَيَــبُــثُّــنِــي شَــكْــواهُ حِــيــنَ أَبُــثُّــهُ
شَــكْــوايَ، والــكَــأْســانِ يَــسْــتَــمِــعــانِ
فَــإِذا شَــرِبْــنــاهــا عَــلــى هَــمْــسِ الــصِّــبــا
هَــتَــفَ الــسّــرورُ، وَصَــفَّــقَ الــقَــلْــبــانِ
يــا زيــنَــةَ الــدُّنْــيــا، وَيَــا دُنْــيــا الــمُــنــى
والــشِّــعْــرِ والأَحْــلامِ والأَلْــحــانِ
أَلْــعــيــدُ عــيــدي، يَــوْمَ تَــسْــقــيــنــي، وَأَسْــ
قــيــكَ الــمــدامَ، وأَنْــتَ فــي أَحْــضــانــي
أَلْــعِــيــدُ عــيــدي، يَــوْمَ أَقْــطِــفُ مِــنْ خُــدو
دِكَ يــا مُــنــايَ، شَــقــائِــقَ الــنُّــعْــمــانِ
أَلْــعِــيــدُ يَــوْمَ الــهَــمْــسِ والــنَّــجْــوى إِلــى
أَنْ يُــصْــبِــحَ الــتَّــعْــبِــيــرُ بــالــخَــفَــقــانِ
أَلْــعــيــدُ يَــوْمَ نَــنَــامُ مِــلْءَ جُــفُــونِــنَــا
مُــتَــعَــانِــقَــيْــنِ، كَــأَنَّــنــا طِــفْــلانِ
أَلْــعِــيــدُ يَــوْمَ يُــصَــفِّــقُ الــقَــلْــبــانِ مِــنْ
فَــرَحِ الــلِّــقــاءِ، وتَــهْــتِــفُ الــرّوحــانِ
أَلْــعِــيــدُ يَــوْمَ أُمَــتِّــعُ الــطّــرْفَ الــذي
أَسْــهَــدْتُــهُ بِــجَــمــالِــكَ الــفَــتّــانِ

لا أَنْتِ أَنْتِ
وَلا حَوّاءِ حَوّاء

نشرت في العدد ٢٤١ من جريدة «البحرين»
١٥ شوال ١٣٦٢هـ - ١٤ أكتوبر ١٩٤٣م

لا الرَّوْضُ رَوْضٌ، ولا الصَّهْباءُ صَهْباءُ
ولا النّدامَى مَيامِينٌ أَحِبّاءُ

شَطّ المَزارُ فَلا طَيْفٌ ولا أَمَلٌ
أَيْنَ الأَخِلاَّءُ، لا عَاشَ الأَخِلاَّءُ؟

(حَوّاءُ)، أَوّاهُ مِنْ داءٍ تَأَصَّلَ في
قَلْبي، فَعَزَّ الدّوَا، واسْتَفْحَلَ الدّاءُ

وَمِنْ لَوَاعِجِ شَوْقٍ قَطَّعَتْ كَبِدِي
حَتَّى رَثَى لِيَ أَعْداءٌ أَلِدَّاءُ

مَنْ لِلْجَريحِ، وَقَدْ شُقَّتْ مَرارَتُهُ؟
مَنْ لِلْحَزينِ، وَقَدْ مَسَّتْهُ ضَرّاءُ؟

مَنْ لِلْكَئِيبِ، وَقَدْ أَوْدَتْ بِمُهْجَتِهِ
كآبَةٌ في صَميمِ النَّفْسِ خَرْسَاءُ؟

فَلا الطّعامُ مُساغٌ حينَ يُطْعَمُهُ
ولا يبلُّ صَداهُ - وَيْحَهُ - الماءُ

يَعيشُ في هذهِ الدُّنيا بِلا أَمَلٍ
تُصيبُهُ نُوَبٌ مِنْها وَأَرْزاءُ

يا مِشْعَلَ الرّوحِ، كَمْ قالَ العَوَاذِلُ لي:
لا أَنْتِ أَنْتِ، ولا حَوّاءُ حَوّاءُ

هَـجَـرْتِ، والـرُّوحُ لا تَـنْـفَـكُّ حـائِـرَةً
وَجُرْتِ، والأُذْنُ عَـنْ شَـكْـوايَ صَـمّـاءُ

وفـي جَـحـيـمِ الـجَـوى نَـفْـسٌ مُـعَـذَّبَـةٌ
وَمَـا لِـطَـرْفـيَ مُـذْ فـارَقْـتِ إِغْـفـاءُ

سَـلـي الـصَّـبـا أَنَّـنـي أَوْدَعْـتُـهُ نَـبَـأً
وطـالَـمـا هَـيَّـجَـتْـنـي مِـنْـهُ أَنْـبـاءُ

حَـوّاءُ، تَـذْكـارُ ذاكَ الـعَـهْـدِ بَـرَّحَ بـي
وَمَـا أَنـا، يـا حَـيَـاةَ الـرُّوح، نَـسَّـاءُ

هـذا هُـوَ الـكَـأْسُ فـي كَـفّـي سَـأَشْـرَبُـهـا
فَـهْـيَ الـدّواءُ، وقـد كَـلَّ الأَطِـبّـاءُ

فَـلَـسْـتُ أَوَّلَ مُـشْـتـاقٍ تَـجَـرَّعَـهَـا
ومُـغْـرَم أَوْدَعَـتْـهُ الـقَـبْـرَ حَـسْـنـاءُ

وهـا هِـيَ الـرّوحُ قُـرْبـانـاً أُقَـدِّمُـهـا
يـا مَـذْبَـحَ الـحُـبِّ، لا عـاشَ الأَشِـحّـاءُ

* * *

بَيْنَ العَسكر والرَّشيد

أرسل الشاعر المرحوم فهد العسكر إلى صديقه الشاعر عبدالمحسن محمد الرشيد، وكان مسجونًا، يسأله عن حاله، فأرسل إليه هذه الأبيات:

أَيُّها السّائِلُ عَنْ حالي   ومَا حَالُ السَّجِينِ
حالُ مَنْ أَمْسى، كَمَا أَصْبَحَ، ذا رُوحٍ حَزِينِ
تَعْبُرُ الدُّنْيا عَلَيْهِ   وَهْوَ في ظِلِّ السُّكونِ

فرد العسكر عليه بهذه الأبيات:

حالي كحالِكَ أَيُّها الشَّحْرُورُ   قَسَتِ الحَياةُ فَكُلُّنا مَأْسورُ
فالعَسْكَرُ المَفْجوعُ ضَاقَ بِحَبْسِهِ   وابْن الرُّشَيدِ بِسِجْنِهِ مَوْتورُ
الأُسْدُ تُؤسَرُ والنِّعاجُ طَليقَةٌ   والصَّقْرُ يَهْوي والغُرابُ يَطِيرُ

❁ ❁ ❁

إليكَ يا مُطْلَقُ[1]

ﷺ كان المرحوم فهد يعاني ضيق اليد، فاستدان بعض المال من أحد فضلاء الكويت، وهو السيد مطلق حسن الحسيان الذي كان يعمل بالغوص، وكان عليه أن يسدد المبلغ في الوقت المتفق عليه، لكنه لم يستطع لعدم وجود أي مبلغ في يده، فكتب رسالة قصيرة إلى السيد مطلق الحسيان يعتذر فيها عن عدم استطاعته تسديد المبلغ، ويطلب منه أن يوسع له المجال وأن يسع صدره اعتذاره، وإلا فإنه مضطر أن يبيع ما لديه من كتب، هي سلوته في نكبته حسب تعبيره، وأنيسه في وحدته، أو أن يبيع ما لديه حتى ملابسه، ويقول أيضًا: إنه يظن أن كل ذلك لا يسدد ما عليه من دين، وقد ضمن رسالته المذكورة هذه الأبيات:

أَخِـي مـطْـلـقٌ والـقَـلْـبُ مِـنّـي مـشـبّـعٌ
بِـهَـمٍّ تَـنُـوءُ الـرّاسِـيـاتُ بِـحَـمْـلِـهِ

فَـعَـطْـفـاً عـلـى فَـرْدٍ شَـقِـيّ بِـعَـيْـشِـهِ
فَـلَـيْـسَ شَـقِـيًّـا فـي الـحَـيـاةِ كَـمِـثْـلِـهِ

عَـهِـدْتُـكَ نـدبـاً كـامـلًا ذا مـكـارِمٍ
فَـتـىً أَرْيَـحِـيَّ الـكَـفِّ، يَـزْهـو بِـخُـلْـقِـهِ

فَـدَيْـتُـكَ، أَسْـعِـفْـنـي بِـعَـطْـفِـكَ إِنَّـنـي
أَغـارَ عَـلَـيَّ الـبُـؤْسُ وَحْـدي بِـجَـيْـشِـهِ

فَـدَيْـتُـكَ، فـاطْـلِـقْ أَسْـرَ فَـهْـدٍ فَـإِنَّـهُ
مُـقِـرٌّ بِـفَـضْـلٍ مِـنْـكَ يَـعْـنـو بِـأَسْـرِهِ

تَـرَيَّـثْ إلـى أَنْ يَـأْتـيَ الـفَـرَجُ الـذي
بِـهِ دَيْـنُـكُـمْ تَـشْـتـاقُ نَـفْـسـي لِـدَفْـعِـهِ

---

(١) لقد حصلت على هذه الرسالة من الأخ الأديب السيد هشام الحسيان.



تضارب الرّواة في شعره

■ كثيراً ما كان يختلف الرّواة في رواية قصيدة من القصائد، وقد رأينا في الأدب العربي الكثير من ذلك، فالرّاوية كثيراً ما ينسى بعض الأبيات في القصائد التي يرويها، بل إنَّ بعض الرّواة قد تخونهم الذاكرة، وينسون بعض الكلمات في البيت الواحد، فيأتون بكلمات أخرى في نفس المعنى، حتى لا يحرجوا وهم يروون قصيدة من القصائد، ولكي يتلافوا ما قد يصيبهم من نقد في ضعف الذاكرة، فنحن نرى بعض الأبيات الشعرية في بعض القصائد تختلف بعض ألفاظها عند راوية عن راوية، وفي كتاب عن كتاب، وسبب ذلك اختلاف الرّواة في نقل ما يحفظونه من شعر. وقد عرف الأدب العربي الانتحال أيضًا، وهو أن يأتي شاعر من الشعراء، فينظم الأبيات، أو القصائد وينسبها إلى شاعر آخر، أو أن يأتي شاعر من الشعراء وينسب إليه بعض القصائد أو الأبيات وهي لغيره من الشعراء وهكذا.

ولا يعنينا هنا الانتحال في الشعر، بقدر ما يعنينا تضارب الرّواة في نقل القصيد، وقد نال شاعرنا «فهداً» كثير من هذا التضارب في نقل شعره وروايته، لأننا نرى في كثير من قصائده وأشعاره اختلافاً في النقل. فبعض القصائد نراها تزيد، أو تنقص عند بعض الرّواة من محبّي شعره الذين حفظوه له بعد موته، وبعض القصائد نراها تختلف اختلافاً بيّناً في ألفاظ بعض أبياتها، ولعلَّ ذلك راجع إلى عدم العناية بنقل هذا الشعر، والدقة في حفظه...

ونعتقد أن هناك سبباً لهذا الاختلاف والتضارب في رواية شعره. فقد

كان - رحمه الله - يملي قصائده على كثير من الأدباء الذين يحبّون أن يكتبوا شعره، ليتغنّوا به ويحفظوه، ويعتمد في إملائه على ذاكرته التي كثيرًا ما كانت تخونه بنسيان بيت، أو وضع لفظ مكان آخر، فتأتي قصائده مختلفة عند أديب عن أديب آخر لهذا السبب.

ومن الأسباب التي نراها أدت إلى اختلاف بعض قصائده، عدم ثقته ببعض هؤلاء الأدباء الذين يأتونه، ليأخذوا عنه أشعاره ويسجّلوها على الورق، فيضنّ عليهم ببعض الأبيات التي كان يعتقد بأنها قد تضرّه، ويلحقه سوء من جراء إظهارها أمام أسماع الناس، وقد شاهدنا ذلك شخصيّاً، وأخبرنا به - رحمه الله - فقد كان يحذر حتى محبّيه الذين يثق بهم، ويطلعهم على أسراره، فلا يظهر لهم بعض القصائد حين الإملاء عليهم، مما لا يودّ أن يسمعه الناس الآخرون.

ولهذه الأسباب رأينا التَّضارب الواضح، والتَّباين الظاهر في كثير من شعره، وربما كانت هناك بعض الأسباب الأخرى التي لا نعرفها، وعلى كل حال، فالقارىء قد يلاحظ في بعض هذه القصائد التي أثبتناها في هذا الكتاب اختلافاً كبيراً عن القصائد التي قد اطلع عليها عند بعض رواته ومحبّي شعره، لذلك رأينا أن ننبّه إلى هذه الناحية في شعره بذكر ما تقدم من أسباب.

ولعلَّ من الأسباب أيضًا، أن يكون الشاعر نفسه قد أدخل بعض التعديلات على بعض قصائده بعد إملائها على الرّواة، من حذف أو زيادة، وقد يكون من تحريف، أو من تحوير في بعض العبارات والألفاظ. كما هو شأن كلّ شاعر أو كاتب.

* * *

ونرجو أن نكون قد أدّينا جزءاً من الواجب علينا نحو الأدب العربي في

الكويت، قبل أن نكون قد أدّينا شيئاً من الواجب علينا نحو «فهد» بهذه الدراسة العاجلة.

كما نرجو أن تكون هذه الدراسة حافزاً على إظهار ما يوجد له من أشعار لدى محبّيه ورواته، ليمكن ضمها إلى هذه المجموعة عند إعادة الطبع بمشيئة الله تعالى.

وفي النّهاية أقدم آيات شكري لهؤلاء الذين استجابوا لدعوتي، فأرسلوا إليّ ما كان لديهم من شعر «لفهد». ولا شك أن لكلّ منهم نصيباً في ما قمت به من واجب لتحقيق هذا الغرض النبيل.





فهد العسكر

■ منذ ثلاثة أعوام، أطلعني صديقي العزيز، الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري على ديوان خاله الشاعر الكويتي، محمود شوقي عبدالله الأيوبي (الموازين)، ومن نحو عام أطلعني على دواوينه الثاني والثالث والرابع. والآن أطلعني على دراسته القيّمة، لشاعر كويتي آخر، رأى أن ينصفه ويخلّد ذكراه بعد موته بجمع ما توصل إليه من شعره، الذي كان حظه من آله حظ صاحبه من تبديد وإهمال.

فرأيت في الشعر الكويتي عجباً!.. رأيت الملكة العربية الخالصة التي لم تخالطها عناصر أجنبية، لها طابع خاص، يمتاز بالرّوح والحيوية، والمعين الفيّاض الذي تتدفّق منه المعاني تدفقاً، دون عناء ولا تكلّف، وعندئذ أدركت معنى قول الله تعالى في حق كتابه الكريم، «عربي مبين» فقد أودع به لغة أخرى، إكرامًا للنّبي العربي الذي قدر أن يشرفها به، وأن يكون من خير خلقه صلى الله عليه وسلم، لتكون أشرف اللغات، كما كان عليه الصلاة والسلام أشرف المخلوقات، وجعل جلَّ وعلا هذا السّرَّ خافياً غير محدود، يدرك ذوقاً، ولا يدرك حسّاً، ولهذا مرَّ على ظهور القرآن الكريم نحو ١٤ قرناً، وما زال نوابغ العلماء يُظهرون في كل عصر جديداً من معانيه، ويبدون حديثاً من بلاغته، ويحدثون من أدلة إعجازه.

فآمنت بالعربية، وأيقنت بصحة الخبر القائل بأنها لغة أهل الجنة.

وما كانت الكويت موضعاً لاختزان معاني اللغة العربية الأصيلة إلا

لبعدها، وانقطاعها، في ذلك الجزء النائي القاحل، عن العالم الذي اختلطت فيه الأجناس، فاختلطت فيه اللغات والطباع.

ولهذا كان الشبه عظيماً بين شاعرنا فهد، ومحمود شوقي الأيوبي، في غزارة المادّة، وتسلسل المعاني، وطول النَّفَس، والقدرة على التعبير عمّا في الضمير. وإن كان كلّ منهما سلك طريقاً غير طريق الآخر في أحيان كثيرة.

نعم إنَّ كلًّا منهما شكا معاشريه، بما لقي منهم من جحود وإهمال، وتَغَزَّلَ ووصف ومدح وهجا، ولكن محمود شوقي صوفي النزعة، حين كان فهد متحرراً لا يقف عند حدود الدين، وإن كان لم يبعد عنه، والدليل في شعره ظاهر غير خاف.

وفهد مع هذا، سلك طريقاً سلكه قبله كثير من الشعراء. سلكه امرؤ القيس، وابن أبي ربيعة، وأبو نواس قديماً. وسلكه في عصره المرحوم عبدالحميد الديب.. وصدق الله العظيم حيث قال في حق الشعراء: «ألم تر أنهم في كلّ وادٍ يهيمون وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون».. ولكن البغض أو الحسد، أو التنافس، أو الجهل، يُعمي أبدًا، عن المحاسن، ويُري المساوىء، ويُنْسي: «إن الحسنات يذهبن السيئات»، «والله غفور رحيم».

فَمن رمى فهداً بالإلحاد رمى أمثاله من الشعراء. وليس من جهل أعظم من هذا، لأن الإيمان متى دخل قلباً استحال خروجه منه، فكيف بمن ولد في بيئة مؤمنة، تؤمن بالله وبرسله واليوم الآخر.. ومن تأمل قوله:

يا صِاحِبي قَدْ كَانَ ما شَاءَ الهَوى فَإلى الكَنِيسَةِ سِرْ بِنا لا المَسْجِدِ

ويسير في ركب هواه حتى يجتذبه دينه إليه فيقول:

فـاليَوْمَ قـادَتْ مَنْ تُـحِبّ لِدينِها وغَـداً يَعُودُ بِـهـا لـدينِ (مُـحَـمَّـدِ)

آمَنَ بإيمانه، وجرَّده من وصمة الإلحاد..

ورحم الله صنوه عبدالحميد الديب، حيث يقول في مثل هؤلاء الطاعنين:

أَنا الغَريبُ على الدُّنيا، فعَالَمُها ... أَعْدى عَدُوّيَ يَهْجوني وَأَهْجوهُ
فَما سَمِعْتُ على الأَعيادِ تهنئةً ... إِلَّا مُداهَنَةً، يلقي بها فوهُ
يا قومُ مالِيَ من ذنبٍ أُدانُ بِهِ ... ما بالُ نوريَ إِنْ أظهرتُ تخفوهُ
لكنَّها محنةٌ أَنْتُم طواعِية ... فيها لِدَهْرِيَ، إِنْ يَأْمُرْ تُجيبوهُ

وحيث يقول:

بينَ النُّجومِ أُناسٌ قَدْ رَفَعتهُمُ ... إلى السَّماءِ، فَسَدّوا بابَ أَرْزاقي
وكنتُ نوحَ سفينٍ أُنْشِئَتْ حرماً ... للعالمينَ، فَجَازوني بإِغْراقي
ريشَتْ لِحَظّي سِهامٌ مِنْ نَميمتكمْ ... فَصَارَعَتْني، وما لي دُونها وَاقي
قالُوا: غَوِيٌّ شَقِيٌّ، قُلْتُ: يا عَجَباً ... قد امْتُحِنْتُ بِكُفّارٍ وَفُسّاقِ
أَنا على القُرْبِ مِنْهُمْ كُلُّ متعتهم ... وإِنْ نَأَيْتُ حَبَوْني فَيْضَ أَشْواقي
فَما لَهُمْ قد أَشَاعوا كُلَّ مُخْجِلَةٍ ... عَنّي، وقد أَعْلَنوا بُؤْسي بِأَبْواقِ؟

* * *

أما بعد فَأَنْعِمْ بفهدٍ شاعراً، وبالكويت بلداً عربياً، حفظ طبعًا عربياً خالصاً، حتى عصرنا الحاضر.. وأنعم بعبدالله زكريا رجلًا، يعرف للرّجال أقدارهم.. فرحم الله فهداً وغفر له، وأثاب الأنصاري جزاءً حسناً.

محمد رضوان أحمد
عضو نقابة الصحفيين بالقاهرة



فهد والشعراء

■ كثيرون هم الذين كتبوا عن شاعرنا «فهد»، وعن شاعريته، لا سيَّما بعد وفاته، وأعتقد أن الكثير ممّا كتب عنه إنما كتب بعد وفاته، ولم أحاول جمع أو إحصاء المقالات والكلمات التي كتبت عنه، لأنها كثيرة، والكثير منها كتابات سطحية عابرة.

لكني رأيت أن أجمع القصائد التي قيلت فيه، وأولها قصيدة زميله عبدالمنعم العجيل، التي قالها أثناء حياته بعد ليلة جمعته وإياه في الكويت. كذلك الشاعر صقر الشبيب قال فيه قصيدته «يا فهد القوافي» أثناء حياته، أما بقية القصائد فقد قيلت بعد وفاته، وأحدثها قصيدة الشاعر علي السبتي، التي تحدث فيها على لسانه، رحمه الله.

وهذه القصائد في جملتها إن دلَّت على شيء، فإنما تدلُّ بالدرجة الأولى على المكانة التي احتلَّها شاعرنا «فهد» في نفوس زملائه وأقرانه الشعراء، وسيظلّ يحتلّها في نفوس شعراء المستقبل، نظراً لما رسم في شعره من صور تطابق حياته، وتبرز بوضوح ملامح الحياة في الكويت آنذاك.

■ ■ ■

فاصْغِ يا بلبُل

إلى «فهد» الشاعر الذي عرفته قبل أن أراه

كانت ليلة سعيدة تلك التي أسعدني فيها الحظّ، فجمعتني بصفوة مختارة من شباب الكويت المثقَّف الأديب... وكان مما جرى من حديثنا - الشعر والشعراء - وخلال الحديث ورد اسم الشاعر المجيد «فهد العسكر»، شاعر الكويت وابنها البار.. ووجدتني أنجذب بجاذبيّة خفيّة نحو هذا الشاعر المبدع عند سماع مقطوعات من درّه المنظوم، وفي حينه طلبت من الأخوان أن أرى هذا البلبل الصداح والهزار الغريد... وبعد انفضاض الاجتماع وفي الليلة السابقة لليوم الذي قابلت فيه أستاذنا الكبير «فهد».. ولدت هذه الأبيات.

عبدالمنعم العجيل

حَيّ هل، يا أيُّها البلبلُ، إنَّ الصُّبحَ أَسْفَرْ
وَمَضى اللَّيْلُ بِما فيهِ مِنَ الهَمِّ وَأَدْبَرْ
ها هُوَ الدّاعي إلى الفَجْرِ على القِمَّةِ كَبَّرْ
فاصْغِ يا بُلْبُلُ، ما أَرْوَعَها «اللهُ أكبرْ»

❁ ❁ ❁

حَيّ هَلْ، يا أَيُّها البُلْبُلُ، واصْدَحْ بالأغاني
قُمْ وَرَدِّدْ، نَغْمَةَ الخُلْدِ عَلى سَمْعِ الزَّمانِ
أَسْكِرِ الدُّنيا، وأَطْرِبْها بأَلْحانِ الأَماني
عَلَّ مَنْ عانى هُمومَ اللَّيْلِ يَنْسَى ما يُعاني

❁ ❁ ❁

كَمْ وَحِيدٍ باتَ طُولَ اللَّيْلِ، لَمْ تُغْمِضْ جُفُونُهْ!
وشَجِيٍّ أَعْلَنَتْ حَرْباً عَلى النَّوْمِ عُيُونُهْ!

وَلَكَمْ مِنْ مُذْنَفٍ ثَارَتْ كَبُرْكَانٍ شُجُونُهْ!
وَلَكَمْ مِنْ «شاعِرٍ» بَاتَ وَلَمْ يَهْدَأْ حَنِينُهْ!

* * *

إِيهِ يا بُلْبُلُ، لَوْ تَدْرِي بِحالِ الشُّعَراءِ
فَهُمُ - والنَّاسُ في الهُوَّةِ - في أَسْمى سَماءِ
وَهُمُ - والنّاسُ في الظَّلْماءِ - في أَسْنى سَناءِ
غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ صَيَّرَهُمْ كالبُؤَساءِ!!!

* * *

خُذْ مِثالاً أَيّها البُلْبُلُ مِنْ «فَهْدِ ابنِ عَسْكَرْ»
شاعِرٌ يَنْظُمُ، إِذْ يَنْظُمُ مِنْ دُرٍّ وَجَوْهَرْ
وقَوافِيهِ كَمِسْكٍ فَاحَ مِنْ وديانِ عَبْقَرْ
غَيْرَ أَنَّ الدَّهْرَ قَدْ جارَ عَلَيهِ، وتَجَبَّرْ!!

* * *

إيهِ يا بُلْبُلُ هَلْ تَعْلَمُ، لِمْ جَارَ عليهِ؟!
فَمَضى يُسْلَبُ ما يَمْلِكُ حَتَّى مُقْلَتَيْهِ
لِشُعورٍ لَيْسَ يَقْوى الدَّهْرُ أَنْ يَدْنُو إِلَيْهِ..
ولِنَفْسٍ حُرَّةٍ أَعْلى وأغْلى ما لَدَيْهِ..

* * *

إيهِ يا «فهدُ»، ويا مُرْسِلُها غيداً حرائِرْ
دُوْنَها التِّبْرُ المُصَفَّى، دُونَها أَغْلى الجَواهِرْ
لَكَ مِنْ قَلْبي سَلامٌ كَشَذا شِعْرِكَ عاطِرْ
وَوِدادٌ لَيْسَ يُحْصِيهِ سِوَى رَبِّ السَّرائِرْ

* * *

"يا فهد القوافي"

مهداة إلى الشاعر فهد العسكر

لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ في طَبيعَتِهِ الحَسَدْ
لَحَسَدْتُ دُونَ النّاسِ شاعِرَنا فَهَدْ
فَقَريضُهُ السّامي المحَلّ مُنَبِّهٌ
ما كانَ مِنْ حَسَدٍ بِنَفْسٍ قَدْ رَقَدْ
لَكِنْ بَرانِي اللَّهُ خِلْوَ القَلْبِ مِنْ
حَسَدٍ بِهِ مَحْيا ذَويهِ قَدْ فَسَدْ
فَلِذاكَ أَغْبِطُهُ، وَلَمْ أَحْسِدْ، وَمَنْ
غَبَطَ المُبَرِّزَ، لَيْسَ يَعْذِلُهُ أَحَدْ
جَرَتِ القَوافِي مِنْهُ في خَلَدي كَما
يَجْرِي لَذيذُ البَرْءِ في مُضْنى الجَسَدْ
أَوْ مِثْلَ ما يَجْرِي زُلالٌ بارِدٌ
مُتَدارِكاً أَحْشاءَ حَرَّانِ الكَبِدْ
زامَلْتُهُ ظُلْماً بِدَعْوايَ التي
إِنْ يَرْضَها أُصْبِحْ بها مِمَّنْ سَعِدْ
مُتَخَيِّلاً أَنّي لَهُ في نَظْمِهِ
ما رَاقَنِي مِنْ مُحكَماتِ الشِّعْرِ نِدّ
وَلَكَمْ حَسِبْتُ الزّورَ يَأْتِيني بِهِ
مُلْهي التَّخَيُّلِ أَنَّهُ حَقٌّ وُجِدْ
فَإِذا انْتَبَهْتُ ثَنى انْتِباهي كُلَّ مَا
نَظَمْتُهُ مِنْ خَيْرٍ يَداهُ لي بَدَدْ

وأَعُـودُ بَـعْـدُ مُـصَـدِّقـاً مِـنْ وَحْـيِـهِ
أَنْ سَـرَّ نَـفْـسِـي كُـلُّ زورٍ يَـسْـتَـجِـدْ

وَلَـقَـلَّـمَـا كَـشَـفَـتْ خَـيـالِـيَّ الـكَـرى
لِـي يَـقْـظَـةٌ، فَـكَـرايَ هـذا مُـطَّـرِدْ

فَـإِذا ادَّعَـيْـتُ حُـقـوقَ غَـيْـري فـي الـوَرى
فَـعَـلـى تَـخَـيُّـلِـيَ انْـتِـقـادُ الـمُـنْـتَـقِـدْ

فَـتَـخَـيّـلـي مَـا زَالَ يَـدْفَـعُـنـي إلـى
دَعْـوى أُمـورٍ لَـيْـسَ لـي فِـيـهِـنَّ يَـدْ

وعَـلـى ادِّعـائـي قَـدْ أرى لـيَ عـاذِراً
شَـرْواهُ إِنْ جـارَ ادّعـائـي أَوْ قَـصَـدْ

فَـلَـقَـدْ يَـلَـذُّ لِـيَ ادِّعـائـي رُتْـبَـةً
غَـيْـري بـهـا قَـدْ خُـصَّ دُونـي، وانْـفَـرَدْ

وإِذا تُـخُـيِّـلَ جَـرُّ دَعْـوى لامْـرِىءٍ
فـيـهـا مَـسَـرَّتُـهُ، فَـعَـنْـهـا لَـمْ يَـحِـدْ

إِنّـي أَعُـدُّ خَـيـالَ كُـنْـهِ سَـرَّنـي
مِـنْ نِـعْـمَـةِ الـلَّـهِ الَّـتـي لَـيْـسَـتْ تُـحَـدْ

وَتَـخَـيّـلـي نَـيْـلـي نَـفِـيـسَ الأَمْـرِ إِنْ
أَخْـطَـأْتُ مِـنْـهُ الـكُـنْـهَ لـي حَـظٌّ يُـعَـدْ

ولَـطَـالَـمـا أَدْنـى تَـخَـيُّـلُ نِـعْـمَـةٍ
مِـنْ غِـبْـطَـةٍ قَـلْـبَ امْـرِىءٍ عَـنْـهـا ابْـتَـعَـدْ

وحَـقـائِـقُ الـدُّنْـيـا خَـيَـالاتٌ إذا
ما جَـالَ فـيـهـا الـفِـكْـرُ عَـفْـواً أَوْ جَـهَـدْ

هَنَأْتُكَ يا فَهْدُ القَوافِي واثِباً
مِنْ مِقْوَلٍ لَكَ ما تَخَطّاهُ السَّدَدْ

فَبِهِنَّ تَفْتَخِرُ الكُوَيْتُ مُقِلَّةً
مِنْهُنَّ تاجاً فَوْقَ هامَتِها انْعَقَدْ

فَبِغُرِّ آدابِ ابْنِهِ إنْ لَمْ يَنَلْ
فَخْراً، فَماذا يُكْسِبُ الفَخْرَ الْبَلَدْ؟

ما رُمْتُ أَنْ أوفيكَ حَقّاً مُطْرِياً
إلَّا وَعَنْ ما رُمْتُ بِي عَجْزي قَعَدْ

فَإلَيْكَ جُهْدَ مُقَصِّرٍ لَمْ يُرْضِهِ
لَكَ، لَوْ لأنْفَسَ مِنْهُ حُسْناً قَدْ وَجَدْ

وَكَفى عَلى صِدْقِ الوِدَادِ وَصَفْوِهِ
جَهْدُ المُقَصِّرِ شاهِداً مَهْما شَهِدْ

صقر الشبيب

* * *

فَهْد العَسْكَر

هَلَّا وَقَفْتَ سُوَيْعَةً في (الوطْيَةِ) فَوْقَ الرِّمالِ، هناكَ قُرْبَ (الحَظْرَةِ)؟
هَلَّا سَأَلْتَ السَّاحِلَ الرَّمْلِيَّ كَمْ جَلَسَ الرِّفاقُ بِها لِعَقْدِ النَّدْوَةِ؟
هَلَّا رَآهُمْ حينما دارَتْ بِهِمْ كَأْسُ المدامِ، وَزُوِّدُوا بِتَعِلَّةِ؟
سَلْ صَخْرَهُ، سَلْ رَمْلَهُ، سَلْ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ، سَلْ طَيْرَهُ في الغَلْسَةِ
سَلْ «دوبَةً» عَنْ مَنْ يُرابِطُ حَوْلَها لَيْلًا، ولَوْ ساءَلْتَها لأَجابَتِ
أَيْنَ الرِّفاقُ، وَأَيْنَ مَنْ دارُوا بِهِ؟ يَشْدُو بِبَدْعْدِ تَارَةً وَبِعِزَّةِ
أَيْنَ «ابْنُ عَسْكَرَ»، أَيْنَ رَبُّ العَسْكَرِيّاتِ الرَّقيقَةِ، أَيْنَ رَبُّ الرِّقَّةِ؟
أَيْنَ اللّيَيْلاتُ اللَّواتي أَسْكَرَتْ نَسَماتُها رُوَّادَ تِلْكَ الضَّفَّةِ؟
فَإِذا أَدَّكَرْتَ، ونَازَعَتْكَ النَّفْسُ بالذِّكْرى هُناكَ لِمَا تَقَوَّضَ، فانْصِتِ
انصتْ فموجُ البحرِ فوق صُخوره مثل البكاءِ يثور حَوْلَ الميّتِ
واعْلَم بِأَنَّ المَوْجَ يَنْعى شَاعِراً وَيُعيدُ ماضِي الذِّكْرياتِ بِزَفْرَةِ
كَرَوانُ يَلْهُو في خَمائِلِ دَوْحِهِ نَشْوَانَ أَسْكَرَهُ رَحيقُ الزَّهْرَةِ
كَمْ طارَحَتْهُ الشِّعْرَ أَنْفاسُ الصّبا وشَدَتْ بِهِ ذاتُ الجَناحِ، وَغَنَّتِ
كَمْ أَذْكَتِ الأَمْواجُ مِنْ أَشْواقِهِ بِوَشِيشِها وَبِرَقْصِها لِلنَّسْمَةِ
شاءَتْ يَدُ الأَقْدارِ أَنْ تَرْمي بِهِ وَتُميتَ في فَمِهِ شَجِيَّ النَّغْمَةِ
وَتُمَزِّقَ الأَيّامُ ما نَسَجَتْ مُخَيِّلَةُ الأَرِيبِ بِشِدَّةٍ وبِقَسْوَةِ
حَتَّى تَلاشَتْ عَسْكَرِيّاتٌ لَهُ كَمْ تَيَّمَتْ مُهَجَ الحِسَانِ، وَشَفَّتِ
وتحلّ أَوْساطَ الشّبابِ، وَكَمْ حَلَتْ بِنَضِيدِها أَسْمارُهُمْ وَتَحَلَّتِ
واليَوْمَ يُنْسى، وَهْوَ مِنْ أَعْلامِنا يا لَلْخسارَةِ، يا لَطُولِ الحَسْرَةِ

يا قَوْمُ إنْ نَنْساهُ نَنْسى وَجْدَنا وَنَكُونُ كالمُتَجاهِلِ المُتَعَنِّتِ

لا تُنْكِرُوهُ وَفَضْلُهُ، وَهوَ الذي قادَ الشَّبابَ إلى طريقِ الدَّعْوَةِ

يَدْعُو إلى قَوْمِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ شَمّاءَ يَسْطَعُ نُورُها كالشُّعْلَةِ

فَضَعُوا اسْمَهُ فيما يُخَلِّدُ ذِكْرَهُ إنَّ المُخَلَّدَ ذِكْرُهُ لَمْ يَخْفُتِ

عبدالله السنان



المسافر مع الأغنيات

أغنية رثاء إلى فهد العسكر

يا راحلًا بلا وداعْ

يا زورقاً تَخافُ مِنْ قُلوعِهِ الرِّياحُ، يا شِراعْ

حِبالُهُ الأَعْصابْ

وبَحْرُهُ العَذَابْ

يا عَائِداً مِنْ عالَمٍ تُشْرِقُ في عَيْنَيْهِ

أَنْوارُهُ. وفي يَدَيْهِ

قِيثارَةٌ تُفَسِّرُ المَجْهُولْ

وتَلْعَنُ الجَفافَ والطُّلُولْ

في الأَرْضِ. يا رِسالَةَ الحَرْفِ الَّذِي

سَيَحْرِقُ الغَابَاتْ

وَلَيْلَها الوَحْشِيَّ. والرِّمَالْ

تَرْضَعُ مِنْ عَيْنَيْكَ. يا شَاعِرَنا العَظِيمْ

تَحِيَّةً إِلَيْكَ مِنْ فُؤادِيَ الكَلِيمْ

مِنْ بَيْتِكَ المَدْفُونِ. مِنْ أَخِيكْ

يَفْخَرُ بالثَّدْيِ الَّذي سَقاكْ

كَما سَقاهُ ذَلِكَ الحَلِيبْ

تَحِيَّةً إِلَيْكْ

مِنَ الَّذِينَ عَذَّبُوكْ

لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوكْ

تَحِيَّةً إِلَيْكَ مِنْ بِلادِكَ الحَزِينَهْ

مِنْ شَاطِىءِ المَحَارِ مِنْ «أَمِينَهْ»

تُسائِلُ الرِّياحَ عَنْ شِراعِ

حَبِيْبِها وَتَشْتِمُ البِحَارْ

يا «فَهْدُ» ياقيثارَةَ النَّهارْ

يا مُوْقِدَ الشُّمُوسِ والأَقْمارْ

في الكَهْفِ. يا رَبيعَ

رِمالِنا. تحيَّةً إِلَيْكَ مِنْ جَميعِ

بَحَّارَةِ الخَلِيجْ

وَأَصْدِقاءِ اللَّيلِ. والسُّمَّارْ

تُضِيئُهُمْ ما قُلْتَ مِنْ أَشْعارْ

عَنْ خَمْرَةٍ يَخْجَلُ مِنْ كُؤُوسِها النَّهَارْ

عَنْ غَادَةٍ سَمْراءْ

تَشْرَبُ مِنْ عُيونِها الضِّياءْ

عَنْ فِكْرَةٍ فَجْرِيَّةٍ سَتُوقِدُ الشُّمُوعَ والأَفْكارْ

عَنْ حارَةٍ تَخْزِنُ في بُيوتِها الأَمْطارْ

وَعَنْ سَفِينَةِ المِياهْ[1]

يَحْلُمُ في شِرَاعِها الظِّماءُ. والأَسْوارْ

---

(١) سفينة المياه هي السفينة التي تجلب بها المياه قديمًا من البصرة.

مابَرِحَتْ كَمَجْدِكَ العَظيمْ

كَحَرْفِكَ الَّذِي أَكَادْ

أَشْرَبُهُ، وذَلِكَ الصَّيَّادْ

ما زَالَ في غَابَاتِهِ يَحْلُمُ بالأَمْجادْ

وفي شَمَالِ بَيْتِنا كَتائِبُ الجَرَادْ

تُهَدِّدُ الحُقُولَ. والأَمْطارْ

وُكُلُّ ما في الأَرْضِ مِنْ بِحارْ

لَنْ تُطْفِىءَ الشَّمْسَ الَّتي غَنَّيْتَها. تَعالْ

عِنْدِي لَكَ الخَمْرَةُ و«اليامالْ»

قاعي بِلاَ قَرَارْ

وَأَضْلُعي حَزِينَةٌ كَغَيْمَةِ المَسَاءْ

وَمِنْ صُخُورِ اللَّيْلِ والعِظَامْ

بُيُوتُنا. تَعَالْ

لِنَلْعَنَ الظَّلامْ

ونَفْتَحَ الأَبْوابَ لِلضِّياءْ

يا رَاحِلاً مَعَ المَساءْ

ما بَرِحَتْ جَارَتُنا العَمْيَاءْ

تَقْبَعُ عِنْدَ المَوْقِدِ الطِّيْنِيِّ، والأَطْفالُ يَعْبَثُونْ

بِبَيْتِها وَيَسْرِقُونْ

مِنْ قِدْرِها الصَّغِيرْ

وَلاَ يَزَالْ
مَكَانُكَ الحَزِينُ في حَارَاتِنا الصَّفْرَاءْ
أَمامَ بَيْتِكَ الَّذِي فَارَقْتَهُ
حَيَّاً كَأَنَّكَ المَسِيحْ
تَبْرِقُ في عُيُونِكَ الأَفْكارْ
كَأَنَّها مَواقِدٌ. وفي المَسَاءْ
يَرْوي لَنَا الرُّوَاةُ
مَا قُلْتَ مِنْ أَشْعارْ
عَنْ مَخْلَبٍ مَزَّقَ أَمْعَاءَكَ. عَنْ رِمَالْ
بِحَارُنَا. لَكَ الأَجَاجُ
مِنْ مائِها. والدُّرُّ لِلَّذِينَ يَحْرُقُونَ
عِظَامَنا وَيَأْكُلُونَ
أَكْبادَنا. آكِلَةُ الأَكْبادِ لا تَزالْ
يا «فهدُ» فَوْقَ الأَرْضِ. والرِّياحْ
قَدْ خَنَقَتْ أَجْراسَنا وارْتَفَعَ النُّبَاحْ
فَوْقَ الأَغاني. يا صَدِيقَنا الحَزِينْ
يا أَيُّها الأَعْمى الَّذِي تَنْبَثِقُ الشُّمُوسُ مِنْ عَيْنَيْهْ
وَتَنْبُتُ الأَقْمارُ في كَفَّيْهْ.

محمد الفايز (سيزيف)

❁ ❁ ❁

صَرِيعُ الهُمُوم

في ذكرى فهد العسكر

قَدَرٌ بالرَّدى عَلى النَّاسِ دائِرْ   نَتَوَقَّى صُرُوفَهُ وَنُحاذِرْ
يَنْطَوي العُمْرُ، لا يَرُدُّ حَياةً   نَوْحُ باكٍ، ولا تَمَرُّدُ ثائِرْ
شَبَحُ العُدْمِ، بَيْنَ فَكَّيْهِ، يَذْوي الأَمَلُ الغَضُّ والخَيالُ الزاهِرْ
نَحْنُ لَوْلا وَمْضُ الخُلودِ لتهْنَا   في ظَلامٍ مِنَ المَخاوِفِ كافِرْ
إِنَّما الخالِدُونَ في كُلِّ عَصْرٍ   أَنْجُمٌ تَفْضَحُ الدُّجى وَمَنائِرْ
أُمَّةٌ لا يَكُونُ فيها أَدِيبٌ   أُمَّةٌ أَطْبَقَتْ عَلَيْها الدَّياجِرْ

* * *

أَيُّها الشَّاعِرُ الَّذِي قَطَعَ العُمْرَ، وفي نَفْسِهِ تَطَلُّعُ حائِرْ
لا تَظُنَّ المَماتَ أَقْصاكَ عَنَّا   أَنْتَ، يا فَهْدُ، ماثِلٌ في الخَواطِرْ
سَمِعَتْ صَوْتَكَ العُروبَةُ جَمْعاءَ، فَتاهَتْ بَوادِياً وحَواضِرْ
رَدَّدَتْ شِعْرَكَ الطليَّ فلسطينُ، وهامَتْ بِهِ جِبالُ الجَزائِرْ
أُغْنِياتٌ تَرُقُّ حيناً وحيناً   يَتَلَظَّى بِها اللَّهيبُ الهادِرْ
جَمعتْ معْجزَ البَيانِ وَضَمَّتْ   ما بِهِ مِنْ نَفائِسٍ وَذخائِرْ
لُغَةٌ قَدْ بَذَذْتَ فيها القُدامى   وجَرَرْتَ الذُّيُولَ فَوْقَ الأَواخِرْ
وَبَديعٌ مِنَ القَوافي نَضِيدٌ   يَتَجلَّى بِهِ صَفاءُ الجَواهِرْ
إِنَّما أَنْتَ في القَرِيضِ صناعٌ   قَلَّ فيهِ أَشْباهُهُ والنَّظائِرْ
شاعِرٌ مَنْ بِهِ أَرادَ لحاقاً   فهوَ لا شكَّ واهنُ العَزْمِ خائِرْ
لا تَظُنَّ العُقوقَ فينا، فَمَا يَنْكُرُ هَذا الإِبْداعَ، إِلَّا مُكابِرْ
عَرفَتْ حَقَّكَ الكُوَيْتُ عَلَيْها   وتَبارَتْ صَحائِفٌ ومَنابِرْ
أَنْتَ غِرِّيدُها، فَلا تَتَأَفَّفْ   إِنْ أَشاحَتْ إِشاحَةَ المُتَزاوِرْ
إِنْ تَكُنْ أَنْكَرَتْكَ حَيّاً فَعُذْراً   إِنَّما يَقْبَلُ الكِرامُ المَعاذِرْ
شاعِرَ البُؤْسِ لَوْ تُطِلّ مِنَ الخُلْدِ عَلى هذهِ الرُّبُوعِ الزَواهِرْ
فَتَرى مِنْ عَجائِبِ الصُّنْعِ فيها،   لَوْ تَأَمَّلْتَ، ما يَرُوعُ النَّواظِرْ

نَهْضَةً في الحِمى كَأَنَّ الدّراري شَرَرٌ مِنْ بَرِيقِها مُتَطايِرْ

* * *

يا صَريعَ الهُمومِ، أَيّ أديبٍ لَمْ تُنَكِّلْ بِهِ الصُّرُوفُ القَواهِرْ؟!
لا يَضِيقُ الأَنَامُ إلَّا بِحُرٍّ يَتَباهى بِرَأْيِهِ وَيُفاخِرْ
لا تَحِدْ عَنْ طَريقِهِمْ، وَتَرَفَّقْ إنَّ ذاكَ الحِيادَ إحْدَى الكَبائِرْ
فالأَدِيبُ الأَدِيبُ مَنْ كَانَ في النّاسِ يُداجي ازْوِرارَهُم، وَيُسايِرْ
جَزِعُوا مِنْكَ أَنْ تَثُورَ عَلَيْهِمْ رُبَّ لَفْحٍ يَكُونُ في صَمْتِ ثائِرْ
لَوْ تَمَلَّقْتَهُمْ، لَكُنْتَ تُلاقِي عَطْفَ حانٍ مِنْهُم وَحَدْبَ مُناصِرْ
ما أَرَى في اعْتِزالِكَ النّاسَ ضَيْراً إنَّني في اعْتِزالِهِمْ لَكَ عاذِرْ
قَدْ عَجَمْتُ الأَنامَ لَمْ أَلْقَ فيهِمْ غَيْرَ جانٍ عَلى أَخِيهِ وغادِرْ
المَبادِي مَطِيَّةٌ للزَّعاماتِ، فَيا زَيْفَ مَنْ بِهِنَّ يُجاهِرْ
إنَّما الصِّدْقُ والوَفاءُ خَيالٌ سَدَلَتْ فَوْقَهُ النُّفوسُ السَّتائِرْ
يا شِفاهاً تَفْتَرُّ حيناً، فَتُخْفي في ابْتِساماتِها فَسادَ الضَّمائِرْ
لَيْسَ يَدْري الغَريبُ، وَهُوَ مُكِبٌّ أَرِيَاضٌ في دَرْبِهِ أَمْ مَقابِرْ؟
أَوَلا يَبْسقُ النّباتُ عَلى النَّتْنِ، وَتَنْمو مِلْءَ القُبُورِ الأَزاهِرْ
ما جَفَوْتَ الأَنامَ لَوْ كانَ فيهِمْ رَجُلٌ في مَحَجَّةِ الحَقِّ سَائِرْ
عِفْتَهُمْ ما تَرى أَماناً عَلَيْهِمْ ضَلَّ مَنْ يَأْمَنُ الذِّئابَ الكَواسِرْ
صُحْبَةُ النّاسِ أَجْمَعينَ سَرابٌ صَفْقَةٌ مَنْ يَسُومُها فَهوَ خاسِرْ
أَمْعَنوا في الضَّلالِ، واقْتَرَفوا الإثْمَ، وزَاغَتْ أَبْصارُهُمْ والبَصائِرْ
وَتَهاوَوْا عَلى التَّوافِهِ حَتَّى ما يُبَالُونَ أَنْ تَحِلَّ المَخاطِرْ
شَرْعَةُ الذِّئْبِ قَدَّسُوها، وهانَتْ في هَواهُمْ وَشَائِجُ وَأَواصِرْ
كَيفَ نَزْهو عَلى الأَنام اخْتِيالاً وَنُباهِي بِعِزَّةٍ وَمَآثِرْ
وَنَطُولُ السَّماءَ تِيهاً وَفينا كُلُّ فَدْمٍ مِنَ المُروءَةِ عاقِرْ
فَهْوَ في الخَيْرِ كالسَّحابِ جَهاماً وَهْوَ في الشَّرِّ كالسَّحابِ الماطِرْ

مـا لَـنـا بـالـجُـدُودِ نَـفْـخَـرُ، والأَبْـنَـاءُ طـاحُـوا بِـمَـجْـدِهِـمْ والـمَـفـاخِـرْ

فَنَرى في مُقابِلِ الشَّهْمِ مِنْهُمْ زُمَـراً مِـنْ رَذائِـلٍ وَجَـرائِـرْ

أَيَـرُدُّ الـضَّـلالَ شَـروى نَـقـيـرٍ مُـؤْمِنٌ عـاشَ بَيْنَ مليونِ كـافِرْ

كَـانَ مِـنّـا الـرَّسُـولُ فَـرْداً، وَمِـنّـا حَـوْلَـهُ كَـانَ لِـلـطُّـغـاةِ عَـسَـاكِـرْ

أَوَ نَنْسَى «مُسَيْلَماً» و«سجاحاً» وسـواهُـمْ مِـنْ زائِـغٍ وَمُـخـاتِـرْ

كانَ مِنّا في الحَرْبِ لِلْحَقِّ سَيْفٌ وَعَـلَـيْـهِ صَـوارِمٌ وَبَـواتِـرْ

عِلَّةٌ في النُّفُوسِ دَقَّتْ عَنِ الطِّبِّ، وَأَعْيَتْ مباضِعاً وَمَجاهِرْ

أَيْنَ مِنّا مَنْ يَسْتَطِيعُ لَها نَزْعاً، ويَزْهُو بالخُلْدِ نَشْوانَ ظافِرْ

عِلَّةُ العُرْبِ في طِباعِ بَنِيهِمْ وَفَـسـادٌ فـي أَنْـفُـسٍ وسَـرائِـرْ

أَزْمَةُ الخُلْقِ عِنْدَنا عِلَّةُ الدّاءِ وَجَـهْـلٌ مِـنّـا عِـتـابُ الـمَـقـادِرْ

في سوى الخُلْقِ لَنْ يَكُونَ الْتِمامٌ لِـتُـرَاثِ الـعُـروبَـةِ الـمُـتَـنـاثِـرْ

أَيُّـهـا الـشّـاعِـرُ الـذي قَـدْ طَـوَاهُ أَلَـمٌ واخِـزٌ، وَهَـمٌّ مُـسَـاوِرْ

لا تَظُنَّ الـعُـروبَـةَ الـيَـوْمَ أَقْـوَتْ مِنْ أَديبٍ، وَأَجْدَبَتْ مِنْ شاعِرْ

لا تَـخَـلْ مَـرْبَـعَ الـقَـصائِـدِ عَـفّـى وَمَـحـا حُـسْـنَـهُ الـقَـضـاءُ الـجَـائِـرْ

لَـمْ يَـزَلْ رَوْنَـقُ الـقَـريـضِ بَـهِـيّـاً يَـتَـحَـلَّـى بِـكُـلِّ رَيّـانَ نـاضِـرْ

قَـدْ تَـأَسَّـفْـتَ أَنْ يَـضِـيـعَ شَـبـابٌ مـائِـسُ الـقَـدِّ فـي صِـبـاهُ الـبـاكِـرْ

وَتَـمَـنَّـيْـتَ لَـوْ رُثِـيـتَ، وَحَـنَّـتْ بِـمَـراثـيـكَ لِـلْـقَـريـضِ حَـنَـاجِـرْ[1]

أَنـا مَـنْ يُـحْـسِـنُ الـرِّثـاءَ، فَـلَـبَّـيْـكَ، وإِنِّـي عَـلـى الإِجـادَةِ قـادِرْ

لِـيَ فـي الـشِّـعْـرِ غـايَـةٌ، كُـلُّ فَـحْـلٍ عِـنْـدَهـا وَاهِـنُ الـعَـزِيـمَـةِ قـاصِـرْ

فَـعَـلَـيْـكَ الـسَّـلامُ مِـنْ كُـلِّ قَـلْـبٍ بـالـمُـرُوءاتِ والـمَـكـارِمِ عـامِـرْ

جميل علوش

---

(١) قال فهد من قصيدة:

أنــا إن مــت أفــيكــم يــا شــبــاب

شــاعــر يــرثــي شــبــاب الــعــســكــر

هكذا يتحدث فهد العسكر

شعر: علي السبتي

يـا أيُّـهـا الآتـونَ مِـنْ مُـضَـرِ ... ما كـانَ جَدِّي مِنْ بَنِي مُضَرِ
أَوْ كـانَ خـالِـي تـاجِـراً حَـذِقـاً ... أَوْ كـانَ عَـمِّـي حـارِسَ الـحَـجَـرِ
أُمِّـي الَّـتـي أَعْـصـابُـهـا بِـدَمِـي ... إِذْ أَنْـجَـبَـتْـنِـي، أَنْـجَـبَـتْ قَـدَري
أَنَـا قَـدْ رَضِـعْـتُ حَـلِـيبَ كـادِحَـةٍ ... وَحَـمِـلْـتُ اِسْـمَ مُـشَـرَّدٍ غَـجَـرِي
آثـارُهُ فـي الـبَـحْـرِ بـارِزَةٌ ... وَبِـنَـفْـسِـهِ شَـيْءٌ مِـنَ الـقَـمَـرِ
وَشَـرِبْـتُ خَـمْـراً ما تَـجَـرَّعَـهـا ... ذُو دِرْبَـةٍ فـي الـسَّـعْـدِ والْـكَـدَرِ
وَحَـمِـلْـتُ آلامَ الَّـذِيـنَ مَـضَـوْا ... فَـعَـرَفْـتُ كَـيْـفَ تَـفَـتُّـحِ الـزَّهَـرِ
يَـسْـتَـمْـرِئُـونَ دَمِـي فَـأَبْـذُلُـهُ ... وأَنـا الـبَـخِـيـلُ بِـنـاصِـعِ الـدُّرَرِ
وَيُـهَـدِّدونَ بِـأَنَّ مُـوْحِـشَـةً ... سَـتَـلُـفُّـنِـي أَقْـسَـى مِـنَ الـضَّـجَـرِ
هِـدّوا جُـسُـورَكُـمُ، فَـمِـنْ كَـبِـدِي ... جِـسْـرٌ يُـمَـدُّ لِـفِـتْـيَـةٍ أُخَـرِ
هـذا أَنـا، مَـنْ قـالَ يُـفْـزِعُـنِـي ... صَـوْتُ الـغُـرابِ بِـلَـحْـظَـةِ الـخَـطَرِ
أَوْ أَنْ يُـهَـدْهِـدَنِـي إِذاً غَـرِدٌ ... يَـتَـهـامَسُ الأَلْـحـانَ فـي الـسَّـحَـرِ
عَـوَّدْتُ نَـفْـسِـي أَنْ أَكُـوْنَ أَنـا ... في الشَّمْسِ أَوْ في الرِّيْحِ في المَطَرِ
كَـمْ صُـوْرَةٍ تَـأْتِـي عَـلـى صُـوَرِ ... وَأَظَـلُّ رَغْـمَ تَـعَـدُّدِ الـصُّـوَرِ
لَـسْـتُ الَّـذِي إِنْ صَـرْصَـرٌ عَـصَـفَـتْ ... يَـحْـنِـي الـجَـبِـيـنَ لِـنَـاظِـرٍ شَـزَر
لَـكِـنَّـنِـي سَـيْـلٌ، مَـنـابِـعُـهُ ... مَـوْصُـوْلَـةٌ فـي قِـعْـرِ مُـنْـحَـدَرِ
أَنَـا عـالِـمٌ، وَمَـدايَ غَـيْـرُ مَـدَى ... وَمَـسـارِحِـي مِـنْ دُوْنَـمـا سُـتُـرِ
سِـرٌّ مِـنَ الأَسْـرارِ يَـجْـهَـلُـنِـي ... مَـنْ لَـيْـسَ يَـعْـرِفُ مَـنْ بَـنَـو مُـضَـرِ؟

من هُمْ بَنَوْ مُضَرِ؟

إِشْرَبْ وَلا تَسْأَلْ عَنِ الخَبَرِ

أَنا مَا قَضَيْتُ مِنَ الهَوَى وَطَرِي
كُنْتُ المُغَنِّي غَيْرَ أَنَّهُمُ — آذانُهُمْ كَانَتْ مِنَ الحَجَرِ
الخَمْرُ عِنْدَهُمْ مُحَرَّمَةٌ — وَيُحَلِّلُونَ نِكاحَ مُؤْتَزِرِ
قَدْ كَفَّرُوني حِيْنَ قُلْتُ لَهُمْ — إِنَّ الهَوَى مِنْ شَرْعَةِ البَشَرِ
والدِّينُ أَنْ تَغْنَى لأَجْلِ غَدٍ — تَبْغِيهِ، لَوْلَا البَذْلُ لَمْ يَصِرِ
لَكِنَّهُمْ يَبْغُونَ عالَمَهُمْ — المالُ فِيهِ عازِفُ الوَتَرِ

* * *

الجامِعُ المالَ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ عَرَقِي — سَيَصْطَلي بِجَحِيمي حينَ مُنْطَلَقِي
سَأَزْرَعُ الهَمَّ في أَعْراقِ بُؤْبُؤِهِ — فَلا يَرَى غَيْرَ مَلْغُوم ومُنْزَلَقِ
أَنا الَّذِي مَنْ تَحَدّانِي وَقَفْتُ لَهُ — بِكُلِّ دَرْبٍ كَأَنِّي خَالِقٌ طُرُقِي
فَقُلْ لِمَنْ يَتَوارَى خَلْفَ بُهْرُجِهِ — أَقْصِرْ فَيَوْمُكَ مَكْتُوبٌ عَلى الوَرَقِ

* * *

مِنْ عالَمِ الصَّمْتِ
أَطْلَقْتُ أَطْياري
تَحْمِلُ أَشْعارِي
لِتَسْمَعُوا صَوْتِي
أَقْوَى مِنَ المَوْتِ

أَقْوَى مِنَ المَوْتِ صَوْتٌ مُؤْمِنٌ بِغَدٍ — يَهُدُّ هَيْكَلَ آلام وَظَلْماءِ
يُفَجِّرُ الحُبَّ في أَعْراقِ يابِسَةٍ — فَتَزْدَهِي مُدُنٌ مِنْ بَعْدِ بَأْساءِ
هَذا الخَلِيجُ، وَعَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ — فَهَلْ شَعَرْتُمْ بِهِ في يَوْمِ ضَرَّاءِ
وَهَلْ زُنُودُكُمُ السَّمْراءُ تَحْضُنُهُ — أَمِ السَّفائِنُ فيهِ بَعْضُ أَشْلاءِ
شَمَمْتُ في شَاطِئَيْهِ حِيْنَ زُرْتُهُما — رَوائِحَ المَجْدِ في تارِيخِ آبائِي

أَبِي الَّذِي قَدْ سَقاني مِنْ حُشَاشَتِهِ رَأَيْتُ صورَتَهُ في سَوْرَةِ الماءِ
كَأَنَّهُ السُّنْدُبادْ

مِنْ سَفَرٍ قَدْ عادْ

يَحْمِلُ داناتٍ لِشَهْرَزادْ

تِلْكَ التي مِنْ أَجْلِها يَمُوتْ

لِتَعْمَرَ البُيوتْ

رَأَيْتُ في جَبِينِهِ الأَسْمَرْ

آثارَ حوتٍ يَحْمِلُ العَنْبَرْ

يَفْتِقُ العَبِيرْ

لِيَنْتَشِي بِعُطْرِهِ سَرِيرْ

غَيْرَ الَّذِي تَنَامُ فَوْقَهُ أُمِّي

فَتَأْكُلُ السكينَ مِنْ لَحْمِي

تَمُصُّ مِنْ عَظْمي

أَبِي الَّذِي رَأَيْتُ وَجْهَهُ في الماءْ

ما زَالَ بَيْنَكُم، لَكِنَّما تَخْتَلِفُ الأَسْماءْ

* * *

سَارَةُ تِلْكَ البَدَوِيَّةُ السَّمْرَاءْ

رَأَيْتُها أَمْسِ بِشَارِعِ الجَهْراءْ

فُسْتَانُها أَقْصَرُ مِنْ عُمْرِي

تَحْمِلُ تَحْتَ إِبْطِها أَشْياءْ

مِنْ ضِمْنِها شِعْري
لَكِنَّكُمْ، ما زِلْتُمْ تَرَوْنَ في النِّساءْ
أَسِرَّةً شَهِيَّةَ العَطاءْ
ما وَاحِدٌ فَكَّرَ فِيْكُمُ، بِأَنَّ أُمَّهُ وَأُخْتَهُ مِنَ النِّساءْ
وأَنَّ مِنْ نِسائِكُمْ أَمينَهْ
أَتَعْرِفُونَ مَنْ أَمِينَهْ؟
أَمِيْنَةُ دَحْبورٍ، اسْمٌ يُشَرِّفُ أَسْماءَ كُلِّ النِّساءْ
رَمَوْهَا بِسُجْنٍ أحالَتْهُ صَوْمَعَةً للإِباءْ
أَمينَةُ، لَوْ أَسْتَطِيعُ لَطِرْتُ إِلَيْكِ
لأُسْمِعَكِ الشِّعْرَ حُرّاً وَحُلْواً، كَمَا مُقْلَتَيْكِ
ولَكِنَّهُ الشِّعْرُ، هَلْ تَقْرَئِيْنَهْ؟
وَصَوْتِي، هَلْ لِيَ صَوْتٌ، وَهَلْ تَسْمَعِينَهْ؟
وأَسْمَعُ خَلْفَ سِياجِ المَدِينَهْ
نِداءَ الفِداءِ الَّذِي تَعْرِفِيْنَهْ
يَهُدُّ جِدَارَ السَّكِيْنَهْ

* * *

أَعُودُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ مَرَّ عُشْرُونَ عامْ
وما زَالَ ما بَيْنَنا أَلْفُ عامْ
كَأَنَّكُمْ تَعْبُدونَ الظَّلَامْ

* * *

فهد العسكر

يـا مُـوْحِـيَ الـشِّـعْـرِ بـالأَنْـغـامِ والـغَـزَلِ
ونَـاشِـرَ الـعِـطْـرِ مِـنْ نَـوّارِهِ الـخَـضِـلِ
وبـاعِـثَ الـحُـبِّ مِـنْ أَعْـمـاقِ خَـافِـقِـهِ
وواهِـبَ الـفَـيْـضِ مِـنْ شَـلَّالِـهِ الـهَـطِـلِ
وصـائِـغَ الـفَـنِّ، لا يَـسْـمُـو لِـرِفْـعَـتِـهِ
شـادٍ مِـنَ الـحَـيِّ، مِـنْ غَـضٍّ وَمُـكْـتَـهِـلِ
وسَـاهِـرَ الـلَّـيْـلِ والأَسْـحـارُ شـاهِـدَةٌ
يَـصُـوغُ أَلْـحَـانَـهُ مِـنْ مِـزْهَـرٍ ثَـمِـلِ
وبـاسِـطَ الـكَـفِّ لِـلأَضْـيـافِ فـي سَـمَـرٍ
مُـعَـطَّـرٍ بِـنَـشِـيـدِ الـحُـبِّ والـغَـزَلِ
وبـاسِـمَ الـثَّـغْـرِ فـي حُـزْنٍ وفـي فَـرَحٍ
وَمُـؤْنِـسَ الـصَّـحْـبِ في جِـدٍّ وَفِـي هَـزَلِ
ومُـنْـشِـدَ الـلَّـحْـنِ مِـنْ قَـلْـبٍ قَـدْ اتَّـقَـدَتْ
أَقْـطـارُهُ بِـلَـهِـيـبِ الأَعْـيُـنِ الـنُّـجُـلِ
تِـلْـكَ الـعُـيـونُ الَّـتِـي قَـدْ زَانَـهـا كَـحَـلٌ
تُـوحِـي مِـنْ الـشِّـعْـرِ فَـنّـاً غَـيْـرَ مُـبْـتَـذَلِ
فَـنٌّ يَـمـيـسُ بِـأَلْـحـانٍ قَـدْ انْـبَـجَـسَـتْ
مِـن ذِرْوةِ الـمَـلأِ الـعُـلْـوِيّ والـقُـلَـلِ
يـا رَائِـدَ الـشِّـعْـرِ، إِنَّ الـدَّوْحَ قَـدْ صَـمَـتَـتْ
أَطْـيـارُهُ بَـعْـدَ هَـجْـرِ الـبُـلْـبُـلِ الـجَـذِلِ

وَصَـوَّحَ الـرَّوْضُ. لا الأَزْهـارُ راقِـصَـةٌ
كَـسـابِـقِ الـعَـهْـدِ فـي أَيَّـامِـهـا الأُوَلِ

ولا الـمُـروجُ - كَـمـا كَـانَـتْ - بِـسُـنْـدُسِـهـا
تُشيعُ في النَّفْسِ أُنْساً غَيْرَ مُرْتَحِلِ

وأَصْبَحَ النَّغَمُ المِمْراحُ مُكْتَئِباً
قَدْ أَخْرَسَتْهُ عَوادِي الحادِثِ الجَلَلِ

فَهِجْرَةُ البُلْبُلِ الصَّدّاحِ قَدْ جَعَلَتْ
رَوْضَ القَرِيضِ بِلا مَجْدٍ ولا أَمَلِ

فَلا حَساسِينُ تَشْدُو في خَمائِلِهِ
ولا شَواهِينُ تَحْمِي شاهِقَ الجَبَلِ

ولا بَلابِلُ بالتَّغْرِيدِ صادِحَةٌ
تُغْرِي المُحِبِّينَ والسُّمّارَ بِالْقُبَلِ

ولا عَنادِلُ في إِنْشادِها طَرَبٌ
لِلْعَاشِقِينَ وَصَرْعى اللُّعْسِ والكُحُلِ

صَمْتٌ مُهيبٌ يَلُفُّ الدّوحَ في ضَجَرٍ
والفَنُّ لا يَزْدَهي في مَرْبِعٍ عَطِلِ

يا مبدعَ الشِّعْرِ، قَدْ وافَى الرَّبِيعُ وَمَا
زَالَتْ قَوافِيكَ خَلْفَ السّتْرِ والكِلَلِ

فَهَلْ وَجَدت بِدارِ الخُلْدِ ما نَشَدَتْ
آمالُكَ الشُّمُّ في الإِبْكارِ والأُصُلِ؟

فَرُحْتَ تَمْرَحُ في نُعْمَى وَعافِيَةٍ
تَعِبُّ مِنْ سَلْسَبِيلِ الخَمْرِ والْعَسَلِ

تُغازِلُ الحُورَ في شِعْرٍ مُنَضَّدُهُ
تَهْفُو إِلَيْهِ قُلوبُ الحُورِ في جَذَلِ
تُعانِقُ الرَّوْحَ والرّيحانَ في شَغَفٍ
مُسْتَمْتِعاً بِنَعِيمٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ
فَصِفْ شُعُورَكَ، والتُّفاحُ تَلْثُمُهُ
وَقَدْ عَلَتْ صَفْحَتَيْهِ حُمْرَةُ الخَجَلِ
وَصُغْ عُقُودَكَ، والرُّمّانُ تَهْصُرُهُ
وَقَدْ أَمِنْتَ عَوادِيْ اللَّوْمِ والعُذَلِ
وانْشِدْ قَصِيدَكَ، فالأَنْهارُ دافِقَةٌ
وَقَدْ غَدَتْ بَهْجَةَ الأَسْماعِ والمُقَلِ
واطْلِقْ نَشِيدَكَ، فالأَطْيارُ شَادِيَةٌ
تُسَبِّحُ اللَّهَ في إِنْشادِها الجَزِلِ
وانْشُرْ بَيانَكَ، فالأَدْواحُ زاهِيَةٌ
وَقَدْ تَرَدَّتْ بَدِيعَ الحُلْيِ والحُلَلِ
وَصِفْ حَياتَكَ في عَدْنٍ وَبَهْجَتَها
إِذْ كُنْتَ فِينَا حَلِيفَ الهَمِّ والفَشَلِ

* * *

يا فَهْدُ قمْ، وانْظُرِ الأَوْطانَ في ظَفَرٍ
قَدْ بُلِّغَتْ رِفْعَةً في القَوْلِ والعَمَلِ
نالَتْ مِنَ النَّصْرِ والأَمْجادِ ذِرْوَتَها
وأَصْبَحَتْ قِبْلَةَ القُصّادِ والرُّسُلِ
أَعْلامُها قَدْ غَدَتْ في الأُفْقِ خافِقَةً
تُسَجِّلُ المَجْدَ: مَجدَ الظّافِرِ البَطَلِ

تَـهـيـمُ بـالـمُـثُـلِ الـعُـلْـيـا وتُـنْـشِـدُهـا
فـي كُـلِّ رِبْـعٍ مِـنَ الأمْـصـارِ والـدُّوَلِ

شَـعَّــتْ مَــآثِــرُهــا فــي كُــلِّ نَــاحِــيَــةٍ
وفَـاضَ نـائِـلُـهـا فـي كُـلِّ مُـحْـتَـفَـلِ

فَـعِـشْ سَـعِـيـداً بِـدارِ الـخُـلْـدِ حَـيْـثُ غَـدَا
مَجْد الكُوَيْتِ - بِحَقٍّ - مَضْرِبَ المَثَلِ

فاضل خلف



فَهْدُ العَسْكَر
شَاعِرُ الكويت الخالِد

وهذه نفثة حرى جديدة من الأخ الشاعر السيد عبدالمنعم العجيل - المقيم حالياً في بغداد. عرف الكويت وعرفته قبيل عشرين عاماً تقريباً.. فظلَّ يكنُّ للخليج وأهله شعوراً بالوفاء عميقاً صادقاً، ينبع من نبل في نفسه أصيل.. وتنعكس صور منه حية ناطقة في أبيات قصيدته هذه الطيبة، التي نظمها بمناسبة مرور عشرين عامًا على وفاة الشاعر الراحل: فهد العسكر..

«فجاءت كَما شَاءَتْ وَشاءَ لَهَا الوَفا
كَباقَةِ وَرْدٍ، ضَمَّ أَطْرافَها شِعْرُ..»

* * *

عَلى رَغْمِ أَنْفِ الدّهْرِ، خَلَّدَكَ الدَّهْرُ
وَرَغْمَ عُقوقِ العَصْرِ، أَنْصَفَكَ العَصْرُ
ورغمَ الذي عانَيْتَ مِنْ ظُلْم طُغْمَةٍ
وَظُلْمَةِ سِجْنٍ كانَ يَفْضُلُهُ القَبْرُ
وَرَغْمَ الذي قَالُوهُ عَنْكَ، ولَفَّقُوا
وَقَوْلُهُمُ عَنْ كُفْرِكَ، الشّرْكُ والكُفْرُ
وَرَغْمَ تَدَنّي الأَرْذَلِيْنَ بِغَيِّهِمْ
سَمَوْتَ «عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيْمَتُكَ الصَّبْرُ»
صَمَدْتَ لَهُمْ كالطَّودِ، تَدْحَضُ زُوْرَهُمْ
وراحَتْ تُنيرُ الدَّرْبَ أَنْجُمُكَ الزُّهْرُ
وَكنتَ بِها فَرْداً، قَليلٌ نَصِيرُهُ
وكوانوا بِها جَمْعاً، وَأَنْصارُهُمْ كُثْرُ

ولَـكِـنَّـهُـمْ كـانُـوا رِيـاءً وبَـاطِـلاً
وَكُنْتَ بِهَا حَقّاً، يُحالِفُهُ النَّصْرُ
فَـزَالُـوا فِـقـاعـاتٍ، وَخُـلِّـدْتَ شامِـخاً
«وَمَنْ يَخْطُبِ العَلْيَاءَ، لَمْ يُغْلِهِ المَهْرُ»

* * *

وَتِـلْـكَ عِـظـاتٌ، آنَ أَنْ نَـسْـتَـشِـفَّـهـا
بِـأَنَّ أَمـامَ الـخَـيْـرِ، يَـنْـمَـحِـقُ الـشَّـرُ
وأَنَّ خُـلُـودَ الـحَـقِّ، شَـرْعٌ وَسُـنَّـةٌ
وَأَنَّ طَـريـقَ الـمَـجْـدِ مَـسْـلَـكُـهُ وَعْـرُ
وأَنَّ نُـفـوسَ الـنّـاسِ شَـتَّـى مَـشـارِبـاً
ولِـلَّـهِ، رَبِّ الـكَـوْنِ، فـي خَـلْـقِـهِ سِـرُّ

* * *

أخـي فَـهْـدُ، يـا بـدراً، تَـأَلَّـقَ بُـرْهَـةً
وغـابَ، وَعُـدَّ الـمـبـصـريـنَ لَـهُ نَـزْرُ
ويـا قَـبَـسـاً، فـي مَـهْـمَـهٍ شَـعَّ نُـورُهُ
ويا واحَةً في القَفْرِ، فَاحَ لَها عِطْرُ
طَلَعْتَ، ولَيْلُ الجَهْلِ في الحَيِّ حالِكٌ
وَغِبْتَ، وقد بَشَّرْتَ، أَنْ أَوْشَكَ الفَجْرُ
مَـضَـيْـتَ، ولَـمْ تَـشْـهَـدْ شُـرُوقَ نَـهـارِهِ
وَقَـدْ عَـمَّـتِ الأَرْجـاءَ طَـلْـعَـتُـهُ الـبِـكْـرُ
وعـادَ «لِـعَـذْراءِ الـخَـلِـيـجِ» بَـهـاؤُهـا
وَأَيْـنَـعَ بَـعْـدَ الـيَـبْـسِ رَوْنَـقُـهـا الـنَـضْـرُ

غـداةَ «أبـو سـعـدٍ» أحَـالَ رِمـالَـهـا
جِنانـاً، بِـهـا تَـزْهُـو الـثَّـقـافَـةُ والـفِـكْـرُ

وَأرْسَـتْ يَـداهُ الـبَـرَّتـانِ كـيـانَـهـا
مَـنِـيـعاً، فَـبَـعْـدَ اللَّـهِ حَـقَّ لَـهُ الـشُّـكْـرُ

* * *

شَـبـابَ الـكُـوَيْـتِ الـحُـرِّ، عِـنْـدِيَ صَـرْخَـةٌ
سَـأُطْـلِـقُـهـا جَـهْـراً، فَـمَـا نَـفَـعَ الـسِّـرُّ

لَـئِـنْ جَـهِـلَـتْ فَـهْـدَ الـقَـريـضِ مَـعـاشِـرٌ
فَلَيْسَ لَكُمْ - تاللَّهِ - عَنْ جَهْلِهِ عِذْرُ

فَـهُـبُّـوا، امْـسَـحُـوا عَـنْ وَجْـهِ ذِكـراهُ غَـبْـرَةً
فَمَا حَقُّ فهدِ التُّرْبُ، بَلْ حَقُّهُ التِبْرُ

ويـا دَوْلَـةً قَـدْ أنْـصَـفَـتْ كُـلَّ شَـعْـبِـهـا
هَلُمِّي، انْصِفيهِ، فَهوَ شاعِرُكِ الوَتْرُ

أقـيـمـي لَـهُ، نُـصْـبـاً، يـذكّـرُ أنَّـهُ
فَدَى رُوْحَهُ، كَيْ يَسْتَمِرَّ لَكِ الذِّكْرُ

حَـنـانَـيْـكِ، «عَـذْراءَ الـخـلـيـجِ»، فَـإنَّـنـي
وَصَلْتُ إلى حَدٍّ، بِهِ يُكْشَفُ السِّتْرُ

فَـقَـدْ زالَ عَـنْ وَجْـهِ الـمـلـيـحَـةِ غَـيْـهَـبٌ
كَـريـهٌ، مَـقـيـتٌ، واسْـتَـتَـبَّ لَـهَـا أَمْـرُ

وَإنّـي لأرْجُـو مُـخْـلِـصـاً أنْ تُـبـادِرِي
لِـعَـقْـدٍ، بِـهِ يَـزْدانُ جِـيـدُكِ والـثَّـغْـرُ

ومـا ذَلِـكَ الـعِـقْـدُ الـفَـريـدُ، بِـنـادِرٍ
عَـلـى مَـنْ لَـهَـا «كَـنْـزٌ» يُـغَـلِّـفُـهُ قَـبْـرُ

أَخِـي «فَـهْـدُ»، كـانَـتْ فَـتْـرَةً عَـبْـقَـرِيَّـةً
نَعِمْنا بِها حِيْناً، و«حِيْناً» هِيَ العُمْرُ

نَـعِـبُّ دُهَـاقـاً مِـنْ كُـؤُوسِ رَحِـيـقِـهَـا
وَنَبْغي مَزِيْداً حِيْنَ يَصْرَعُنا السُّكْرُ

وَتَمْضِي بِنَا السّاعاتُ عَجْلى يَحُثُّها
رَقِيبٌ عَتِيدٌ صَارِمٌ إسْمُهُ الفَجْرُ

وكـانَ الـقَـرِيـضُ الـحَـيُّ، أَفْـضَـلَ وِرْدَنـا
وكَانَ مَعِينَ الفَيْضِ مَجْلِسُكَ الثَّرُ

ومـا كُـلُّ شِـعْـرٍ يُـسْـتَـطـابُ سَـمـاعُـهُ
ومـا كُـلُّ مـا خَـطَّـتْـهُ أَقْـلامُـنـا نَـثْـرُ

ومـا كُـلّ رُوحٍ تَـمْـنَـحُ الـشِّـعْـرَ حَـقَّـهُ
ومـا كُـلُّ أُذْنٍ مِـنْـهُ يَـنْـتـابُـهـا وَقْـرُ

ولَـيْـسَ بِـشِـعْـرٍ مـا نَـرى الـيَـوْمَ بَـعْـضَـهُ
عَلى صَفَحاتٍ، ملؤُهُ الدَّسُّ والمَكْرُ

ولَـيْـسَ بِـشِـعْـرٍ مـا يُـريـدونَ فَـرْضَـهُ
عَلى السَّمْعِ قَسْراً، بَلْ هُوَ اللَّغْوُ والهَجْرُ

ومـاذا يـزيـنُ الـشِّـعْـرَ غَـيْـرُ بِـنـائِـهِ
مَتِيناً، ومُوسيقاهُ، والوَقْعُ والبَحْرُ

ومـا قَـوْلُـهُـمْ «حُـرّاً» بِـضـائِـرِ شِـعْـرِنـا
وَهَلْ بالقَوافِي الغِيدِ يُسْتَعْبَدُ الحُرُّ

أَعَـزُّ تُـراثٍ عِـنْـدَنـا صَـرْحُ حَـقِّـهِ
وَلَنْ يَسْتَطِيعَ النَّيْلَ مِنْ صَرْحِهِ الغَدْرُ

سَيَبْقَى مَنِيعاً شامِخاً غَيْرَ آبِهٍ
يُطَنْطِنُ زَيْدٌ أو يُقَلِّدُهُ عَمْرُو

***

ويا فَهْدُ، عُذْراً، إنْ يَكُنْ شَطَّ بي المَدَى
فَذِي نَفْثَةٌ حَرَّى يَجِيشُ بِهِا الصَّدْرُ
تَعَمَّدْتُ أنْ أُخْفِي دَقائِقَ سِرِّها
عَلى أقْرَبِ الأدْنِينَ مِنِّي، ولا فَخْرُ
ولَكِنَّها إذْ كُنْتَ سِرَّ انْعِتَاقِها
طَغَتْ، ثُمَّ جاشَتْ، حينَ جَانَبَها الصَّبْرُ
فَجاءَتْ، كَما شَاءَتْ، وَشَاءَ لَها الْوَفا
كَباقَةِ وَرْدٍ، ضَمَّ أَطْرافَها شِعْرُ

***

ويا فَهْدُ، يا أَغْلَى عَزِيزٍ فَقَدْتُهُ
سَلامٌ عَلى ذِكْراكَ ما تُلِيَ الذِّكْرُ
وَإنِّي لأَرْجُو أَنْ أَرَاكَ مُنَعَّماً
بِأكْرَمِ دارٍ، حينَ يَجْمَعُنا الحَشْرُ

عبدالمنعم العجيل

***

قَصِيدَةُ رِثَاءٍ

● هذه القصيدة كتبت بخط الشاعر فهد العسكر، لما كان طالباً، يرثي فيها والد أستاذه الشيخ عبدالله النوري، وهو المرحوم الشيخ محمد نوري، ثم أعطاها إليَّ الشيخ عبدالله النوري، قبل وفاته، عندما زرته بمكتبه في القادسية. ولم ننشر هذه القصيدة في الطبعات السابقة، من كتاب (فهد العسكر).

وفي هذه الطبعة قمنا بنشرها، كما هي بخط الشاعر، وهي كما ترى من أوائل شعره:

تأبين للشيخ نوري [illegible]

فقد الصفو وذابت الاحبة ... وعلى المفقود كنا في نصب

شيخنا نوري نخا الاكرمين ... الم ثم شقاء وعطب

ليتني لك خلا صافيا ... وهو في الصدر عدو مجتنب

ايها الشيخ فيا نور العلا ... عندما مت فعيشي لم يطب

ايها الشيخ فانت خالد بالثنا.. ... فرثاك الآن ابدعما يجب

قد فقدنا زهرة زاهرة ... اطلعت زهرة من بين الشهب

قد فقدنا درة زاهية ... مثل بدر سامي نحو القطب

قد فقدنا نجمة لامعة ... تتراءى لك في مثل الذهب

قد فقدنا جسما في حشائه ... درر العلم واعلام الادب

قد فقدنا الشيخ من بين الملا ... وبفقد الشيخ ذكرى مضطرب

وبقي الفكر بنا مستكدرا ... من ظلام حل فيه من شغب

قد نبى الحزن علينا مخلبه   عندما الحلم فيه انتصب

بفراق الشيخ فالدمع جرى   مثل جري السيل في وقت الكرب

أيها المحمود بالأخلاق دينا .   علم الحب يسمى دأب

قد أزلت الظلم عن أفكارنا   قد أزلت الظلم مع هذا الريب

عندما الصبح نراه مسفر   قد بقي كالليل للدا العجيب

قد بكيناك أنت لي من ويل لقا   أدهشنا منه غلام يبد الطرب

يا كريم النفس يا نوري دنيا   من مجيد كان في أعلى الرتب

أيها الأرض فحيي علما ،   زائرا عندك من أصل العرب

يا إله العرش أسكنه بجنة   نال عنده ثم في أسما الرتب

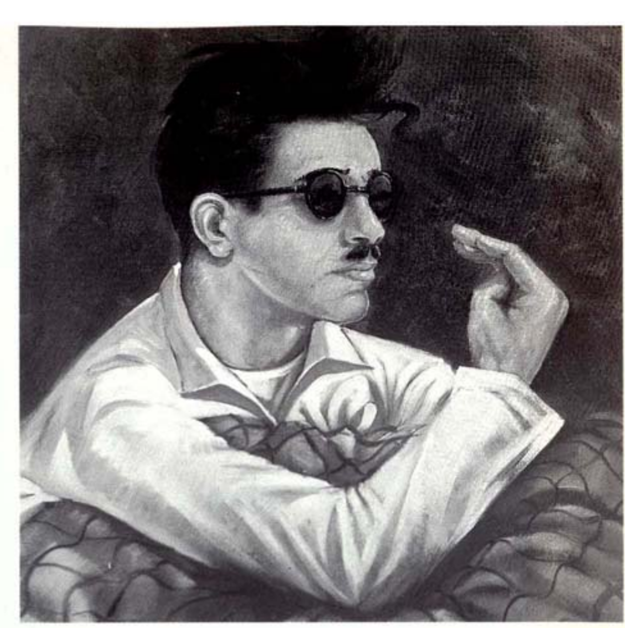
رحمة أسف على قبرك حي   كل آن من إله الخير هب

❧ ❧ ❧

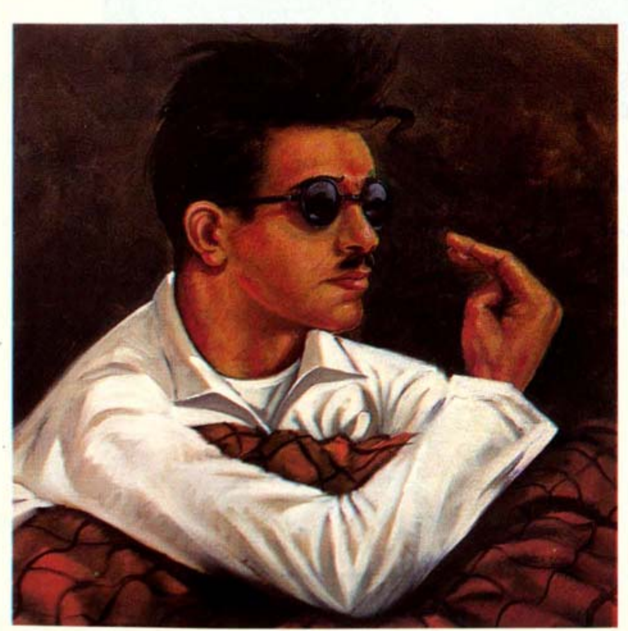


أخذت هذه الصورة في منزل المرحوم فهد العسكر عام ١٩٤٧م وفيها يبدو، من اليمين الشاعر فهد العسكر، والأستاذ فاضل خلف، والدكتور صالح جواد الطعمة، وهو من العراق الشقيق، وهو اليوم أستاذ التربية في جامعة هارفرد الأمريكية، ثم الشاعر راشد السيف(*).

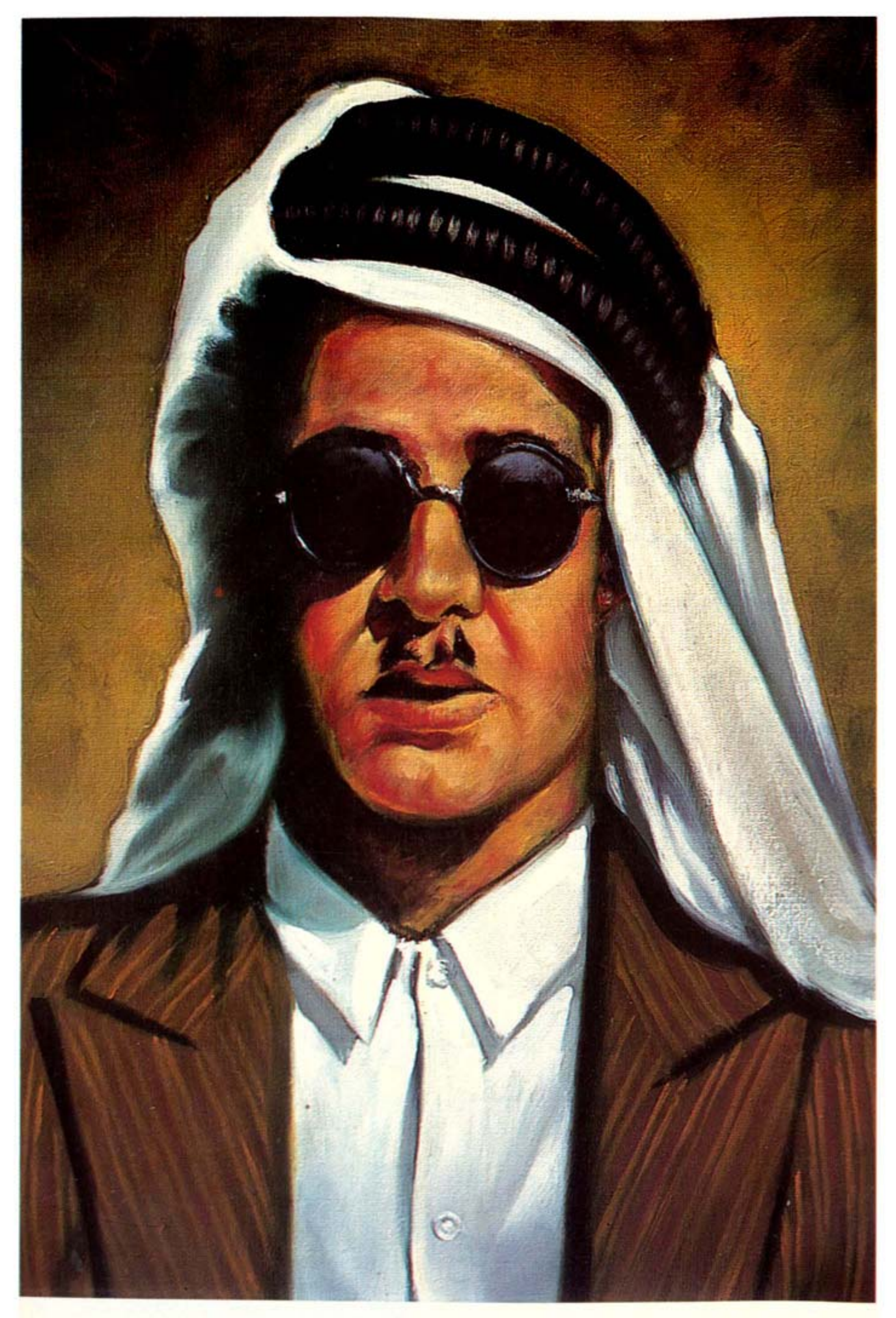
(*) نشرت في صحيفة الوطن، ٢ديسمبر ١٩٧٠.



قام أحمد العامر، بزيارة للشاعر فهد العسكر، في منزله، وقد كان مريضا، وذلك في يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٩م، ورسم له هذه الصورة وهو في سريره، ونشرها في صحيفة الوطن الصادرة في ٢ ديسمبر ١٩٧٠م، إلى جانب عرض لكتاب المؤلف، في طبعته الأولى. ثم قام الفنان/ عبداللطيف غلامي، بتكليف من الناشر، برسمها بالألوان.



صورة المرحوم/ فهد العسكر، كما رسمها بالألوان الفنان/ عبداللطيف غلامي.



صورة الغلاف كما رسمها الفنان: عبداللطيف غلامي

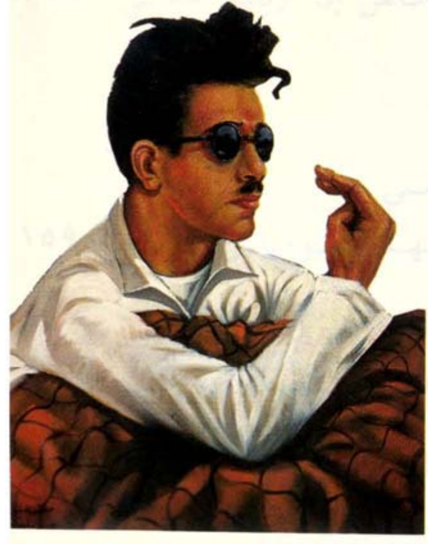


الشاعر فهد صالح العسكر في سطور

- ولد شاعراً بائساً، وعاش شاعراً بائساً، ومات شاعراً بائساً.
- عشق الحرية، وتغنّى بها، وبكاها.
- ملَّهُ أهله، وجفاه أقاربه، وحاربه مجتمعه.
- رماه بعض الناس بالكفر والإلحاد، ولم يكن كافراً ولا ملحداً.
- ولد في الكويت، وترعرع فيها، ولم يحدّد تاريخ مولده.
- عاش في الكويت بعيداً في أفكاره عن مجتمعه وبيئته.
- فقد بصره، وعاش آخر حياته في غرفة مظلمة في سوق (واجف).
- أُصيب بمرض عضال، وأدخل المستشفى الأميري، ومات فيه.

ولم يمش في جنازته أحد، لا من أهله، ولا من أقاربه وذويه، ولا من أصحابه.

- بعد وفاته أُحرق شعره، والتهمت النيران عصارة فكره، وذوب فؤاده. لكن النسيان لم يستطع أن يجرّر عليه ذيوله.



- دُفن في المقبرة العامة قرب (محافظة العاصمة)، وذلك بتاريخ ١٥ من شهر أغسطس سنة ١٩٥١م.
- تلك حياة الشاعر المبدع، الذي طالما غنَّى فأطرب، وناح فأبكى، وأنشد فأعجب.



ثبت القصائد

أ

لـي طـرف لـم يـدر مـا الإغـفـاء
وفــؤاد عــاثـــت بـــه الأدواء ٢٤٤

لا الروض روض ولا الصهباء صهباء
ولا الـنـدامى مـيـامـيـن أحـبـاء ٢٧٦

ب

لـيس عـيـذا بـل مـأتـم يـا صـحـابـي
فـاملأوا الكأس إن أردتـم عـذابـي ٢٦٩

ح

إذكـريـنـي كـلـمـا هـب الـنـدامـى
لـتـحـسـيـهـا غـبـوقـا وصـبـوح ١٥٩

نـوحـي بـعـقـر الـسـجـن نـوحـي
فـصـداه فـي أعـمـاق روحـي ١٧٠

أسـفـر الـصـبـح قـم نـحـيـي الـصـبـاحـا
يـا منى الـقـلـب واتـرع الأقـداحـا ١٨٤

لا الأنــس أنــس ولا الأفــراح أفــراح
كلا ولا الراح راح بعدما انزاحوا ٢٥٧

د

قـبِّـل فـديـتـك مـبـسـمـي دع جـيـدي
وإلـى الـلـقـاء صـبـاح يـوم الـعـيـد ١٦٣

بـأَبـي وأمـي مـن مـددت لـهـا يـدي
بعد العشاء مصافحا في الأحمدي ١٦٤

طـرقـتـنـي فـجـر يـوم الـمـولـد
وأبـوهـا عـاكـف فـي الـمـسـجـد ١٧٧

جـــاء الـــربـــيـــع وأنـــت راقـــد
قـم واشـد يـا رب الـقـصـائـد ٢٠٦

ســبــاك الــجــيــد والــقــد
وتــلــك الــعــيــن والــخــد ٢١٣

يـا عـيـد عـدت فـأيـن الـروض والـعـود
والهف نفسي وأين الراح والغيد ٢٣٥

ر

قـومـي اسـمـعـي يـا بـنـت جـاري
شـكـوى الـهـزار إلـى الـهـزار ١٣١

يا مي ناب السمع عن بصري
في الليلة السوداء من صفر ١٥٥

ما لي وللظبي الغرير الصغير
يرقص نشوان وكوبي كسير ١٨٣

طال النوى يا قبلة الأنظار
فترفقي بالوامق المتواري ١٨٨

عابوا على بنت النخيل بياضها
ومذاقها، ملووا بجيد نفار ٢١٨

يا من صهرت لهم شعوري
فجرا على شدو الطيور ٢٣٠

يا ليتني فوق الغصون حمامة
لأنوح بالآصال والأسحار ٢٣٢

خفقان الفؤاد ويحي بصدري
كهدير الأمواج من بعد هجري ٢٣٨

حالي كحالك أيها الشحرور
قست الحياة فكلنا مأسور ٢٧٨

س

اترعي الأقداح يا حوا
فإن الليل عسعس ١٨٩

ع

أشجى الرفاق تأوهي وتوجعي
وتمنعي عن شربها في المقوع ١٣٧

ف

تخذ الحزن فؤادي مألفا
من وشاة عكروا ما قد صفا ٢٤٦

ق

من لروحي فلا الرحيق رحيق
ولقلبي فلا الرفيق رفيق ٢٦٠

ك

«ياجارة الوادي طربت وعادني»
ما زادني شوقا إلى مرآك ٢٥١

ل

هات يا ساق هات بنت النخيل
فعساها تشفي عساها غليلي ١٤٦

ولهان يفترش الرمال أصيلا
فيخاله الرائي هناك عليلا ١٦٩

صديان يغلي في حشاه المرجل
ترثي الجنوب له وتحنو الشمأل ١٩٥

أيهذا الشاعر المغترب الباكي أصيلا ٢٠٠

م

حي الصباح إذا تبسم

وصغ العقود إذا تكلم ١٦٧

حب تغلغل في الصميم

فقضى على الحب القديم ١٧٤

يا أخا الروح من يبل أوامي

يا لحزني وأنت تحت الرجام ٢٢٣

أي وعينيك فاض كأس غرامي

ياحبيبي وما بلغت مرامي ٢٦٤

ن

كفكف بربك دمعك الهتانا

وافرح وهنىء قلبك الولهانا ١١٨

حي الأساتذة الكرام تحية

تزري بعرف المسك والريحان ١٢٢

كفي الملام وعلليني

فالشك أودى باليقين ١٢٧

صهرت في قدح الصهباء أحزاني

وصغت من ذوبها شعري وألحاني ١٤٠

إعزف على العود يا معبودي الثاني
وغن «يا حب أنت الهادم الباني» ١٧٩

يا طائر الفجر من بالراح أغرانا
إلاك حين تناغي الروض سكرانا ١٨١

ودع الأهل والحمى والمغاني
مدنف شفه هوى الأوطان ١٩٧

ذكرى أثارت غافي الأحزان
أشجاك يوم العيد ما أشجاني ٢٧٣

هـ

طلع الفجر غن يا قمريه
واطربي الروح بالأغاني الشجيّة ١١٥

بك بالشوق بالضني يا جارة
أسعفيني بالكأس والسيجارة ١٤٩

بما أودعته فيها
إلى ليلاي أهديها ١٥٩

ولهان ذو خافق رقت حواشيه
يصبو فتنشره الذكرى وتطويه ١٩٢

ذري القلب يطوي حبه ويواريه
ذريه فقد أقصى هواك أمانيه ٢١٠

غـادة حـطـم الـفـؤاد بـكـاهـا
ليت شعري ما بالها ما دهاها ٢٢٥

طاف السقاة بها ما كان أشهاها
فيا ندامى أراح أم حمياها ٢٤٨

حسب الغواني أنهنه
حطمن قلبي حسبهنه ٢٦٧

أخي مطلق والقلب مني مشبع
بهم تنوء الراسيات بحمله ٢٧٩

ي

أوقديها وذريها في حشايا
تحرق القلب وتجتاح الحنايا ١٥٢

يا نديمي في صبايا
أنت يا ملهى الصبايا ٢٠٢

إني بحبك كم عذول لامني
كم مرة بالنوم طيفك زارني ٢٤٢



المحتوى

- مقدمة الطبعة الخامسة ٩
- مقدمة الطبعة الرابعة ١٣
- مقدمة الطبعة الثالثة ١٥
- مقدمة الطبعة الثانية ١٩
- مقدمة الطبعة الأولى ٢١
- من غير عنوان ٢٧
- نسبه ٣٥
- مولده ٤٣
- قصة سفره إلى الرياض ٤٩
- حياته ونشأته ٥٣
- نفسيته ٥٩
- شعره ٦٣
- الشعر الصادق ٦٩
- تطور ٧١
- مجلسه ٧٣
- حرق شعره ٧٥
- فقد بصره ٧٩
- وفاته ٨٧
- شاعر فنان ٨٧
- مدرسته الشعرية ٩١

- بين اللفظ والمعنى ٩٥
- التجديد في شعره ١٠١
- ديوانه ١٠٥
- القومية في شعره ١٠٩
- الشكوى في شعره ١٢٧
- الغزل في شعره ١٥٧
- الوصف في شعره ١٩١
- قصيدتان جديدتان ١٩٩
- ألوان أخرى من شعره ٢٠٥
- تخميسات ٢٣٥
- قصائد أخرى ٢٥٣
- تضارب الرواة في شعره ٢٨١
- فهد العسكر ٢٨٥
- فهد والشعراء ٢٨٩





الأديب الأستاذ / **عبدالله زكريا الأنصاري**

الأستاذ عبدالله زكريا الانصاري ٧٥ سنة، هو أحد طلائع رواد الحركة الأدبية والثقافية القلائل، الذين قامت على أكتافهم حركة التنوير في الكويت، وهو من صفوة مفكريها الذين استحقوا لقب أديب، لما له من مؤلفات كثيرة في مجالات ثقافية متعددة، فضلاً عن دوره الريادي في الحركة الصحفية الكويتية منذ بداياتها الأولى، حيث كانت إسهاماته الكبيرة، تشكل نقطة مضيئة في مجلة (البعثة) وغيرها.

إلى جانب ذلك، كانت بصماته واضحة في الحركة التربوية، سواء أكان ذلك من خلال مدرسة (كُتاب) والده، الملا زكريا الأنصاري، أم في سلك التعليم النظامي، بدءاً من المدرسة المباركية التي تلقى فيها تعليمه، حتى عُيِّن مشرفاً مالياً في بيت الكويت بالقاهرة، كما برز دوره جلياً في إرساء حركة التعليم في الكويت.

وقد لعب دوراً سياسياً بارزاً في إعلاء شأن القيم العربية، فسُجِنَ وعُذِّبَ، (فحرق أخوه دفاتر أشعاره، خوفاً من أن تعثر السلطات على شيء من أشعاره السياسية).

لقد واجه الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري، في بداية شبابه، تحديات وضغوطاً كثيرةً بسبب مواقفه الوطنية والسياسية، ولكنه لم يَلِنْ، بل زاده ذلك إصراراً وثباتاً على المضيِّ في مبادئه العروبية.

الناشر

٣,٥٠٠ د.ك أو ما يعادله

